

الكتبة الامنية

مشكلة الفقر

وسبل علاجها في ضوء الإسلام

دراسة مقارنة

الجزء الأول



دار النشر

بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب

بالرياض

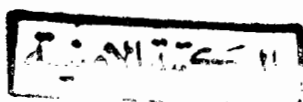
مشكلة الفقر

وسبل علاجها في ضوء الإسلام

دراسة مقارنة

الجزء الأول

عبدالرحمن بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود



دار النشر

بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب

بالرياض

١٤١١ هـ

حقوق النشر محفوظة للناشر

دار النشر

بالمركز العربي للحراسات الأمنية والتدريب
 بالرياض

الرياض

١٤١١هـ [الموافق ١٩٩٠م]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحتويات

٥	التقديم بقلم الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي
١٣	المقدمة
٢١	التمهيد
	(المبحث الأول: مصطلحات البحث «المشكلة، الفقر، العلاج، النظم الوضعية» - المبحث الثاني: الفقر في مفهوم الفسلفات القديمة والديانات المحرفة «الفلسفة الشرقية، الفلسفة الاغريقية، اليهود، رهبانية النصارى»).
	الباب الأول: مشكلة الفقر في بلاد المسلمين: واقعها، عواملها وآثارها
٣٧	
٤٠	الفصل الأول: واقع مشكلة الفقر ومظاهرها
	(المبحث الأول: واقع المشكلة «نموذج من البلاد الاسلامية في آسيا [بنغلاديش]، نموذج من البلاد الاسلامية في افريقيا [الصومال]، نموذج من الاقليات الاسلامية في العالم [الهند]» - مظاهر مشكلة الفقر وأبعادها «انخفاض مستوى الدخل الفردي، عدم التناسب في توزيع الدخل، البطالة الهيكلية وقلة العمالة الماهرة، عدم كفاية التجهيزات الرأسمالية، التبعية الخارجية»).
	الفصل الثاني: عوامل مشكلة الفقر في بعض البلاد الاسلامية
٧٥	
	(المبحث الأول: العوامل الطبيعية «الجفاف، التصحر» - المبحث الثاني: العوامل الداخلية «الازدياد السكاني وسوء توزيع الثروة،

الفهم الخاطيء للتنمية والنتائج الفاشلة لتجارها» - المبحث الثالث: العوامل الخارجية «آثار الاستعمار، الخلل في النظام الاقتصادي العالمي».

١٢٤

الفصل الثالث: آثار مشكلة الفقر

(المبحث الأول: آثارها الاجتماعية «المرض، الانحراف الأخلاقي، تفكك العلاقات الاجتماعية» - المبحث الثاني: آثارها الثقافية «الجهل، انتشار العقائد الفاسدة» - المبحث الثالث: آثارها الاقتصادية «زيادة الفقر، زيادة التخلف، التبعية الاقتصادية، البطالة» - المبحث الرابع: آثارها السياسية «الاستبداد، الفوضى السياسية، السيطرة الاجنبية»).

الباب الثاني: توجيهات الاسلام وأحكامه في علاج

١٩٩

مشكلة الفقر

٢٠١

الفقر في ميزان الاسلام

٢٠٨

الفصل الأول: الاسلام والاكتساب

(المبحث الأول: قيمة الاكتساب في الاسلام «تعريف الاكتساب، حث الاسلام على الاكتساب، قيمة الاكتساب» - المبحث الثاني: النهي عن التواكل والكسل والمسألة «النهي عن التواكل، النهي عن الكسل، النهي عن المسألة» - المبحث الثالث: مجالات الاكتساب وضوابطه «مجالات الاكتساب، ضوابط الاكتساب» - المبحث الرابع: آثار الاكتساب في علاج مشكلة الفقر «تحقيق الاكتفاء الذاتي للمكتسب، اسهام المكتسب في مساعدة غيره، استقامة سلوك المكتسب، تحقيق استقلال الأمة فيما تحتاج اليه»).

(«الانسان خليفة في المال ليس بمالك له، الانفاق لمرضاة الله تعالى وحده، الانفاق في الكسب الطيب، الاعتدال في الانفاق، الرشد والأمانة فيمن يتولى الانفاق، الانفاق يكون في محله المشروع للمحتاجين من المسلمين وأهل ذمتهم، الايثار» - المبحث الأول: مصادر الانفاق ومصارفه «مال الزكاة ومصارفه، إنفاق مال الخمس والفيء، انفاق مال الجزية والخراج والقطائع وعشور التجارة، إنفاق مال الضوائع وما في حكمها، النفقات الاضطرارية» - المبحث الثاني: آثار الانفاق في علاج مشكلة الفقر «كفاية الحاجات البشرية الأساسية، التشجيع على العمل المنتج، تكافؤ الفرص في امتلاك وسائل الانتاج، تحقيق التنمية الاقتصادية، وجود مجتمع التكافل والتضامن»).

(المبحث الأول: مفهوم التكافل ودوافعه «مفهومه، أسسه» - المبحث الثاني: وسائل التكافل والأفراد الذين يشملهم «وسائله، الأفراد الذين يشملهم» - المبحث الثالث: آثار التكافل في علاج مشكلة الفقر «ملاحقة الفقر أنى وجد، كفاية من يمنهم التعفف عند الأخذ من الصدقات أو سؤال الناس، اكمال مجهود الدولة الاسلامية في الانفاق العام»).

التقديم

بقلم الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

الفقر إحدى المشكلات الانسانية الكبرى.

ولئن تعارف الناس على أن معضلات ثلاث رئيسة هي التي

أضنت البشرية في تاريخها وحاضرها وهي: الفقر والجهل والمرض،

فإن الفقر هو مصدر المعضلتين الآخرين: الجهل والمرض.

يضرب الفقر الفرد فلا يستطيع أن يتعلم، ويضرب الأسرة

فتعجز عن تعليم أولادها

ويدلف المرض الى جسد الفرد والأسرة بسبب فقدان التغذية

أو نقصها، وبسبب عدم القدرة على العلاج.

والفقر هو علة فقدان التغذية وسوئها، وعلة العجز عن الوقاية

والعلاج.

إن مياه الشرب الخالية من التلوث - مثلاً - مقوم أساسي لحياة

بشرية مفعمة بالعافية والنضرة.

ولكن هذا النوع النظيف من المياه يتطلب امكانات هائلة من

التقطير والتطهير والتنقية.

ولا تتوافر هذه الامكانات مع وجود الفقر

يقول (تقرير معهد المراقبة الدولي على التقدم نحو مجتمع قابل

للبقاء) والصادر عام ١٤٠٦هـ: «يعاني ربع سكان العالم من النقص في مياه الشرب النظيفة والطرق الصحية للتخلص من الفضلات الانسانية، ونتيجة لذلك تستوطن أمراض الاسهالات في البلدان النامية، وهي لازالت السبب الرئيس للوفيات بين الرضع، كما تصيب أمراض الكوليرا والتيفوئيد والبلهارسيا والطفيليات المعوية مئات الملايين.

ويتعرض الأشخاص الذين يضطرون للذهاب للأثر والمستنقعات لجلب الماء لخطر الاصابة بأمراض الملاريا والعمى النهري ومرض النوم.

ويقدر الخبراء أن توفر مصادر سليمة لمياه الشرب يمكن أن يقلل من حالات الاسهال الى النصف، بالإضافة الى تخفيض ٩٠٪ من حالات الكوليرا، و ٨٠٪ من حالات مرض النوم.

ولسوء الحظ لم تحظ مياه الشرب النقية بأولوية عالية في الكثير من الدول، فلا تتوافر مياه الشرب النظيفة في أربعة أخماس المناطق الريفية في ٧٣ دولة افريقية وآسيوية.

إن دلو الماء مصدر رئيس للتلوث، فإن أمسكت به أيد ملوثة أو وضع علي أرض قذرة، فإنه سيلوث مياه الشرب بسهولة، ويمكن حماية الدلو والحبل المستعمل لرفعه من التلوث، إلا أن ذلك يحتاج الى التكلفة والخبرة أما الآبار العميقة فيحتاج حفرها الى معدات غالية الثمن».

إذن هي آفات مركبة:

الآفة الأولى: الفقر، أو فقدان التكلفة اللازمة، وعدم القدرة على توفير المعدات الغالية الثمن - كما جاء في التقرير - .
هذه الآفة ولدت آفة أخرى وهي: العب من ماء ملوث ينغل بالجراثيم.

أما الآفة الثالثة فهي: انتشار الأمراض الخطرة.

ولا تزال الكوارث يجر بعضها بعضاً فالأمراض حين تتكاثر على الانسان فإنها تهدد خلاياه هدأ منكرأ، ولا تبرح تعتصر عافيته، وتمتص نضرتة، فإذا هو ذابل أو شبح يتحرك بشق الأنفس.
وهذا أكبر عقبة في طريق التنمية.

فمن المعروف أن عماد التنمية وهو: «المواطن المنتج» ومن ثم ظهر - في علم الاقتصاد - مبحث جد مهم وحيوي وهو: «تنمية الموارد البشرية».

فالتنمية الزراعية والصناعية والتجارية مشروطة بتنمية العنصر البشري، إذ تدور معه وجوداً وعدمأ، ضعفاً وقوة، سرعة وبطأً.
فكيف يكون «مواطناً منتجاً» من تسبب الفقر في تعطيل قواه الذهنية والجسدية؟

ولقد ظهرت في الحياة البشرية نظريات اقتصادية واجتماعية قوامها وشعارها مكافحة الفقر، ونفي العوز عن المجتمعات البشرية.

ومن النظريات التي زعمت ذلك: الماركسية اللينينية.

فقد إدعت هذه النظرية أن سبب الفقر هو: وجود أدوات الانتاج في يد أخرى غير يد الدولة أما الحل الذي يزيل الفقر فهو سيطرة الدولة على أدوات الانتاج.

وإدعت أن حوافز الكسب وفرص التنافس هي السبب في انتشار الفقر والمجاعات أما الحل الذي يعالج ذلك فهو كبت الحوافز، وإلغاء فرص التنافس.

وإدعت أن الطريق الوحيد لتنمية الموارد هو: الاشراف المركزي الصارم والشامل على حركة التنمية.

وإدعت أن توزيع الثروة - عن طريق الدولة الشيوعية - هو العلاج الناجع لظاهرة الفقر

وبناء على هذه الادعاءات قامت دولة بل دول شتى بهدف القضاء على الفقر، والدخول في عصر الرخاء والرغد. فماذا كانت النتيجة بعد تجربة ٧٠ عاماً؟

يقول الرئيس السوفيتي - ميخائيل جورباتشوف - في كتابه الشهير: «البيريسترويكا» «في مرحلة معينة حدث شيء ما، لا تفسير له لأول وهلة، لقد بدأت البلاد تفقد قوة اندفاعها، وتكرر الاخفاق الاقتصادي بدرجة أكبر، وبدأت الصعوبات تتراكم وتتدهور والمشاكل التي لا تجد لها حلاً تتضاعف».

«وعند تحليل الوضع، اكتشفنا في البداية تباطؤاً في النمو الاقتصادي، ففي الخمسة عشر عاماً الأخيرة تدهورت معدلات نمو الدخل القومي لأكثر من النصف، وبحلول بداية الثمانينات

انخفضت الى مستوى قريب من الركود الاقتصادي، لقد بدأ البلد الذي كان يوماً ما يلحق بسرعة ببلدان العالم المتقدمة، يفقد موقعاً بعد آخر، وبالإضافة الى ذلك بدأت تتسع وفي غير صالحنا، الفجوة في كفاءة الانتاج وجودة المنتجات».

«إن ثروة بلادنا بمفهوم الموارد الطبيعية وقوة العمل قد أفسدتنا ويمكن القول بأنها قد أصابتنا بالعض».

«لقد بدأت مكانة العمل الواعي العالي النوعية تتراجع، وغدت عقلية المساواة في الأجور منتشرة، ولم يؤد انعدام التوازن بين حجم العمل وحجم الاستهلاك - الذي أصبح كمسمار عجلة الدولار الكابح - الى اعاقه نمو انتاجية العمل فحسب، بل أدى أيضاً الى تشويه مبدأ العدالة الاجتماعية».

«وكان لابد لمعدلات النمو الهابطة، والركود الاقتصادي من أن يؤثرنا على جوانب حياة المجتمع السوقي الأخرى».

ومهما يكن من فشل النظريات التي زعمت مكافحة الفقر والعوز، فإنها قد فتنت الناس بهذه المزاعم، فكل إمريء يبتغي التحرر من وطأة الفقر، ومن ثم يتعلق بكل ما يظنه حلاً لهذه المشكلة الضاغطة.

ولثلا يقع ذلك، أي لثلا يفتن الناس بسبب مصيبة الفقر، جاء الاسلام بهداه المبين الذي ينقذ الناس من بوائق المتربة والمسغبة. والكتاب الذي بين أيدينا جهد علمي رصين يسهم - بوعي - في تبين هدى الاسلام إزاء مشكلة الفقر

إن اختيار مؤلفه عبدالرحمن بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود لهذا الموضوع البالغ الأهمية دليل فكري وعلمي على الوعي بأهمية التصدي للمشكلات الواقعة، وعلاجها وفق هدى الاسلام وقد يطرق باحث ما قضية معينة ولكنه يقصر - أثناء البحث - عن علاجها، فلا يستوفي جوانبها كما ينبغي.

بيد أننا أمام بحث علمي متكامل تتبع قضية الفقر في مسارها التاريخي، وسياقها الواقعي، وفي مراجعها ومظاهرها ونتائجها وآثارها، ثم قرن ذلك كله باستكشاف السبل والبدائل الخليقة بتوفير البرء من معضلة الفقر

لقد مهد المؤلف لدراسته بتمهيد مطول تناول فيه المحاولات البشرية المختلفة تجاه آفة الفقر ثم عقد ثلاثة أبواب كبيرة:

- الباب الأول: وقد تناول فيه - بتوسع - مشكلة الفقر في بلاد المسلمين من حيث واقعها، وعواملها وآثارها.
- الباب الثاني: وقد أفرده لتفصيل توجيهات الاسلام وأحكامه في علاج مشكلة الفقر.
- أما الباب الثالث فهو: «دراسة مقارنة بين النظام الاسلامي والنظم الوضعية الحديثة في علاج مشكلة الفقر».

ثم جاءت الخاتمة لتلخص أهم النتائج التي توصل اليها المؤلف بتوفيق الله وعونه

وإذ يسرني أن أقدم هذا الكتاب، فإني أود أن أشير الى دلالات

ثلاث بوجه خاص:

الدلالة الأولى: أن البحث قد التزم المنهج الصحيح في الوقوف على المفاهيم الاسلامية الصحيحة، وفي توثيق الواقع بالأرقام والاحصاءات العلمية

الدلالة الثانية: إن هذا البحث العلمي يتزع الى الارتباط بالواقع، ويعمد الى معالجة هذا الواقع في هدى الاسلام الحنيف. الدلالة الثالثة: إن هذا الكتاب - من ثم - يُعد إضافة جديدة الى المكتبة الاسلامية

نفعنا الله بما نقول ونعمل من خالص القول والعمل، وجزى الله الباحث خيراً ووفقنا وإياه لما يحب ويرضى.

المقدمة

الحمد لله الذي يسر القرآن للذكر، حمد الشاكرين الموقنين، وأصلي وأسلم أفضل صلاة وتسليم على من بعثه الله رحمة للعالمين بلسان عربي مبين والذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وترك فينا ما إن تمسكنا به فلن نضل أبداً، كتاب الله وسنته (ﷺ) أما بعد.

فإني بحمد الله تعالى - منذ أن أتممت دراستي الجامعية في علم الاجتماع وأنا أتطلع الى مجال علمي وثقافي، أركز فيه معلوماتي وأزيد من ثقافتي، آملاً في أن أسهم من جانبي في بحث طرف من أوضاع المسلمين المعاصرة وتقديم الحقائق الممكنة حول تلك الأوضاع، مشفوعة بالنصح والتوجيه القائمين على الدراسة والتحليل.

وبعد أن أنهيت دراستي المنهجية بتوفيق من الله تعالى رأيت أن أختار موضوعاً أستطيع أن أخدم فيه - ولو باليسير من الجهد - أمتي الاسلامية التي تئن تحت وطأة الفقر والاستعمار في بحث ذي صبغة علمية اقتصادية نبراسها الشريعة الاسلامية التي بعدت عنها الأمة كثيراً ولن تقوم لها قائمة مهما عملت إلا بالرجوع اليها بإيمان صادق، وعزيمة أكيدة والسير على هداها، ووقع اختياري على موضوع بدا لي عظيم أهميته، وجليل نفعه، وهو موضوع (مشكلة الفقر وسبل علاجها في ضوء الاسلام: دراسة مقارنة).

وأما أبرز الأسباب التفصيلية التي جعلتني أختار هذا الموضوع فهي :

أولاً: تعتبر الشريعة الاسلامية أكبر ثروة في عصرنا الحاضر بإمكانها أن تمدنا نحن المسلمين بأسباب النمو والكفاية في شتى المجالات، لذا فأهمية البحث في جانب من جوانبها نابعة من أهمية ما ينبغي أن نعنى به، ونتجه إليه في خدمة هذه الشريعة وبيان كمال ما تعالج من قضايا الانسان ومشكلاته في كل زمان ومكان.

ثانياً: تعد مشكلة الفقر أعنى مشكلة تواجه شعوباً وأممًا تبلغ مئات الملايين في عصرنا الحاضر - وعلى وجه الخصوص في بلاد المسلمين - اذ تعترضهم بصفة مباشرة في حياتهم اليومية وتهدد وجودهم، ولا يكادون يجدون لها حلاً إلا فيما تجود به الأيدي المتفضلة وهو لا يكاد يسد الرمق.

وتعتبر هذه المشكلة - اليوم - في مقدمة المشكلات التي يزداد الاهتمام بها من أهل الفكر، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد وغيرهم في شتى بقاع العالم.

فالبحث في واقعها وبيان مظاهرها، وكشف عواملها، وتتبع آثارها في بلاد المسلمين من الأهمية البالغة التي هي في حق المسلمين أؤكد وأوجب.

ثالثاً: إن جهل كثير من المسلمين بنظام الاسلام في الحياة وسبل

معالجته لجميع مشكلاتها وقضاياها في القرنين الأخيرين، وما صاحب ذلك من تضليل إعلامي معادي، قد مكنا من نفوذ الأفكار والمفاهيم الغربية الى أذهانهم، ومن ثمة تبنيهم للمذاهب الوضعية في أوطانهم مما زاد في استفحال الحال واضطراب الأوضاع، في حين أنهم أرادوا التقدم والرخاء، وما علموا - نتيجة للجهل والتضليل الماكر - أن في الاسلام ومن خلال أحكامه وتوجيهاته البلسم الشافي لسائر ضروب الحرمان والتخلف.

وهذا الكتاب يبين موقف النظام الاسلامي من الفقر، وأصالة مبادئه وكفايتها في معالجة هذه المشكلة الخطيرة، وذلك بما شرعه من سبل وقائية، وأخرى علاجية متعددة من خلال نظرتة للانسان والكون والحياة.

رابعاً: لقد عرفت البشرية مشكلة الفقر قديماً، وكانت لها مواقف علاجية منها وذلك من خلال الأديان والفلسفات التي كانت تعتنقها فمثلاً:

- هذا (بوذا) وأتباعه من فلاسفة الشرق القديم، ينجحون الى اعتبار الفقر مقدساً، ويدعون الى اتخاذ حياة الزهد واستئصال شأفة مآرب الانسان، واجتثاث أصلها، والقضاء على كل تطلع له نحو الأفضل.

- وهؤلاء «الإغريق» قد تنوعت مواقفهم من الفقر، بين تقديسه

المكتبة الامنية

والتعلق بأسبابه، ويين اعتباره شراً محضاً واعطاء القيمة كل القيمة للغنى والترف والشهوة.

- وهؤلاء «اليهود» قد حسبوا كأنهم انما خلقوا ليطاردهم الفقر، فعمدوا الى أرذل الأساليب لدفع غائلته، وتكديس الثروة في طريقه

- وهؤلاء «النصارى» ابتدعوا نظام الرهينة، واستغرقوا في حياة الحرمان والتقشف، فرحين بالفقر والفاقة، متلذذين بالجوع والحر والبرد والأمراض وظلمة الكهوف.

- وهذا «الغرب المعاصر»، قد ورث تلك المبادئ والمثل، وغيرها، ولكنه تعلق بجوانبها المادية فحسب، وصاغها صياغة جديدة لا تخرج عن الأطر القديمة، وجعل منها منهجاً له في الحياة، وسبيلاً لمعالجة معضلاتها وفي مقدمتها الفقر

«الرأسمالية» تفتح للتنافس المادي مصراعيه، وتترك الانسان وحده مسئولاً عن فقره.

أما «الاشتراكية» - بألوانها - فتعامل الناس معاملة السائمة، اذ تلغي مبدأ الامتلاك الفردي من أساسه، وتخص ملكية مصادر الانتاج والمال بالدولة - الحزب - فقط.

فكشف الأسس الفلسفة لهذه المذاهب وما يتعلق بها، ثم بيان

علاجها لمشكلة الفقر، وكل ذلك مع الاختصار والتمثيل لا الحصر من الأهمية التي لا غنى لمثقف مسلم عنها.

خامساً: إنه وإن كان لا مجال للمواءمة - على أية حال - بين الإسلام هذا الدين الرباني المصدر والمبرأ من الزيادة والنقص، وبين النظم الوضعية الحديثة التي هي من صنع العقل الانساني المجرد البعيد عن الاستهداء بالمنهج الحق في الحياة، فإن الدراسة المقارنة الملتزمة بين النظام الاسلامي وبين هذه النظم في البحث الذي نحن بصدده لا حرج فيها، بل الحاجة اليها أكيدة اذا وضعنا في أذهاننا الفروق السالفة، ثم قصدنا الى الاجابة عما يقدم كل منها الى البشرية من علاج لمشكلة الفقر نظرياً وعملياً من خلال الأسس التي يركز عليها، والسبل التي يسلكها وصولاً الى الآثار العلاجية في المجال الاجتماعي، والثقافي، والاقتصادي، والسياسي.

منهجي في الكتاب:

إن هذا البحث قد استلزم مني الاستهداء بأكثر من منهج لحاجة الموضوع الى ذلك، فاعتمدت المنهج الوصفي: وذلك لتبوع المعلومات والأفكار وإيرادها كما جاءت على ألسنة أصحابها، وبما اشتملت عليه من تصور صحيح أو خاطيء.

واعتمدت المنهج التحليلي وذلك لبيان علائق الحقائق بعضها ببعض وعلائقها بالظروف التاريخية والاجتماعية، وما كان سائداً في

الحقبة المواكبة لها ليتيسر بعد ذلك عرضها على معيار النقد. واعتمدت المنهج النقدي لمناقشة الأفكار وعرضها على البدهيات الذهنية فضلاً عن النصوص الشرعية، مع بيان مزاياها وعيوبها، ايجابياتها وسلبياتها قدر الامكان.

هذا وقد التزمت في هذا البحث:

- ترقيم الآيات وذكر سورها، - وتخريج الأحاديث النبوية، - وترجمت لكثير من الأعلام الذين يدعو المقام للترجمة لهم، - وذيلتها بالفهارس اللازمة: فهرس الآيات، فهرس الاعلام، فهرس الموضوعات، فهرس الأحاديث، فهرس المراجع.

هذا وقد سبقتني الى تناول هذا الموضوع عدة دراسات اسلامية لها صلة بالموضوع استفدت منها، ولكنها جميعاً من حيث المنهج والمضمون ليست بالشكل والمضمون الذي طرحته لأن مخططي يتناول ثلاثة جوانب متكاملة هي:

- مشكلة الفقر في بلاد المسلمين واقعها وعواملها وآثارها.
- توجيهات الاسلام وأحكامه في علاج مشكلة الفقر
- دراسة مقارنة بين النظام الاسلامي والنظم الوضعية الحديثة في علاج مشكلة الفقر

والدراسات الاسلامية التي اطلعت عليها:

- إما أنها خالية من الجانب الأول وهو واقع حالة الفقر مثل دراسة الدكتور القرضاوي: «مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام؟».

- وإما خالية من الجانب الثاني وهو النظرية الاسلامية، مثل دراسة
غالب الحمود عربيات: «تخلف العرب والعالم الثالث»، ودراسة
الدكتور نبيل صبحي الطويل: «الحرمان والتخلف في ديار
المسلمين».

- وإما أنها خالية من الجانب الثالث وهو المقارنة بين النظام الاسلامي
والنظم الوضعية مثل: دراسة الدكتور يوسف القرضاوي المذكورة.
- وإما أنها جزئية لا تتطرق الى الموضوع إلا من طرف صغير منه مثل:
بحوث مؤتمر الأقليات المسلمة. الرياض ١٤٠٧هـ.

- وإما أنها مجرد سرد للبيانات والاحصاءات التي تحتاج الى تحليل
ونقد مثل: دراسة الدكتور الطويل: «الحرمان والتخلف».

وفوق ذلك كله فإن تلك الدراسات - يبدو - أنها قد كتبت على
عجل لمجرد سد الفراغ الحاصل في المكتبة الاسلامية، أو للقاء في
المؤتمرات الاسلامية، أو ككتيبات في شكل نشرات علمية صغيرة،
فلم تستوعب الموضوع كما أراه من وجهة نظري.

ولأجل استيعاب الموضوع ودراسته دراسة متأنية فقد اعترضتني
بعض العقبات كاتساع موضوع البحث وتشعبه وندرة المراجع
الحديثة والبيانات الدقيقة وقد يسر الله لي تذليلها.

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

عبدالرحمن بن سعد بن عبدالرحمن آل سعود

الرياض ٢٥/١٠/١٤٠٩هـ

التمهيد

المبحث الأول مصطلحات البحث

تعد مفاهيم المصطلحات المستعملة في هذا البحث، سهلة التناول، ميسورة الإدراك في مجملها، لكثرة ورودها في الكتب المنشورة، وعلى ألسنة المحاضرين، بحيث يكاد المواكب للحركة الثقافية أن يكون على بينة من حدودها ومضامينها ولو على وجه العموم.

ولكن مقنضى البحث العلمي المنهجي يفرض أن نبين ما نقصده من بعض تلك المصطلحات، وبالتحديد تلك التي اشتمل عليها بحثنا خاصة، لسلامة تناولنا للمادة العلمية وصرفها الى القصد المراد ولا نتوسع في الشرح إلا بما يخدم ذلك الغرض الذي نهدف إليه

أولاً: المشكلة:

المشكلة مصدر مؤلّد من شكّل الأمر بمعنى التبس، أو من شكل اللون: خالطه لون غيره. ^(١)

١ مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط مادة. «شكل».

فالإطلاق اللغوي والعُرفي لهذه اللفظة ينصرفان الى الأمر الذي لم يُفهم ولم تتبين حقيقته، أو الى الأمر الذي اشتركت فيه عدة عناصر مختلفة، أو الى الأمر الذي يشك في حله، أو الى الذي لا يبدو له حل جليّ، أو له عدة حلول متنازع فيها. ونحو ذلك مما يحمل مضمون التساؤل عن أمر ملتبس يحتاج الى حل ما.

وليس هذه اللفظة - المشكلة - اطلاق اصطلاحى عند أهل فن من الفنون - فيما علمت - إلا ما يطلق عليه أهل الأصول: المجمل، وأهل المنطق: القضية

يقول الأصوليون: المجمل هو:

ما يتوقف فهم المراد منه على غيره، إما في تعيينه أو بيان صفته، أو مقداره. ^(١)

وهذا الاصطلاح قريب جداً في الحقيقة من مفهوم لفظة - مشكلة - لاشتراكهما في الحاجة الى التبيين.

ويقول المناطقة:

القضية: قول مكون من موضوع ومحمول، يحتمل الصدق والكذب لذاته، ويصح أن يكون موضوعاً للبرهنة. ^(٢)

١ - محمد بن صالح العثيمين. الأصول من علم الأصول. ص: ٣٢ وانظر: الامام الغزالي: المستصفى من علم الأصول. الجزء الأول. ص: ٣٤٥ وما يليها.

ابن تيمية. مجموع الفتاوى. الجزء السابع. ص: ٣٩١ - ٣٩٣

٢ - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط مادة. قضى.

وهذا اصطلاح قريب أيضاً من مفهوم لفظ - المشكلة - التي عرفنا من اشتقاقها اللغوي أنها تفيد الالتباس، وكذا جانب من مصطلح - القضية - هنا.

والظاهر أن بين هذه العبارات الثلاث وربما بينها وبين غيرها أيضاً مثل: الاشكال، والمسألة، والمعضلة عموم وخصوص، وليست بمترادفة.

وفي هذا البحث سأصرف مصطلح - المشكلة - الى المعنى اللغوي المتقدم، وما يضاف إليه من الاطلاقات العربية الحديثة دون التقييد باصطلاح الأصوليين في المجلد أو المناطقة في القضية ثانياً: **الفقر:**

الفقر: مصدر فقر، فهو فقير، والفقير المحتاج.

فالفقر ضد الغنى^(١) وهو:

عبارة عن فقد ما يحتاج إليه، أما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقراً^(٢)، وقد ذكر الله سبحانه الفقر، والفقير، والفقراء في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿الشیطان يعدكم الفقر﴾^(٣)، ﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾^(٤) ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾^(٥).

١ مجالدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط مادة. «فقر».

٢ الشريف الجرجاني. كتاب التعريفات. مادة. «فقر».

٣ - سورة البقرة. الآية: ٢٦٨

٤ - سورة الحج. الآية: ٢٨

٥ - سورة التوبة الآية: ٦٠

قال ابن تيمية: (١)

«الفقيه الشرعي المذكور في الكتاب والسنة الذي يستحق من الزكاة والمصالح، ونحوهما، ليس هو الفقير الاصطلاحي الذي يتقيد بلبسة معينة، وطريقة معينة، بل كل من ليس له كفاية تكفيه وتكفي عياله فهو من الفقراء والمساكين.

وقد تنازع العلماء: هل الفقير أشد حاجة، أو المسكين؟ أو الفقير من يتعفف، والمسكين من يسأل؟ على ثلاثة أقوال لهم. واتفقوا على أن من لا مال له، وهو عاجز عن الكسب فإنه يعطى ما يكفيه، سواء كان لبسه لبس الفقير الاصطلاحي، أو لباس الجند والمقاتلة. (٢)

والفقر بتلك الصفة من العلل الاجتماعية الشديدة التي تفتك بالنعوع البشري.

وقد عرفه الانسان منذ غابر الأزمان بدرجات مختلفة، فكان الفقر تتسع رقعته وأثره باتساع الغزو والسلب للمجتمعات أو

١ - ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحاراني الحنبلي: شيخ الاسلام تقي الدين. محدث. حافظ، مفسر، فقيه، مجتهد. ولد سنة ٦٦١هـ. وتوفي بدمشق سنة ٧٢٨هـ.

أنظر: شمس الدين الذهبي. تذكرة الحفاظ الجزء الرابع ص: ٢٧٨ - ٢٧٩

٢ احمد بن عبدالحليم بن تيمية. مجموع الفتاوى الجزء الثامن والعشرون. ص: ٥٦٩ - ٥٧٠

القبائل، أو العشائر المنهزمة، وتضييق رقعته وأثره في مثيلاتها المنتصرة.

وقد تعرض له بالوصف والبحث مفكرون وفلاسفة منذ العصور القديمة قبل الاسلام كما سنبينه فيما بعد.

وتعرض له الرسل السابقون من خلال دعوتهم الى انقاذ الانسان في الدنيا والآخرة، وحثهم على العدل وفعل الخيرات، والانفاق في سبيل الله، ورفع الظلم والغبن، وتوليهم فصل المنازعات في أقوالهم. مما هو مبثوث في قصص الأنبياء.

أما الاسلام الذي ختم الله به تعالى الرسالات، فكان الأمثل والأكمل في الدعوة الى تجاوز الفقر بالقناعة، وبالترغيب في طلب الرزق الحلال بالاكْتساب والكدح، ويمدح العطاء في سبيل الله تحقيقاً للتكافل بين المؤمنين، فضلاً عما قسمه لأهل الحاجات من أنصبة معلومة من أموال اخوانهم الأغنياء. وذلك ما دفعني الى اعتبار الاسلام النموذج الفريد لتجاوز مشكلة الفقر وحلها من خلال احكامه وتوجيهاته الآتي تفصيلها.

وأيضاً لم تخل البشرية الضالة عن الهدى، في العصر الحديث والمعاصر من بذل الجهد في علاج مشكلة الفقر من وجهة نظرها، وذلك لاحتساسها بخطر تلك المشكلة وتهديدها النوع الانساني في حياته، وسعادته، وأمنه، وسائر ضروب معيشته، ولكن لقصر تلك الأنظمة والمذاهب والافكار الذاتي لم تدان الصواب في علاجها وأنّى لها ذلك!!

إن الفقر وما يجره من عواقب، لم يكن وليد عصر معين، ولكنه ظاهرة تاريخية تشتد وتضعف حسب المناخ، والأنظمة الاجتماعية، وقد أصبح في هذا العصر مشكلة بل أعتى مشكلة تواجه مئات الملايين من البشر، خصوصاً في بلاد المسلمين، بما يعنيه من حرمان، وتحلف، وجهل، ومرض وفساد، وانحراف، وغبن وتسلط.

ان الفقر في حقيقته ليس مجهولاً لأحد ولكن ربما جهل الناس أن يكون الفقر مشكلة خانقة في بلاد المسلمين، وفي رقعة واسعة من العالم أجمع في هذا العصر، بما يسببه من تلك الويلات على أصعدة كثيرة، لذلك فنحن نحتاج الى شرح المقصود بمشكلة الفقر، وما يتصل بها من المظاهر، والعوامل والآثار الواقعة في بلاد المسلمين على وجه الخصوص، للوقوف على جلية الأمر، وهذا ما قمت به في الباب الأول من هذا البحث.

ثالثاً: العلاج:

والعلاج مصدر عالج الشيء علاجاً ومعالجة: زاوله، وداواه^(١) والعلاج: اسم لما يعالج به^(٢) اذن فالعلاج يحمل معنى الدواء، ومعنى المزاولة والممارسة للشيء، ومعنى حل المشكلة الموجودة، وتصويب وضعها وأكثر استعمال هذه اللفظة يقع بين منتسبي شئون الصحة والطب،

١ - مجد الدين الفيروز آبادي. قاموس المحيط. مادة. علاج.

٢ - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. مادة. علاج.

لاتصالهم بمحتاجي الدواء والتقويم والرعاية ونحوهم من أصحاب الإصابات، والأمراض، والعاهات، وغيرها من الأحداث الطارئة على بدن الانسان ونفسه والمستحقة للعلاج، كما هو معروف في عالم الطب والتمريض. ونحن حينها نستعمل لفظ «العلاج» في هذا البحث ونربطه بمشكلة الفقر، نحمله على معنى التعامل مع تلك المشكلة، بما تحويه كلمة التعامل من دلالات والتي منها:

- النظرة الى المشكلة.
- طرق التعامل معها
- وسائل ذلك التعامل.
- مضمون ذلك التعامل.

فلا نقصد واحداً فقط من تلك الدلالات، وانما نقصد مجموعها لترابطها أولاً، ثم لاحتياج مشكلة الفقر لها جميعاً. وهكذا فالمراد بعلاج مشكلة الفقر ما أعد لها من جميع الجوانب النظرية والتطبيقية

رابعاً: النظم الوضعية:

تأتي مادة «نظم» في اللغة لتدل على التأليف وضم شيء الى شيء آخر، فنظم اللؤلؤ ينظمه نظماً ونظاماً، ونظمه بمعنى ألفه، وجمعه في سلك، فانتظم وتنظم، والنظام كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه.^(١)

١ - مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط مادة: نظم.

فالكلمة (نظم) إذا تطلق على الشيء الذي يراعى فيه الترتيب والانسجام والارتباط، وهي بهذا تشبه العقد من حيث انتظام أحجاره بعضها مع بعض، وكذلك نظم أي مجتمع، أو أية دولة، تتكون من مجموعة المبادئ والتشريعات والأعراف وغيرها من الأمور التي تقوم عليها حياة المجتمعات والدولة وبها تنتظم أمورها. والنظم بذلك التعريف العام تنقسم الى قسمين اثنين من ناحية الأصل والمصدر:

القسم الأول: النظم الاسلامية، ومصدرها الاسلام، منه تنهل أحكامها وقوانينها؛ واليه تعود في جميع فروعها بلا شذوذ ولا استثناء، اذ هو الذي يعطينا صفتها الاسلامية.

القسم الثاني: النظم الوضعية، ومصدرها العقل البشري ومهما بلغ العقل البشري من العلم والمعرفة، فإنه يبقى أبد الدهر محدود الأفق، فلا يمكنه أن يتخطى بحق حجب الزمن فيبتكر نظماً تصلح للبشرية في كل زمان ومكان، لأن وظيفته - بمقتضى غاية خلقه - ليست تلك، وإنما هي الايمان، والادراك، والفهم، والاستيعاب لآيات الله، الخالق سبحانه وتعالى، المتلوة والمنظورة، والاتباع والانقياد لما استأثر الله تعالى به من أمر وحكم، وكلما ادعى العقل البشري لنفسه ذلك الحق - وهو المحدود القاصر - جاءت نتيجة جهده ضلالات وأوهاماً^(١)

قال تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾^(٢)

١ - أنظر: المصدر السابق نفسه.

٢ - سورة يونس. الآية: ٣٢

اذن . فالنظم الوضعية هي ما وضعه الانسان من عقائد،
وتشريعات، ومبادئ وقيم في غيبة عن الاستهداء بهدي الله تعالى .
والنظم الوضعية بذلك عديدة عبر التاريخ الانساني الطويل،
وهي في زمننا المعاصر كذلك عديدة، ولكننا سنتكفي بأهم نظامين
معاصرين منها هما:
- النظام الرأسمالي .
- والنظام الشيوعي .

ويهمني من هذين النظامين ما يتعلق بالقضية التي نحن
بصددتها وهي معالجة مشكلة الفقر، لذا سأقتصر منها على الجوانب
التي لها صلة بهذا الموضوع .

المبحث الثاني

الفقر في مفهوم الفلسفات القديمة والديانات المحرّفة
«نماذج مختصرة»

أولاً: الفلسفة الشرقية:

كانت أمم الشرق القديم في الهند والصين وما جاورهما، بل
مازال أكثرها الى الآن، يزخر بأنماط هائلة من المذاهب والنحل
والفلسفات الوضعية، ذات التعاليم والطقوس الغريبة والعجيبة،
التي تنبئ عن مدى التخبط الذي يمكن أن يقع فيه الانسان اذا ترك
وعقله منعزلاً عن الاستهداء بوحى الله تعالى .

ولقد تعرض أصحاب تلك الفلسفات الى الفقر ومعاناة بني
الإنسان لمشكلته، وحاولوا من خلال ما سنوه من أحكام، وما وضعوه
من طقوس، وما بثوه من دعوات أن يعالجوا تلك الآفة الاجتماعية
الخطيرة من وجهة نظرهم، وأبرز أولئك (بوذا).

دعا «بوذا» مؤسس الديانة البوذية في القرن السادس قبل
الميلاد، الى اتخاذ حياة الزهد والتَّسْك، واستئصال شأفة مآرب
الانسان، واجتثاث أصلها، والقضاء على كل تطلع له نحو
الأفضل. (١)

لقد اعتبر «بوذا» الفقر مقدساً، وهبة لتخليص الانسان من
الشُرور والآثام، والميول الدنيوية
ولم يكتف «بوذا» بالمواعظ النظرية، بل مارس تلك الحياة
بنفسه فهجر قصره، وملكه وثروته، ولبس لباس الفقراء، وشاركهم
في ألوان معيشتهم، وأقرهم على وضعهم وما يعانون من حرمان
وبؤس، وجعله سبيلاً لهم ولغيرهم للتنقية من التطلعات الانسانية
المادية البغيضة جملة وتفصيلاً. (٢)

١ - أنظر: محمد اسماعيل الندوي. الهند القديمة ودياناتها. طبعة دار الشعب.
مصر ١٩٧٠م. ص: ١٤٦ وما يليها.

أبو النصر أحمد الحسيني. مساهمة الهند في قضايا مآرب الانسان الاقتصادية.
طبعة دار الاعتماد. مصر بدون ص: ٩

٢ - محمد اسماعيل الندوي. الهند القديمة ودياناتها. ص: ١٤٦ وما يليها
(المرجع السابق).

وتبع «بوذا» في هذا المسلك عدد من مجدي الديانة (البرهمية)
بنواحي شبه القارة الهندية.^(١)

وأيضاً قلده في الصين داعية الديانة (التاوسية) وأنصارها في
القرن الرابع قبل الميلاد.^(٢)
ثانياً: الفلسفة الاغريقية:

كان الاغريق أمماً وثنية، وقد نبغ فيهم عدد كبير من الفلاسفة
الذين بحثوا في شئون الاجتماع والأخلاق والسياسة. ونحوها،
وقرروا قواعد ووضعوا مبادئ، أوصلهم إليها جهدهم التأملي البعيد
عن الاهتداء بتنزيل من الله تعالى.

وبخصوص أمر الفقر الذي نحن بصدد بحثه، فقد تنوعت
مباحثهم فيه بين مقدس للحرمان، ولقهر شهوات الجسم، والرغبة
في استئصال كل نزوع نحو النزوات ولو كانت الحاجات الأساسية
للجسم، وتمجيد حياة التقشف والحرمان، والصبر عليها الى آخر
المطاف^(٣)

١ أبوالنصر الحسيني. مساهمة الهند. ص: ٩. المرجع السابق.

٢ - محمد اسماعيل الندوي. الهند القديمة. ص: ١٨١ المرجع السابق.

٣ - أكثر ما يمثل هذا الموقف الفيلسوف «زينون» (توفي سنة ٢٦٤ ق. م) الذي
تنسب اليه الفلسفة الرواقية

أنظر: يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. ص: ٢٢٣ - ٢٣٣ توفيق

الطويل. فلسفة الأخلاق ص: ١٠٦ - ١٢٨، عبدالحميد لطفي. علم

الاجتماع ص: ٢١١ - ٢١١

وبين نبذ الفقر ومحاربتة، واعتباره شراً محضاً يحول دون سعادة الانسان، التي يجب أن تقوم على مبدأ اللذائذ الحسية فقط، فكل شيء يفوت تلك اللذة المادية يجب القضاء عليه وعدم اعتباره، واعطاء القيمة كل القيمة لما يخدم حالة الغنى والترف والشهوة.^(١)

ثالثاً: فلسفة اليهود:

لقد بعث موسى عليه السلام الى بني اسرائيل يدعوهم الى عبادة الله تعالى، وتحكيم ما نزل اليهم في شئون حياتهم، بإقامة العدل والانصاف والمساواة، والتعاون على فعل الخير والاحسان، واشاعة التكافل والمواساة بين جميع الأفراد، واىثار الآخرة على الدنيا.

قال تعالى: ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني

اسرائيل﴾^(٢)

ولكن بني اسرائيل مالبثوا أن تمردوا على تلك الدعوة وتركوا اتباع شرع الله تعالى واستكبروا في الأرض، وأغرقوا في متع الحياة المادية بلا ضابط ولا رقيب.

١ - أكثر ما يمثل هذا الاتجاه الفيلسوف «إبيقور» (توفي سنة ٢٧٠ ق. م) في أول أيامه، وهو الذي تنسب اليه الفلسفة الإبيقورية.

أنظر: يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية ص: ٢١٥ - ٢٢٢ توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق ص: ١٢٩ - ١٣٧، عبد الحميد لطفى. علم الاجتماع ص: ٢١٢، ول ديورانت. قصة الفلسفة ص: ١٢٩

٢ - سورة الإسراء. الآية: ٢

ومن ثمة عرف اليهود بأشهر صفة لصقت بهم في كل عصور التاريخ التالية الى اليوم، وهي جشعهم البشع، ونهمهم الذي لا يشبع ولا يرتوي الى المال والكسب الحلال والحرام.

لقد كان هاجس الفقر يطاردهم - فيما يحسبون - فعمدوا الى أرذل الأساليب لدفع غائلته، وتكديس الثروة في طريقه.

لم يتوان اليهود عبر تاريخهم الطويل من اغتصاب أراضي وأموال خصومهم، وتحويل من يقع في أيديهم من المحاربين وغيرهم الى عبيد لهم وخدم في تجاراتهم ومشاريعهم.

كما مارسوا الربا والرشوة، والسرقه والكذب، والقتل والفسق. لأجل الحصول على المال والثروة. ولم يتورعوا عن استغلال حتى فقر الفقراء أسوأ استغلال وأبشعه لأجل ثرائهم وترفهم..^(١)

ولو أخذنا في تفصيل حال اليهود مع المال، ونهمهم في جمعه لطلال الحديث وحسبنا تلك الاشارات الأنفة، اذ فيها غنية لافادة خوف اليهود من الفقر، واعتباره ألد أعدائهم، وسعيهم الدائب

١ - انظر: زكي شنودة. المجتمع اليهودي. ص: ٣٩٣ - ٣٩٧ و ص: ٤٩٥ وما يليها. وفيه نصوص كثيرة عن تلك الأعمال من كتب اليهود أنفسهم. ولا بد من الإشارة الى أن القرآن الكريم قد فضحهم وكشف خبايا نفسياتهم في آيات عديدة جداً.

بشتى الطرق الممكنة - ولو كانت تنال من الفقير نفسه وتزيده فقراً -
لكنز الأموال الطائلة، والتكالب للسيطرة على مصادر الثروة في بقاع
الدنيا

رابعاً: رهبانية النصارى:

لقد بعث الله تعالى في بني اسرائيل المسيح عيسى بن مريم عليه
السلام، يدعوهم الى الهدى، فانحرفوا عن دعوته، وبدلوا ما جاءهم
به حتى كادوا لم يبقوا شيئاً مما بعث به المسيح عليه السلام.
ومما أقروه من عند أنفسهم نظام الرهبنة قال تعالى: ﴿ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق
رعايتها﴾^(١)

ونظام الرهبنة أساسه:

تعذيب الجسد، والحياة بتقشف وحرمان، وقهر الشهوات قهراً
مبرماً، ونبذ مظاهر الاعتدال في الأكل والشرب واللباس والاكْتساب
لأجل الرزق - فضلاً عن الغنى والترف - وممارسة أشد أنواع القسوة
المعاكسة للفطرة الانسانية، كترك الغذاء، وابداله ببعض الأعشاب
ونحوها، وترك النظافة أعواماً، وترك الكساء الا من أوراق الشجر
وترك الزواج ومخالطة الناس، والأخذ بالعزلة عن الحياة المدنية بشتى
ضروبها، والفرح بالفقر والفاقة، والتلذذ بالحرمان والاحتياج،
والاعتزاز بالقذارة، والأمراض، والجوع، والعراء وظلمة الكهوف

١ - سورة الحديد. الآية: ٢٧

والأديرة. لأجل ما يزعمه الرهبان - باطلاً - ويسمونه عبادة،
وتطهيراً للنفس وصقلاً للروح.^(١)

تلك اطلالة عن موقع أشهر الفلسفات القديمة والديانات
المحرفة - قبل الاسلام - من الفقر - تبرز من خلالها محاولة تلك
الاتجاهات التعامل مع مشكلة الفقر في معزل عن المنهج الحق،
فوقعت في الاضطراب الشديد والتطرف المقيت، سواء في حالي
التفريط والافراط فلم تراع فطرة الانسان ولم تقدر الموازنة بين
امكاناته واحتياجاته، ولم تدعن لأمر الخالق سبحانه العليم بخلقه،
والمنزّل لهم ما يصلح حالهم في الحياتين، فألت الى ذلك القصور
المذكور، وما زال هو بعينه مآل كل الاتجاهات الوضعية الحديثة
والمعاصرة.

١ - ترجع أصول الرهبنة الى زمن متقدم في تاريخ المسيحية المحرّفة، اذ يوجد
تحسين الخِصاء وعدم لمس النساء، في كتبهم الأولى، أنظر: سعيد عبدالفتاح
عاشور أوروبا العصور الوسطى الجزء الأول ص: ١٥٨
عن انجيل متى. الاصحاح التاسع عشر ١٢، وعن العهد الجديد.
الاصحاح السابع ١، ثم تطورت الرهبانية الى الوضع الذي وصفته،
خصوصاً بعد تأثرها بالفلسفات الشرقية في عهد «أفلوطين»، "توفي سنة
٢٧٠م" فتوسع اتجاهها وتعمق، وأصبحت ردة فعل عما تعج به المجتمعات
الرومانية من ترف وفجور
أنظر: المصدر السابق نفسه الجزء الأول ص: ١٥٨-١٧٧، أبو الحسن
الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص: ١٦٥ ومايلها.

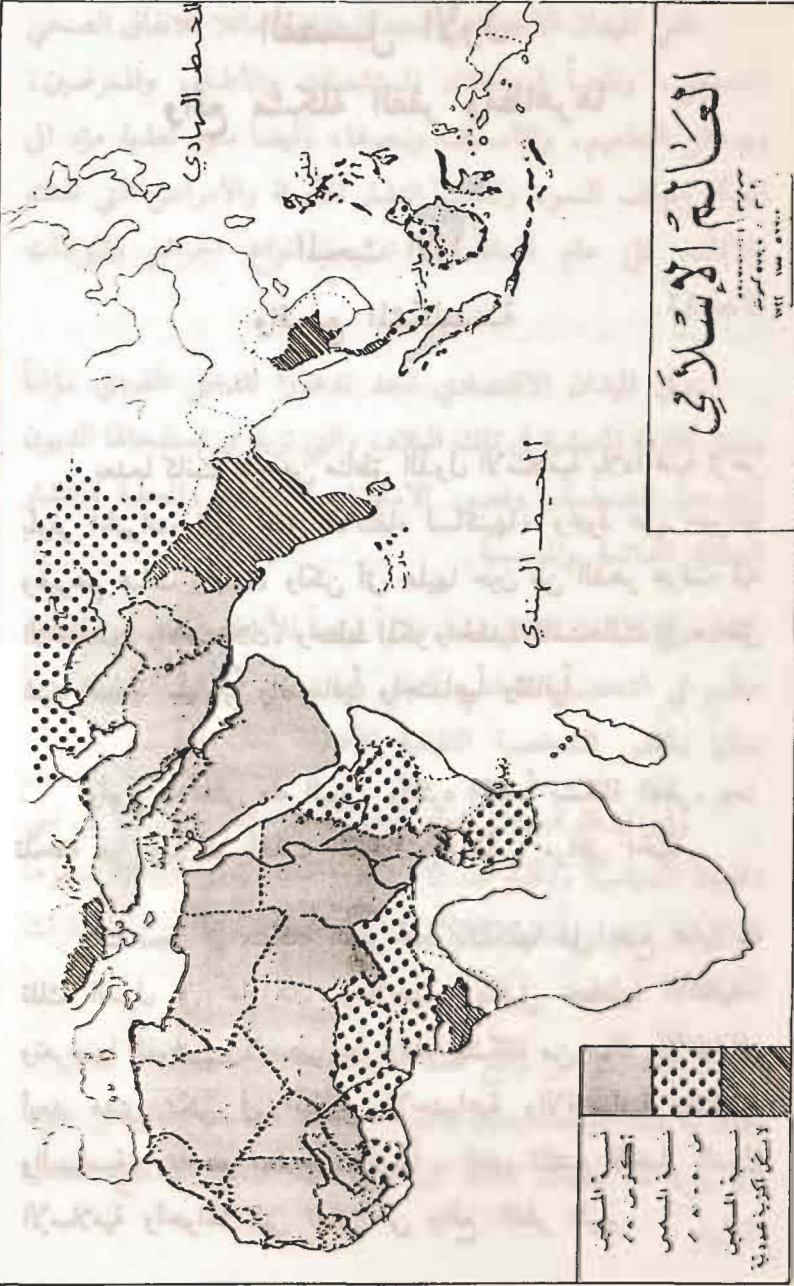
ان الاسلام - كما سنبينه^(١) - يبرز من بين ذلك الركام متميزاً في نظرتة لمشكلة الفقر، وأسس علاجها، ووسائل ذلك العلاج مما يجعله - كما كان دائماً - أمل الفقراء في تجاوز مشكلتهم، وأمل الأغنياء في السلامة من طغيان المال.

١ - أنظر الباب الثاني ص: ١٩٩

الباب الأول
مشكلة الفقر في بلاد المسلمين
«واقعها، عواملها . وآثارها»

العالم الإسلامي

الطبعة الأولى: ١٩٥٤
 الطبعة الثانية: ١٩٥٤
 الطبعة الثالثة: ١٩٥٤



البحر الهندي

البحر الهندي

الصدر: أطلس العالم الإسلامي بأثرنا د. وليد صابون
 ط. دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

الفصل الأول

واقع مشكلة الفقر ومظاهرها

المبحث الأول

واقع المشكلة

بعدها كانت كثير من مناطق الدول الاسلامية بلاداً غنية تزخر بأوفر الخيرات التي تحقق الاكتفاء لساكنيها، وتجود على جيرانها وغيرهم هبات وتجارة، ولكن أتى عليها حين من الدهر عرفت فيه الاحتلال، والاستغلال، وخطط المكر والحقد، فاستحالت الى مناطق شبه محطمة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً.

وأبرز ما تعاني منه اليوم، وأكثره إلحاحاً مشكلة الفقر، وما تلحقه من ويلات بأغلب السكان، وأغلب مرافق الحياة.

اننا نجد أن مشكلة الفقر تحط بكلكلها على جميع محاولات تلك الدول في تجاوزها، وعلاجها، فتكبل خططها الانمائية، وتعرضها للفوضى والاضطراب، وتمتد المشكلة من هناك بآلامها الى أبعد مدى ممكن في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، مما هو معلوم - تقريباً - لدى المتتبع لأخبار الدول الإسلامية وأحوالها التي تعاني من واقع الفقر المرير.

ففي الميدان الاجتماعي نجد انخفاضاً هائلاً للانفاق الصحي العمومي، ونقصاً في أعداد المستشفيات والأطباء، والمرضى، ووسائل التطعيم، والإسعاف ونحوها، وأيضاً سوء تغذية مؤد إلى الهزال وتوقف النمو، وكذلك انتشار للأوبئة والأمراض التي تفتك بالآلاف كل عام إضافة إلى تسرب أنواع الجرائم والموبقات الأخلاقية

وفي الميدان الاقتصادي نجد تدهوراً للدخل الفردي مؤذناً بعمق الأزمة المعيشية في تلك البلاد، والتي تزيد في استفحالها الديون الخارجية الضخمة، وقصور الامكانيات الزراعية والمحلية وانتشار البطالة الدائمة والموسمية.

وفي الميدان الثقافي نجد فشواً مرعباً للأمية، فضلاً عن تقاصر عظيم في التحصيل العلمي العالي وما دونه، وغزواً ثقافياً خارجياً منظمًا يناقض الشخصية الثقافية الأصيلة لتلك الدول.

وفي الميدان السياسي نجد فوضى وصراعات واضطراباً في تبني الخطط السياسية والخيارات الاقتصادية الداخلية والخارجية تنتهزها كل حين الدول الغنية لإملاء شروطها والحصول على الامتيازات المجحفة.

والحديث عن واقع هذه المشكلة ببلاد المسلمين لا يمكن أن يحيط به هذا المبحث بحال لاتساعه وتعدد جوانبه، ولكن لن يفوتنا أن نورد منه لمحات ناطقة عما يجري فيه ضمن النماذج المختارة التالية:

- أولاً: نموذج من البلاد الاسلامية في آسيا.
ثانياً: نموذج من البلاد الاسلامية في أفريقيا.
ثالثاً: نموذج من الأقليات الاسلامية في العالم.

أولاً: نموذج من البلاد الاسلامية في آسيا:

أفقر الدول الاسلامية التي تعاني من مشكلة الفقر في قارة آسيا عددها أربع^(١) أبرزها في الوقت الراهن بنغلاديش، التي اضافة الى العوامل الطبيعية وما تسببه من أزمات حادة في الغذاء والسكن فإن العوامل الداخلية والخارجية قد فجرت فيها مشكلة الفقر بشكل حاد يفوق غيرها من الدول الاسلامية الآسيوية خصوصاً بعد انفصالها عن باكستان عام ١٩٧١م، لذا فقد اخترتها لتكون النموذج المراد الحديث عنه بالنسبة لقارة آسيا.

بنغلاديش:

تقع في شرق شبه القارة الهندية على خليج البنغال، وتمتد على مساحة تزيد على ١٤٢ ألف كلم، ويقطنها أكثر من ٨٢ مليون نسمة، صنفتها الأمم المتحدة^(٢) في قائمة أفقر دول العالم وأكثرها تخلفاً، وكانت نسبة الفقر فيها تصل الى ٧٤٪ بين السكان وهي ثاني

١ - هي اضافة الى بنغلاديش: افغانستان، واليمن، نيبال صبحي الطويل، الحرمان والتخلف. ص: ٢٩. المرجع السابق.

٢ - مجلة صحة العالم. عدد حزيران ١٩٨٢م.

أعلى نسبة فقر بقارة آسيا جميعها وذلك بعد جاوه باندونيسيا ٨٠٪ من السكان.^(١)

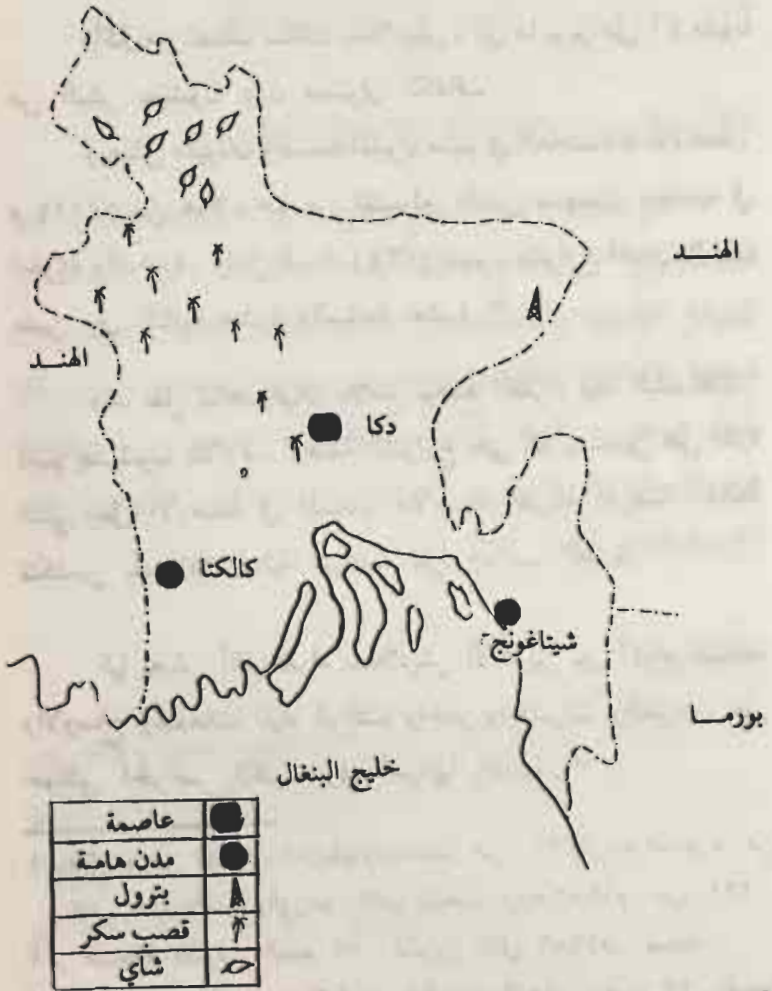
وأكثر من نصف سكان بنغلاديش، أي ما يربو على ٤١ مليوناً من البشر يعيشون دون مستوى الكفاف. ويعيش مليونان ونصف المليون منهم في العاصمة (دكا) فقط، و (١٠٪) من هؤلاء هم من المتسولين الذين يسهمون بنصيب في الجريمة والدعارة، وتمثل النساء (٣٤٪) منهم، وتتراوح أعمار (١٢٪) منهن بين الثانية عشرة والسابعة عشرة.^(٢)

وقد نقل شاهد عيان ملامح لوضع الفقراء بهذا البلد فقال: انهم يفترشون بالألاف أرصفة الشوارع حتى أنه يستحيل على المارة المشي على الأرصفة في المساء، فالأجساد الهزيلة المريضة الجائعة تتكدس بأسمالها البالية متراسة على جوانب الطريق.^(٣)

كما يعيش أكثر فقراء بنغلاديش الآخرين بين أكوام القمامة والأوساخ وتجمعات المياه الراكدة والحفر والحشرات والفتران، على حواشي الحواضر الكبيرة وفي أحيائها القديمة^(٤)

-
- ١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف. ص: ٣٠ (المرجع السابق). عن كتاب حالة الأغذية والزراعة، الأمم المتحدة. روما ١٩٨٢م. ص: ١٣٢
 - ٢ - صحيفة الأنوار العدد ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٢م. بيروت.
 - ٣ - الشاهد هو نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف. ص: ٢٧ المرجع السابق.
 - ٤ - المصدر نفسه. ص: ٤٣.

خريطة بنغلاديش^(١)



١ - أطلس العالم الاسلامي . باشراف دولت صادق . ط دار البيان العربي .

جده: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . ص: ٥٧ - ٥٩ .

وقد نشرت صحيفة (الاتفاق) اليومية البنغلاديشية تقريراً عن سماسرة أخذوا عدة آلاف من فتيات بنغلاديش - كثيرات منهن كن يمارسن مهنة (الشحادة) الى باكستان، لينقلوهن بعد ذلك الى دول ذات ثراء.^(١)

فمشكلة الفقر بينغلاديش ليست خافية في حقيقتها، اذ لا يكاد يمر الأسبوع دون أن تنقل وسائل الاعلام أخباراً عن معاناة مسلمي بنغلاديش من الجوع، والعراء، وقلة المأوى، وسوء الحالة الصحية. وهنا نعرض بعض الاحصاءات الدالة على عمق مشكلة الفقر بينغلاديش ومرارة واقعها الأليم:

أ - الاقتصاد:

النقاط التالية تغني عن الاطالة في الحديث عن معضلة الاقتصاد البنغلاديشي مع الفقر:

- الدخل الفردي الحقيقي في بنغلاديش لا تتعدى قيمته (١١٠) دولارات فقط في المتوسط سنوياً، في حين هو في الكويت (١٥٤٨٠) دولاراً، وفي الامارات العربية المتحدة (١٣٩٩٠) دولاراً^(٢)

١ - صحيفة الأنوار بيروت العدد ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٢م. نقلاً عن وكالة رويتر للأنباء.

٢ - الندوة العالمية للشباب الاسلامي. الاسلام والحضارة. أبحاث مؤتمر ١٣٩٩هـ الجزء الثاني. ص: ٤٥١. المرجع السابق.

استوردت بنغلاديش من الحبوب آلاف الأطنان لتغطية احتياجاتها منها، فبلغت:

- عام ١٩٧٤م: ١٨٦٦ ألف طن.

- وعام ١٩٨٤م: ٢١٣٦ ألف طن.^(١)

وحصلت على مساعدات دولية من الحبوب تقدر بآلاف

الأطنان:

- في عام ١٩٧٤م حصلت على ٢٠٧٦ ألف طن.

- وفي عام ١٩٨٤م حصلت على ١١٦٣ ألف طن.^(٢)

ورغم ذلك مازالت تعاني نقصاً في الوفاء بإطعام جياعتها الملايين، وبخصوص امكانيات العمل في بنغلاديش، هناك نسبة واحد لاثنين من السكان، أي شخص واحد يعمل ويعيل اثنين لا يعملان.^(٣)

ب - الصحة:

تطلعنا الاحصاءات المنشورة عن واقع جد أليم في الميدان الصحي بينغلاديش، حتى أن المرء لا يكاد يصدق وهو يسمع ويقرأ عما يجري في الدول الصناعية من تقدم هائل في وسائل الرعاية الصحية وأساليبها.

(٢،١) - البنك الدولي. تقرير عن التنمية في العالم. ١٩٨٦م. ص: ٢٠٨

لوحة ٦ (مرجع سابق).

٣ - نبيل صبحي الطويل: الحرمان والتخلف. ص: ٧٨ مرجع سابق.

- الانفاق الصحي في بنغلاديش في أوائل الثمانينيات كان (٠,٠٤) من الدولار لجميع الخدمات الصحية لكل مواطن في العام الواحد.^(١)
- عدد السكان لكل طبيب.^(*)

١٩٨١م	١٩٦٥م
٩٠١٠	٠٠٠

(٢)

- عدد السكان لكل ممرض

١٩٨١م	١٩٦٥م
١٩٤٠٠	٠٠٠

(٣)

- عدد الحريات اليومية لكل ساكن احصاء ١٩٨٣م.

نسبتها % من حاجيات الفرد	الجملة
٨١	١٨٦٤

(٤)

١ - مقابل ذلك مثلاً في السويد عام ١٩٧٦م كان الانفاق ٥٥٠ دولاراً لكل مواطن في العام، انظر: نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف ١٠٥

(٤،٣،٢)-البنك الدولي تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٦م ص: ٢٥٢ لوحة ٢٨

(*) - توجد جداول بقسم الملاحق بآخر الجزء الثاني من هذا الكتاب، بها آخر الاحصاءات الصادرة حتى نشر هذا الكتاب، يجد فيها المطلع المزيد من المعلومات الدالة على تفاقم مشكلة الفقر وآثارها في عالمنا الاسلامي.

- متوسط السرعات المتاحة أقل من ٢٠٠٠ سعرة يومياً أي ١٨٤٠^(١)، ولا يحصل الأطفال بها دون سن الثالثة من العمر الا على ٤٦٪ فقط من حاجتهم من السرعات، و ٦٨٪ من البروتين اللازم، و ١٧٪ من الأطفال دون الرابعة يعانون من نقص حاد في التغذية يؤدي الى الهزال، والنقص المزمن يؤدي الى توقف النمو^(٢).

- في بنغلاديش: حوالي مائة ألف مصدور جديد مصاب بمرض السل أو التدرن كل عام^(٣) وأمل الحياة عند الولادة لا يتعدى بالنسبة للرجال ٥٠ سنة حسب احصاء ١٩٨٤م وهو في السويد مثلاً ٧٤ سنة، وفي اليابان ٧٥ في التاريخ نفسه.

وهذا تفصيله بالنسبة لبنغلاديش:^(٤)

النساء

١٩٨٤م	١٩٦٥م
٥١	٤٤

الرجال

١٩٨٤م	١٩٦٥م
٥٠	٤٥

- ١ - المعدل المطلوب مقداره (٣٠٠٠) سعرة في اليوم الواحد.
- ٢ - نبيل صبحي الطويل: الحرمان والتخلف ص: ٦٦ مرجع سابق. عن: حالة الأغذية والزراعة في العالم ١٩٨١م ص: ٨٨.
- ٣ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف ص: ١٠٤ مرجع سابق.
- ٤ - البنك الدولي. تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٦م. ص: ٢٥٠ لوحة ٢٧ مرجع سابق.

عدد الموق الأطفال - لكل ألف - من عمر سنة واحدة الى ٤ سنوات		عدد الموق الأطفال أقل من سنة من العمر لكل ألف	
١٩٨٤م	١٩٦٥م	١٩٨٤م	١٩٦٥م
١٨	٢٤	١٢٤	١٥٣

(١)

ج - التعليم:

يتضح من خلال نسب الأمية في بنغلاديش تدهور الوضع التعليمي بها، إذ أكثر من ثلاثة أرباع السكان هم من الأميين - رغم يسر رفع الأمية - فما بالك بالمجالات العلمية العالية والمتخصصة، تلك لا تكاد الاحصاءات تذكرها لانعدامها:

- نسبة الأمية في بنغلاديش بالنسبة لمجموع السكان تصل حسب

احصاء عام ١٩٧٥م الى ٧٨٪^(١).

- نسبة الأمية بين السكان الذين يتجاوزون من العمر العشر سنوات:

١ - المصدر السابق نفسه

٢ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف ص: ٧٦. مرجع سابق. عن

التقرير السادس عن الحالة الصحية في العالم. الجزء الأول. ١٩٨٠م منظمة

الصحة العالمية. جنيف.

المتوسط	الاناث	الذكور
٧٩,٣	٨٩,٠	٧٠,٠

(١)

- نسبة الأمية بين الشباب في الأعمار التالية:

الجملة	٢٩-٢٥	٢٤-٢٠	١٩-١٥
٧٤,٧	٧٩,٩	٧٥,٨	٧٣,٦

(٢)

ثانياً: نموذج من البلاد الاسلامية في أفريقيا:

أفقر الدول الاسلامية في قارة أفريقيا حسب تقرير الأمم المتحدة، الذي يضم عدد ٣٦ دولة من جميع أنحاء العالم عديدة اذ تفوق العشرة. (٣) أولها ذكراً مع جمعها بين عضوية منظمة المؤتمر الاسلامي وجامعة الدول العربية هي الصومال.

لذا فقد اخترتها لتكون هي النموذج الذي أمثل به لمشكلة الفقر بقارة أفريقيا ضمن الدول الاسلامية بها

١- الندوة العالمية للشباب الاسلامي. الاسلام والحضارة الجزء الثاني ص:

٤٥٣. أبحاث مؤتمر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. مرجع سابق.

٢- المرجع السابق نفسه.

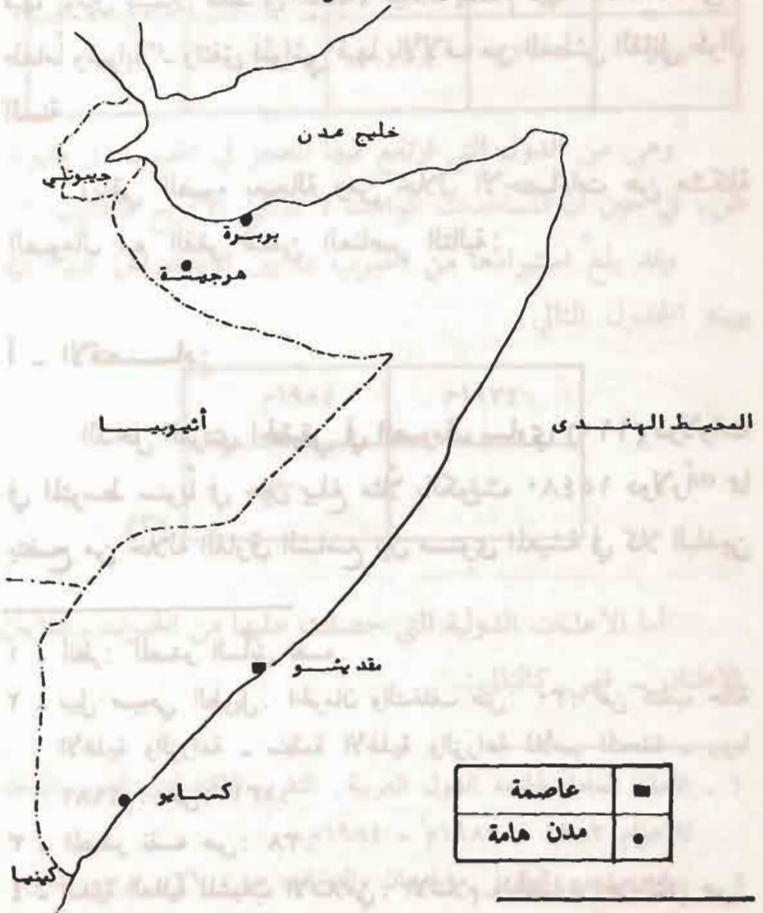
٣- مجلة صحة العالم عدد يونيو ١٩٨٢م. نقلًا عن الطويل. الحرمان والتخلف.

ص: ٢٨

الصومال:

تقع الصومال في الطرف الشرقي للقارة الأفريقية، وتمتد على مساحة تزيد على ٦٣٧ ألف كلم^(١)، ويزيد تعداد سكانها عن ثلاثة ملايين نسمة.

خريطة الصومال^(١)



١ - أصلس العالم الاسلامي. ص: ١١٤ - ١١٥. مرجع سابق.

صنفتها الأمم المتحدة^(١) في قائمة أفقر دول العالم وأكثرها تخلفاً، ونسبة الفقر بين سكانها تصل الى ٧٠٪ عام ١٩٧٦م وهي أعلى نسبة بإفريقيا كلها^(٢)

وهي إحدى دول حزام الجفاف الشديد، إذ يدوم موسم المطر فيها يومين يتيمين فقط في السنة، فيكاد ينعدم فيها الغذاء المحلي - طعاماً وشراباً^(٣) - وتنفق المواشي فيها بالآلاف من العطش القاتل طوال السنة.

ونلقي الضوء بعجالة ومن خلال الاحصاءات عن مشكلة الصومال مع الفقر ضمن العناصر التالية:

أ - الاقتصاد:

الدخل الفردي الحقيقي في الصومال يساوي (١١٠) دولارات في المتوسط سنوياً في حين يبلغ مثلاً بالكويت ١٥٤٨٠ دولاراً^(٤) مما يتضح من خلاله الفارق الشاسع بين مستوى المعيشة في كلا البلدين

١ - أنظر: المصدر السابق نفسه.

٢ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف ص: ٣٠. عن كتاب حالة الأغذية والزراعة - منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة - روما

١٩٨٢م. ص: ١٣١

٣ - المصدر نفسه ص: ٣٨.

٤ - الندوة العالمية للشباب الاسلامي. الاسلام والحضارة الجزء الثاني ص:

٤٥١. أبحاث اللقاء الرابع الرياض: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الاسلاميين، ومدى أزمة الصومال المعيشية

والصومال تعاني من معضلة الديون الخارجية التي قيمتها

بملايين الدولارات كالآتي:

١٩٨٥م	١٩٨٤م	١٩٨٢م	١٩٨١م	١٩٧٩م
١٩٠٠	١٦٠٠	١٠٧٨	٩٢٧	٥٩٧

(١)

وهي من الدول التي ارتفع فيها العجز في الحبوب الى مليون

طن، في حين أن المساعدات الواعدة لا تغطي الا ربع المطلوب. (٣)

وقد بلغ استيرادها من الحبوب بملايين الأطنان كما كبيراً كما

يبينه الجدول التالي.

١٩٨٤م	١٩٧٤م
٣٣٠	٤٢

(٣)

أما الاعانات الدولية التي حصلت عليها من الحبوب - بملايين

الأطنان - فهي كالتالي:

١ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية. التقرير الاقتصادي العربي الموحد

للأعوام ١٩٨٢ - ١٩٨٣ - ١٩٨٤م.

٢ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف ص: ٦١ مرجع سابق.

٣ - البنك العالمي. تقرير عن التنمية في العالم. ١٩٨٦م. ص: ٢٠٨ لوحة ٦

١٩٨٤م	١٩٧٤م
١٧٧	١١١

(١)

ورغم ذلك لا يتحقق حتى الحد الأدنى الكفاية لآلاف السكان الذين يتهددهم الموت جوعاً وعطشاً، وتربص بهم الأمراض الفتاكة مما يجعل اللاجئين لا يزالون ينزحون منها واليها، أي الى مناطقها الأحسن حالاً بأعداد هائلة منذ سنوات عدة^(١) وهي الآن تتقاسم والسودان - على فقرهما - أكبر هؤلاء النازحين هرباً من الفقر والمجاعة والجفاف.

ولا أدل على حالة الفقر والبؤس التي تعيشها الأسر الصومالية من الخبر الذي نقلته وسائل الاعلام والذي يخفي وراءه ما يخفي، يقول الخبر:

تبنى أحد الرعايا البلجيكيين ٣٠٩٠٣ من أطفال المسلمين الصوماليين.^(٢) ومعلوم أن ذلك ليس بقصد مساعدتهم على مشكلة الفقر وويلاتها فحسب، بل لتغيير أفكارهم واتجاهاتهم نحو الكنيسة ومشاريعها استغلالاً لظروفهم المادية الصعبة

١ - المصدر نفسه

٢ - بلغ مجموع لاجئي أفريقيا عام ١٩٨١م أكثر من ستة ملايين. أنظر: نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف. ص: ٤٠ مرجع سابق.

٣ - صحيفة الشرق الأوسط. عدد ٢٤ يوليو ١٩٨٣م ص: ١١

ب - الصحة:

لا يمكن أن يكون الوضع الصحي في بلد يعاني من الفقر، والحرمان، والتخلف وغيرها من المشكلات الأخرى في حالة مرضية تسعد الانسان بالرعاية والعلاج، تلك حقيقة تصدر على الحالة الصحية بالصومال، كما تفيدنا الاحصاءات التي بين أيدينا ومنها: - أن أمل الحياة عند الولادة لا يتعدى ٤٤ سنة بالنسبة للرجال وذلك في احصاء ١٩٨٤م في حين بلغ في التاريخ نفسه بالولايات المتحدة الأمريكية ٧٢ سنة، وفرنسا وإيطاليا ٧٤ سنة.

وهذا تفصيله في الصومال: (١)

النساء		الرجال	
١٩٨٤م	١٩٦٥م	١٩٨٤م	١٩٦٥م
٤٧	٤٠	٤٤	٣٦

وتفيد بقية المؤشرات الصحية في الصومال مايلي:
- عدد السكان لكل طبيب مرتفع جداً:

١٩٨١م	١٩٦٥م
١٥٦٣٠	٣٥٠٦٠

(١)

١ - البنك الدولي. تقرير عن التنمية في العالم. ١٨٦م. ص: ٢٥٠ لوحة ٢٧ مرجع سابق.

٢ - المرجع السابق. ص: ٢٥٢ لوحة ٢٨

- عدد السكان لكل ممرض مرتفع جداً:

١٩٨١م	١٩٦٥م
٢٥٥٠	٣٦٣٠

(١)

- عدد الحُريرات اليومية لكل ساكن احصاء ١٩٨٣م منخفض:

الجملة	نسبتها % من حاجيات الفرد
٢٠٦٣	٨٩

(٢)

- كما تذكر بقية المؤشرات عن الحالة الصحية بالصومال مايلي:

عدد الموق عند الأطفال من ١ الى ٤ سنوات		عدد الموق بالنسبة للأطفال الذين يقل عمرهم عن سنة	
١٩٨٤م	١٩٦٥م	١٩٨٤م	١٩٦٥م
٣٣	٣٧	١٥٣	١٦٦

(٣)

١ - المصدر نفسه ص: ٢٥٢ لوحة ٢٨

٢ - البنك الدولي. تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٦م. ص: ٢٥٢ لوة ٢٨
مرجع سابق.

٣ - المصدر نفسه ص: ٢٥٠ لوحة ٢٧

ج - التعليم :

ليس التعليم بأحسن حال من الوضع الصحي بالصومال، إذ تفيد البيانات بانتشار الأمية بين السكان بشكل مستفحل لا مثيل له في أي من الدول العربية والاسلامية كما تبينه الاحصاءات التالية :
- نسبة الأمية بين السكان الذين هم أكبر من ١٠ سنوات .

الذكور	الاناث	المتوسط
٩٣,٢	٩٩,١	٩٧

(١)

- نسبة الأمية بين الشباب في الأعمار التالية :

١٩ - ١٥	٢٤ - ٢٠	٢٩ - ٢٥	المتوسط
٩٥,٦	٩٨,٠	٩٩,١	٩٦,٤

(٣)

١ - الندوة العالمية للشباب الاسلامي . الاسلام والحضارة . الجزء الثاني . ص :

٤٥٣ . أبحاث . ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م مرجع سابق .

وللمقارنة فإن نسبة الأمية بين السكان أكبر من عشر سنوات من العمر، في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً : ١٪ ونسبتها فيها أيضاً اجمالاً للشباب من ١٠ - ٢٩ سنة، هي فقط ٣,٠٪، فأين تلك من هذه . أنظر: المصدر نفسه الجزء الثاني . ص : ٣٥٤ .

٢ - المصدر السابق نفسه .

حسبنا تلك الإطالة عن واقع مشكلة الفقر وويلاتها في الصومال كنموذج للأقطار الاسلامية الفقيرة بإفريقيا، وهي ناطقة بمدى البؤس الشديد الذي تعاني منه الصومال في أهم قطاعاتها الاقتصادية، والاجتماعية والتعليمية.

ثالثاً: نموذج من الأقليات الاسلامية في العالم:

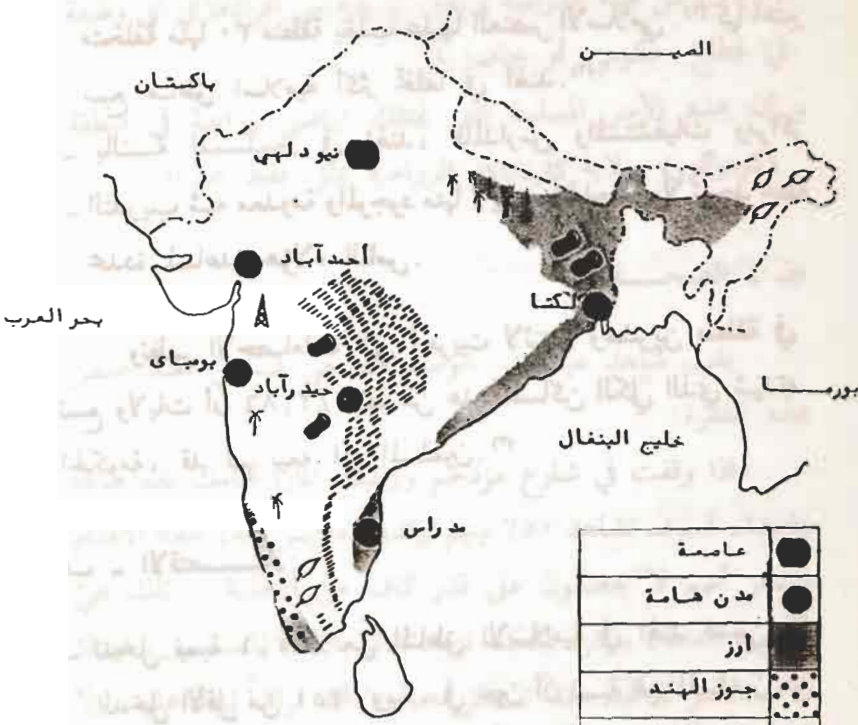
أكبر أقلية اسلامية في العالم تعيش في الهند، اذ يبلغ تعداد أفرادها المائة مليون نسمة ونسبتها المثوية من مجموع السكان هي ١٥٪^(١)، لذلك فإن هذه الأقلية هي موضوع اختيارنا وحديثنا عن مشكلة الفقر في الأقليات الاسلامية في العالم.

مسلمو الهند هم أفقر فقراء بلادهم، وأكثر فئات المجتمع الهندي ضعفاً وهواناً ولا تقل نسبة المعدمين منهم عن ٧٥٪ ويتشر بينهم الفقر، والمرض، والبطالة، ويتعرضون الى كل أنواع الاستغلال والسيطرة.

يقول أحد التقارير: ان المسلمين - في الهند - كمجموعة أفقر وأدنى مستوى من المتوسط العام في الهند، من جميع النواحي تقريباً من حيث وضعهم الاجتماعي ووضعهم الاقتصادي. كما أن أوضاعهم التعليمية متدنية بصفة عامة، وترتفع بينهم نسبة التسرب كما تنخفض بينهم نسبة النجاح، ويحدث ذلك في جميع المناطق وفي كل القطاعات بدون استثناء.

١ - الندوة العالمية للشباب الاسلامي الأقليات المسلمة في العالم الجزء الثاني ص:

خريطة الهند (١)



البحر الهندي

عاصمة	●
مدن هامة	●
ارز	■
جوز الهند	●●●
قصب السكر	↑
فول سوداني وقطن	●●●
شاي	△
بترول	▲
فحم	■

أ - فقر عام:

- حددت لجنة التخطيط الهندية ١٧٢ منطقة في الهند على أنها مناطق متخلفة منها ٣٠ منطقة يغلب عليها العنصر الاسلامي. (١) كما اعتبر سبع مناطق اسلامية أكثر تخلفاً في الهند. (٢)
- بالنسبة للمسلمين في الهند، فالمدارس والمستشفيات ومراكز التدريب شبه معدومة والموجود منها لايفي بالحاجة، ولا توجد خطة محددة لمساعدة هؤلاء الناس.

وتظهر الاحصاءات التي أجريت لاثنتين وعشرين منطقة في تسع ولايات أن ٢,٨٦٪ فقط من عدد المساكن الكلي الذي شيدهته الحكومة، قد تم بيعه الى المسلمين. (٣)

ب - الاقتصاد:

- تدخل نسبة ٥٧,١٪ من المناطق الاسلامية في الهند ضمن فئة الدخل الأقل من ٢٥٠ روبية، في حين أن نسبة غير المسلمين من ذلك هي ٤٤,٩٪ (٤) مما يدل على أن المسلمين متخلفون بدرجة كبيرة عمّن سواهم.

-
- ١ - عدد مناطق المسلمين بالهند ٣٩
 - ٢ - المصدر السابق نفسه. الجزء الثاني. ص: ٤٩٤.
 - ٣ - المصدر نفسه الجزء الثاني. ص: ٦٥٦
 - ٤ - المصدر نفسه الجزء الثاني. ص: ٧٩٤ - ٧٩٥.

- وتفيد دراسة عن أوضاع مسلمي مدينة أحمد آباد أن حوالي ٧٥٪ من الأسر المسلمة تعيش دون مستوى الفقر. وأن ١٢٢٠ أسرة - تشكل ٩٤,١٪ من عينة الدراسة لم يعين أي فرد من أفرادها في أي وظيفة في قطاع حكومي أو خاص.^(١)

- إن عدد الأسر المسلمة التي تمتلك أراضي زراعية في منطقة (كوموكور) بولاية كارناتاكا الزراعية يمثل فقط ٥٪^(٢)

ج - الصحة :

يقول شاهد عيان عن الوضع الصحي لمسلمي الهند ضمن هذه الفقرة:

إذا وقفت في شارع مزدحم وراقبت المارة أمامك لمدة ساعة واحدة، فسوف تشاهد ٥٠٪ منهم يرتدون ملابس رثة، حفاة الأقدام وتشعر أنهم لا يحصلون على قدر كاف من التغذية. تلك هي الصورة العامة، ولكن المشكلة تزداد تفاقماً بالنسبة للمسلمين، فهناك آلاف الأسر لا تجد سقفاً تستظل به، ولا تجد فراشاً ترقد عليه، ولا ملابس ثقيلة تحميها من البرد القارس في الشتاء، فهم معرضون دائماً لتقلبات الأحوال الجوية، ويموت الآلاف بسبب ذلك. ويصاب المئات من أطفالهم بالعمى كل سنة نتيجة نقص فيتامين (أ) في طعامهم.

١ - المصدر نفسه الجزء الثاني. ص: ٧٩٧

٢ - المصدر نفسه. الجزء الثاني. ص: ٧٢١

إن كثيراً من مناطق المسلمين تعاني الإهمال الشنيع، فلا توجد بها مرافق للإنارة، أو لتغذيتها بالمياه، ولا توجد بها مراكز للخدمات الصحية، أو تجهيزات لنقل القمامة، وهي مناطق قادرة للغاية وعرضة لكل أنواع المرض. وقد أفادت دراسة أن ما يتراوح بين ١٠ - ١٨ فرداً من المسلمين يعيشون تحت سقف واحد، لا تزيد مساحتها عن ١٠ أمتار مربعة وذلك في الأحياء الفقيرة بمدينة كلكتا.

ويعاني ما يقرب من ٧٥٪ من المسلمين ذكوراً وإناثاً من مرض السل، والأمراض المزمنة الأخرى.^(١)

د - التعليم:

لا يدري المسلمون في الهند شيئاً - تقريباً - عن التقدم العلمي والتقني الحديث، فلا يزالون يعيشون في تخلف بعيد.

- ترى لجنة الأقليات في الهند أن المسلمين متخلفون في المجال التعليمي بنسبة تزيد على عشرة أضعاف قرنائهم من أبناء الطوائف الأخرى في الهند.^(٢)

- لا توجد كلية جامعية إسلامية واحدة في ولاية غرب البنغال حيث

١ - المصدر نفسه الجزء الثاني. ص: ٨٠٢ ٨٠٣.

٢ - المصدر نفسه. الجزء الثاني. ص: ٨٠١. يبدو هنا أثر المكر والعداء الهندوكي ضد المسلمين.

يعيش أكثر من عشرة ملايين مسلم. (٣) وهو أمر يدعو للأسف والحسرة.

- نسبة التسرب بين الطلاب الأكثر ارتفاعاً هي في المسلمين منهم، إذ تصل الى ٧٠٪ تقريباً لذا فنسبة المتعلمين من المسلمين ضعيفة جداً، وهي ١٦٪ فقط للذكور، وبين ٧،٨٪ للإناث، أي أن ٨٤٪ من المسلمين الهنود و ٩٢٪ من المسلمات الهنديات يعيشون في غيابة الجهل. (٤)

تلك لمحات عن واقع الفقر المدقع الذي تعيش ويلاته الأقلية المسلمة في الهند، ولو أردنا مواصلة الحديث ونقل البيانات عن تلك الحالة لاستغرق الأمر منا ربما هذا البحث كله، لكبر حجم موضوعه (١)

(٤،٣) - المصدر نفسه. الجزء الثاني. ص: ٨٠٢.

١ - يحسن أن نلاحظ أن المرجع الوحيد الذي اعتمده في هذا النموذج الخاص بمسلمي الهند، يضم بين دفتيه ثماني دراسات موثقة عن أحوال مسلمي ذلك البلد وهي:

١ - المشكلات الثقافية للمسلمين في الهند. راشد ساز.

٢ - قضية مسلمي الهند. دراسة عن المشاكل الاجتماعية والثقافية. مسعود أحمد.

٣ - قانون الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند. في عبدالكبير.

٤ - التعليم الاسلامي في جنوب الهند. مقبول أحمد سراج.

٥ - المشاركة الاسلامية في التحول الاقتصادي الهندي. ظاهر بيج.

٦ - حالة المسلمين الهنود سيد خالد راشد.

٧ - حالة اللغة العربية في الأقلية المسلمة بالهند. مقتدي حسن محمد ياسين.

المبحث الثاني مظاهر مشكلة الفقر وأبعادها

في هذا العصر - الذي سهل فيه الاتصال ونقل المعلومات - أصبحت أحوال الدول والشعوب غير خافية تقريباً على الآخرين مهما بعدت ونأت . وذلك مما يصدق على ما تعانيه أقطار اسلامية عدة من مشاكل الفقر، والمرض، والأمية، والتخلف على سائر المستويات، فقد تناولتها وسائل الاعلام المختلفة، بحسب أغراضها - طبعاً - ولكن المحصلة هي التأكيد من واقع بائس في عديد من البقاع الاسلامية على وجه الاجمال، وفي هذا المبحث سنميط اللثام أكثر عن مظاهر ذلك الواقع، وأبعادها، ولا يفوت أن نلاحظ أن تلك المظاهر والأبعاد التي سنتناولها، تتداخل نسبياً مع غيرها من آثار مشكلة الفقر الآتي الحديث عنها ^(١) لذا نلجأ الى اختيار الأنسب هنا وهناك حسب خطة البحث.

١ - انخفاض مستوى الدخل الفردي:

ما يعبر عنه بمؤشر الدخل الفردي الحقيقي هو متوسط كمية

= ٨ - طبيعة وحجم المشكلات الاقتصادية للمسلمين الهنود.

أنظر: الندوة العالمية للشباب الاسلامي . الأقليات المسلمة في العالم . الجزء

الثاني ص: ٦٢٩ - ٨١٠ . الرياض: ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١ - في الفصل الثالث من هذا الباب . ص: ١٦٥

السلع والخدمات المتاحة للفرد، أو بالأحرى مستوى رفاهية الفرد المادية.^(١) ولا يعني ذلك المؤشر أن كل الأفراد في المجتمع يبلغونه فيتمتعون بما يشملهم من حدود الحياة الكريمة، وإنما يعني بالتأكيد أن هناك فئات تتجاوزه بكثير في الرفاه والرغد، وهناك فئات أخرى دونه بأشواط تعاني الجوع، والعري، والامية، والجهل، والمرض.

فإذا كان ذلك المؤشر في ذاته ضعيفاً فكيف يتصور حال من هم دونه بمراحل، انها ولاشك حالة أقرب الى التعاسة منها الى حد الكفاف.

ولقد مر بنا ذكر نسبة الدخل الفردي في كل من الدولتين المسلمتين: بنغلاديش والصومال وهي ١١٠ دولارات، فإذا قارناها بنسب لدول أخرى في المنطقة مثل: الكويت ١٥٤٨٠ دولاراً، الامارات ١٣٩٩٠ دولاراً، ألفيناها ضعيفة ضعفاً لا يكاد يصدق، مما يتوقع أن تكون الأوضاع المعيشية في تلك الدولتين تنذر بكارثة هائلة.

وفعلاً فإن وسائل الاعلام تنقل بصفة تكاد تكون يومية اخباراً من هناك عن المجاعة، والنزوح، والتشرد، وفقدان المرافق التعليمية والصحية، وتضاعف مبالغ الديون الخارجية واستفحال الفوضى العامة، كل ذلك يدل على ما لانخفاض مستوى الدخل الفردي من أثر في توسيع هوة الفقر في الدول المتخلفة بصفة عامة

١ - محمد فريز منفيخي. النظام الاقتصادي القرآني. تحليل التخلف ونظام التقدم. ص: ١٠٨ - ١٠٩ الطبعة الأولى دار قتيبة دمشق سوريا ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢ - عدم التناسب في توزيع الدخل :

تعاني كثير من الدول الاسلامية وضعاً منحرفاً في توزيع ثروتها الوطنية المتأتية لها من حصيلة الانتاج والثروة الوطنية، على مواطنيها، وذلك من جراء استمرار الوضع الاستعماري القديم، أو من جراء التبعية للمدارس الاقتصادية الوضعية التي تهدف الى حرية الاستغلال غير المشروط أو المحدود لمصادر الثروة وأيضاً من جراء السياسات المحلية الحزبية المبنية على الولاء مقابل الاثراء والحصول على الامتيازات الخصوصية ونحو ذلك، إن ذلك الوضع يؤدي في الدول التي لا تلتزم بتطبيق الشريعة الاسلامية الى نتوء حاد في الحياة الاجتماعية يتمثل في معاناة أفراد المجتمع من ظروف تعليمية وصحية واقتصادية متدهورة مقابل تمتع زعماء الأحزاب ورجالها والسائرين في فلكها بحياة مترفة خاصة.

إننا لا ننكر بحال تفاوت القدرات بين الناس في الاكتساب، الأمر الذي يقضي بتفاوت ثرواتهم وغط معيشتهم بعد ذلك، ولكننا ننكر تصامم كثير من الدول الإسلامية التي تعاني من ذلك الوضع المنحرف عن أحكام الاسلام التي فيها البلسم لداء تركز الثروة في أيدي طائفة قليلة، واستمرارها على ذلك حتى الاضرار بغيرها من شرائح المجتمع.

قال تعالى:

﴿وما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء

إن تداول الرشوة في المجتمع واطاحة فرص الكسب للجميع هو العلاج الأمثل لهذا المظهر الخطير من مظاهر الفقر^(٢)

٣ - البطالة الهيكلية وقلة العمالة الماهرة:

تشهد الدول الإسلامية التي تزرع تحت طائلة الفقر، نمواً متزايداً لظاهرة البطالة، مصحوبة بتقلص اعداد الخبراء المتخصصين ذوي الكفاية العالية في مجالات التخطيط، والادارة، والانتاج والتسويق، فنتيجة لضعف الامكانيات الجديدة للاستثمار، ومحدودية التوسع في مجال الانتاج الزراعي، وركود الأسواق التجارية المحلية، وربما انعدام الصناعات الثقيلة، بل الخفيفة أحياناً في تلك الدول الفقيرة، تجد أعداداً متزايدة من الأيدي العاملة النشطة نفسها عاطلة عن العمل، لا بسبب عزوفها الذاتي عن الامتهان، أو قصورها الجماعي عن أداء الأعمال المتاحة، وإنما بسبب عدم وجود فرص العمل من الأساس، ان الوضع يزداد سوءاً اذا وضعنا في الاعتبار الانفجار السكاني السريع في تلك الدول، مما يفرز أيدي كثيرة طالبة للعمل^(٣) ولا تجده، فتتحول الى أدوات للفوضى والتمرد.

١ سورة الحشر الآية: ٧.

٢ - أنظر: محمد فريز منفيخي. النظام الاقتصادي القرآني. ص: ١٠٩

عدنان كريمة دراسة عن أصحاب الملايين. مجلة الحوادث اللبنانية عدد

٢٠ أيار/ مايو ١٩٨٧م. ص: ٦٧

٣ - البنك الدولي. تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٦م. لوحة رقم ٣٠. ص: ٢٥٦

ومن جانب آخر - وبسبب مشكلة الفقر - تقل فرص ارتقاء المدربين في اكتساب الخبرات والمهارات العالية حتى كأنه ليحال بينهم وبين أن يكونوا عمالاً متخصصين، وخبراء جامعيين مدربين. وبذلك تتأثر سوق التشغيل، وتندر فيها عروض العمل التي تنطبق عليها شروط الكفاية المرتفعة (شهادة عليا مع خبرة متخصصة طويلة) في حين تكثر فيها عروض أعمال قطاع الخدمات، والوظائف الدنيا.

ان البطالة من جانب وتضخم القطاعات الصغرى من جانب آخر، مظهران بارزان لمشكلة الفقر في البلاد الاسلامية^(١)، وسيستمران كذلك حتى يتم اتقان التخطيط الاقتصادي، وترشيد التعامل مع التقنية الآلية الحديثة، فضلاً عن توفير فرص العمل أو كفالة العاطلين، وفتح مراكز التدريب المهني ووضع البرامج لاستيعاب خريجيها.

٤ - عدم كفاية التجهيزات الرأسمالية:

يعتمد في سائر الدول الغنية - الى حد كبير - على الامكانيات التي تهيئها الأطراف صاحبة رؤوس الأموال، من فرص للوظائف الادارية الجديدة، ومن مشاريع عمرانية وانشائية لتشغيل أيد جديدة طالبة للعمل، ومن حركة مالية في الأسواق التجارية والصناعية والزراعية تمكن من دوران عجلة الاقتصاد وتوفير المكاسب المادية

١ - أنظر: محمد فريز منيخي. النظام الاقتصادي القرآني ص: ١١٠ مرجع

سابق.

لفئات المجتمع، لسد حاجاتهم وتحقيق كفايتهم المعيشية.

يحدث ذلك في الدول المتقدمة، أما الدول الفقيرة، فتتعطل فيها تلك الحركة جملة، بسبب ندرة التجهيزات الرأسمالية وعدم كفايتها وتختلفها عما هو مطلوب لتطوير موارد البلاد وثرواتها.

هكذا يستمر ذلك المظهر في الابقاء على مشكلة الفقر في تلك الدول بما فيها الدول الاسلامية، الى أن تتم الموازنة بين ما هو متاح وما هو مطلوب.

٥ - بدائية طرق الانتاج:

لا تقتصر البدائية في طرق الانتاج على ميدان دون آخر، ولكنها تشمل سائر ضروب الأنشطة الانتاجية في البلاد الاسلامية، على تفاوت بينها طبعاً،

ولكن الدراسات والبيانات تفيد بأن أكثر ما تتمثل فيه تلك البدائية هو الزراعة^(١) في البلدان المتخلفة، وهو أمر يكاد لا يحتاج الى برهان يؤيده، ولكننا نسوق هذه الإفادة لتوثيقه في تلك الدول يجب على كل شخصين الى عشرة أشخاص العمل لإنتاج ما يكفيهم ويكفي شخصاً آخر فقط معهم من المواد الزراعية.

أما في الدول المتقدمة فإن الفلاح الواحد ينتج لنفسه، ولنحو

١ أنظر: جاك لوب. العالم الثالث وتحديات البقاء، ترجمة: فؤاد بلع ص:

ثلاثة وعشرين شخصاً آخر، ما يكفيه ويكفيهم جميعاً من المواد الغذائية. (١)

ان ذلك التفاوت يعود الى عوامل عديدة ومتداخلة لا محالة، أبرزها بدائية طرق الانتاج والاستغلال.

وفيا يلي احصاء لتوزيع الأراضي - بالهكتار - على عدد الجرارات الزراعية في بعض الدول الاسلامية:

أعلى النسب:

بوركينافاسو ^(٢)	٣٧٤٢٨,٥٧ هكتار للجرار الزراعي الواحد
النيجر	٢٠٩٤١,١٨ هكتار للجرار الزراعي الواحد
تشاد	١٩٦٨٧,٥٠ هكتار للجرار الزراعي الواحد
بنين	١٢١٢٥,٠٠ هكتار للجرار الزراعي الواحد
السنگال	١١٣٤٧,٨٣ هكتار للجرار الزراعي الواحد
أفغانستان	١٠٢٧٢,٧٣ هكتار للجرار الزراعي الواحد

(٣)

- ١ - أنظر: محمد فريز منفيخي. النظام الاقتصادي القرآني. ص: ١١٠
- ٢ - هي دولة فولتا العليا سابقاً بأفريقيا الغربية، مساحتها أكثر من ٢٧٤ ألف كم^٢، وسكانها يزيدون على الستة ملايين.
- ٣ - أنظر: كتاب العام: الاجتماعي الاقتصادي الاحصائي للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي. ١٩٨٥ م. ص: ١٤٧٠

البحرين	٣٨,٤٦ هكتار للجرار الزراعي الواحد
بروناي	٤١,٦٧ هكتار للجرار الزراعي الواحد
- تركيا	٤٦,٢٦ هكتار للجرار الزراعي الواحد
- ليبيا	٦٥,٨٠ هكتار للجرار الزراعي الواحد

(١)

ذلك مؤشر مهم - في نظري - عن جانب من تخلف طرق الانتاج الزراعي في دول المجموعة مرتفعة النسبة، اذ كيف يغطي الجرار الزراعي الواحد خدمة أرض تقرب من ٣٧٥٠٠ هكتار؟ انه ولاشك يخدم سوى الجزء القليل منها، والباقي يخدم بالطرق التقليدية، في حين يبدو هذا الوضع متحسناً في دول المجموعة الثانية بالمقارنة بسابقاتها، ولست أعني ببدائية طرق الانتاج فقط الجانب الآلي في العملية الزراعية - مثلاً - فذلك مظهر وحيد لبدائية تلك الطرق، وتبقى الجوانب الأخرى المتصلة بأساليب البذر، والحصاد، وامكانية توفير الأسمدة، والزراعات السقوية، والبيوت المحمية، ووجود المستشارين الزراعيين، والبرامج الارشادية ونحو ذلك،

١ - أنظر: كتاب العام. الاجتماعي الاقتصادي الاحصائي للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي ١٩٨٥م. ص: ٤٧ مرجع سابق.

وهي أمور لا تخفى أهميتها في زيادة الانتاج وجودته، وهي متصلة اتصالاً وثيقاً بطرق الانتاج الزراعي.

ان بدائية طرق الانتاج بذلك الشمول تبدو شائعة في سائر الدول الاسلامية - على نسب متفاوتة - مما يدفعها الى الاقتراض الخارجي. أو طلب المساعدات الدولية، أو انفاق مدخراتها أو بيع ثروتها القومية بأثمان بخسة لقاء حصولها على غذاء مواطنيها من القمح خاصة وفي حالة تعرضها الى فقدان الأمن الغذائي.^(١)

٦ - التبعية الخارجية:

لجأت أكثر الدول الاسلامية من جراء مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية وفي مقدمتها الفقر الى الدول الغنية لتوفير ظروف معيشية أحسن لسكانها، وقد أوقعها هذا المسلك في مشكلة معقدة مع تلك الدول على مستوى القرار السيامي، والاختيار الاقتصادي والتوجه الثقافي والبناء الاجتماعي، حتى أنها وجدت نفسها في آخر المطاف تدور في فلك القوى العالمية الكبرى المسيطرة في الشرق أو الغرب. إن تلك التبعية تبدو أشد ما تكون في الميدان الاقتصادي، وهنا تمثل لها بإيجاز بهذه اللمحات انتظاراً للتوسع فيها في الفصل الثالث من هذا الباب.^(٢)

١ - يأتي الحديث عن ذلك في الفصل الثالث من هذا الباب. ص: ١٢٤

٢ - أنظر ص: ١٦٥ وما يليها.

أ - تعتمد أكثر البلدان الاسلامية على مادة انتاجية واحدة تقريباً، وهذه المادة - ومن أبرزها البترول مثلاً - يتوقف تسويقها بالدرجة الأولى على الأسواق الخارجية التي تتحكم في كميات انتاجه، وفترات الاقبال على شرائه، والأهم من ذلك أسعار بيعه فهي لا تكاد تملك استقلالها الانتاجي والتسويقي، وتحقيق السلامة لموازنتها من الهزات الاقتصادية العالمية

وهكذا. تكون عرضة لحالة التجارة الخارجية، وتابعة لسياسات المضاربيين والسماسرة العالميين.

ب - عندما لا تفي عوائد الانتاج المحلي المصدر باستحقاقات ومستلزمات الخطط الائتمانية لتلك الدول، تهرع الى الاقتراض من البنوك والمؤسسات العالمية والخاصة، بفائدة عادة ما تكون مرتفعة، ولسنوات متوسطة وطويلة.^(١) وبذلك يفتح باب الارتهان للخارج، وتتحول الديون وفوائدها بفعل المدد الزمنية المعقود عليها، الى مبالغ طائلة تعجز الموازنة الداخلية عن الوفاء بها ولو أقساطاً «مريحة» ويتبع ذلك أولاً تسرب الارشادات والتوصيات المالية من الدائنين، ثم التدخل المباشر في السياسة الداخلية، وفرض سعر محدد للعملة، والغاء خطط ائتمانية، واعتماد أخرى، وتجميد الأجور، ورفع الأسعار والقائمة لا تنتهي

١ - أنظر: محمد فريز منفيخي. النظام الاقتصادي القرآني. ص: ١١٢ مرجع سابق.

جـ - الاستيلاء على المنتجات الداخلية، بوساطة ما يعرف بالاستثمار الأجنبي أو الانفتاح مثلما وقع في تونس ومصر والجزائر المستثمرون الأجانب يمتلكون أخصب المزارع وأغنى المناجم ويصدرون انتاجها من المواد الأولية لحسابهم الى الأسواق الخارجية ثم يوردون بضائعها مصنعة الى الأسواق المحلية (١)

هذا ما كان يقع في تلك الدول في زمن الاستعمار المباشر، واستمر الى حد الساعة في شكل اتفاقات وامتيازات بين تلك الدول وبين المستثمرين الخواص، مما يبقي الدول محتاجة الى الطرف الأجنبي سواء في استخراج معادنها أو في تصنيعها أو في توريدها.

تلك هي العناصر الأساسية لمظاهر مشكلة الفقر في البلدان الإسلامية والتي يمكن أن يضاف إليها غيرها من العناصر الثانوية العديدة، وجميعها تكاد تؤكد للباحثين أن الفقر قد أصبح ظاهرة شبه مستوطنة في تلك البلدان لما لمشكلته من أسباب متداخلة ومظاهر حادة وأبعاد خطيرة.

١ - أنظر: محمد فريز منفيخي . النظام الاقتصادي القرآني . مرجع سابق . ص :

الفصل الثاني

عوامل مشكلة الفقر

في بعض البلاد الاسلامية

إن مشكلة الفقر ظاهرة معقدة، تنسج خيوطها عوامل متعددة ومتشابكة، فهي لا تعود الى عامل وحيد، بل ان هذه العوامل كثيرة تتفاعل فيما بينها لتبرز مشكلة الفقر على سطح الواقع. نقرر ذلك ونحن ندرك أن هذه العوامل تختلف من حيث الأهمية في انشاء هذه الظاهرة، ثم ان هذه العوامل متشابكة ومتداخلة بحيث لا تسمح بتناول مفرداتها واحدة واحدة إلا بقدر ما تستلزمه الدراسة المنهجية. لذلك سنلجأ في دراستنا هذه الى تقسيم تلك العوامل الى طبيعية، وداخلية وخارجية، وفق التفصيل التالي مع توخي ابراز الخطوط العريضة والأفكار العامة

المبحث الأول

العوامل الطبيعية

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان، وسخر له نعماً كثيرة في هذا الكون حتى يقوم بوظيفة العبادة التي خلق من أجلها في أيسر الظروف

وأسهلها، قال الله تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في
السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾^(١).

ولكن يحدث أن يبتي الله سبحانه خلقه بما يراه لحكمة يعلمها
فيضيق عليهم بعض تلك النعم. ومن تضيقه سبحانه الابتلاء
بالجفاف والتصحر وغيرهما من الظواهر التي تحدث بعيدة عن ارادة
الانسان. وستناول هنا بالتحديد هاتين الظاهرتين ومدى صلتها
بمشكلة الفقر

أ - الجفاف:

قبل أن نشرع في موضوعنا نفيد بأنه توجد نظريات كثيرة متباينة
لدراسة أسباب التغيرات المناخية وتحليلها^(٢)، لا يمكننا هنا شرحها
بالتفصيل لعدم تعلقها - بتلك الصفة - بموضوع بحثنا، ولكننا نأتي
منها بلمحة متصلة بأسباب الجفاف، لتساعدنا في تفهم هذا العامل
الطبيعي وأثره في مشكلة الفقر

تعود أسباب الجفاف الى عوامل متعددة أهمها:

١ - البعد عن المسطحات المائية - المحيطات والبحار والأنهار - لذلك
نجد أن الأجزاء الداخلية للقارات تكون عادة جافة.

١ سورة لقمان. الآية: ٢٠

٢ أنظر: عبدالعزيز طريح شرف. الجغرافيا المناخية. ص: ١٦ الطبعة
التاسعة. دارالجامعات المصرية الاسكندرية: ١٩٨٣م.

٢ - ضعف عملية التبخر، ونقصان الرطوبة في الهواء، خصوصاً اذا أضيف اليهما شدة ارتفاع درجة الحرارة الذي يسبب تبخير ذرات الماء، فلا تنزل الى الأرض.

٣ - مظاهر التضاريس، اذ تكون السهول والمنحدرات الخلفية للسلاسل الجبلية التي تعترض الرياح، عادة جافة.

٤ - اتجاه الرياح ونوع الهواء الذي تأتي به، فالرياح التي تهب من اليابسة، أو من بحار باردة، أو تمر على تيارات مائية باردة لا تساعد على سقوط المطر، وتبقى مناطق مرورها جافة.

٥ - انعدام المنخفضات الجوية^(١) أو بعدها، بحيث لا تساعد على نزول الأمطار.^(٢)

تلك هي العوامل الجغرافية للجفاف التي تسببه وتجعله ابتلاء يضيق الله به على الناس.

يقول أحد التقارير عن المجاعة في أفريقيا: الموت جوعاً أصبح خطراً يهدد أكثر من نصف دول القارة الأفريقية، فالسما لم تمطر منذ سنوات والجفاف قضى على الأخضر واليابس، لقد جفت الجداول والأنهار، ومات الزروع والضرع والمرعى ونفقت الماشية، وضرب

١ تحدث المنخفضات الجوية عند التقاء كتلتي هواء مختلفتين صفاتها: درجة

الحرارة، ونسبة الرطوبة، وحركة الهواء. أنظر: المصدر نفسه ص: ١٣٧

٢ - أنظر: المصدر نفسه ص: ٢٣٥ - ٢٣٧ محمد محمود محمددين. الأقاليم

الجافة ص: ٤٨. كنيث والوطن. الأراضي الجافة ترجمة علي عبدالوهاب شاهين. ص: ١٧ وما يليها.

- عبدالعزيز طريح شرف. الجغرافيا المناخية والنباتية. الباب الثالث. ص: ٨٤ وما يليها.

الجفاف بشدة المنطقة الساحلية التي أصبحت تعرف بحزام الجوع وتمتد من السنغال ومالي في الغرب الى اريتريا والصومال في الشرق، ولقد ظل الجفاف منذ عشر سنين أي منذ عام ١٩٧٤م - يضرب بشدة جزءاً معيناً من هذا النطاق، بينما تتفاوت حدته في الأجزاء الأخرى حتى جاء عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م فعم الجذب جميع الدول الداخلة في هذا النطاق.^(١)

هكذا. وبسرعة ينكشف عجز هذا الانسان المغرور الذي يعتقد أنه أصبح آمناً بما وصلت اليه اكتشافاته العلمية، فإذا بهزة طبيعية محدودة تحيل كل هذه الأحلام كومة من الركام المنهار لتبرز عجز هذا المخلوق وحاجته الدائمة لخالقه حتى لا يتنكب الطريق الصحيح.

يقول أحد التقارير مصوراً الحالة في أحد البلدان العربية «السودان» كارثة الجفاف التي اجتاحت أكثر من خمسة وعشرين بلداً أفريقياً لم تمنعها الموانع أن يمتد زحفها الى بعض أطراف السودان الغربية والشرقية حيث زحفت الرمال الوافدة من الصحراء الكبرى بسرعة، وشحت الأمطار مما أدى الى نقص كبير في محصول الغذاء الرئيسي «الذرة» في اقليم دارفور وكردفان والاقليم الشرقي، واضطر أهل هذه المناطق للتزوح صوب النيل.^(٢)

وقد تأثرت هذه المنطقة - دارفور والمناطق الغربية للسودان -

١ - ادارة الاعلام والبحوث والنشر الخرطوم. نشرة البشير.

٢ المصدر نفسه

بجفاف وزحف صحراوي وغابت عنها الأمطار لثلاث سنوات ماضية الأمر الذي أدى لجفاف تام انعدمت على أثره الأعشاب والشجيرات، وانعدمت الذرة وارتفعت أثمانها، وافتقد الناس ما كان مدخراً من مال وطعام. وأصبح هناك أكثر من نصف مليون نفس مسلمة هائمة على وجهها تنتظر العون العاجل من أهل الخير من المسلمين في كل مكان.^(١)

وفي حين يموت الانسان في العالم المتقدم من التخمة وغيرها من الأمراض الناتجة عن الزيادة في كمية الوجبات الغذائية صرنا نرى الانسان في المناطق التي اجتاحتها الجفاف مجرد هياكل عظمية تحمل رؤساء ضخمة، كان يعتقد أنها لن ترى الا في الرسوم الهزلية، ورغم كل ذلك يقف الانسان عاجزاً عن مواجهة هذه المعضلة، الجفاف، فقد فشل مؤتمر لعلماء المناخ دعت له الأمم المتحدة مؤخراً في تحديد سبب الجفاف أو موعد انتهائه، بل ان ما توصل اليه يشير الى أن الجفاف ربما أصبح مظهراً دائماً في حياة أفريقيا شبه الصحراوية^(٢)، ويؤكد الخبراء أن موجة الجفاف الحالية أخطر بكثير من تلك التي حدثت في عام ١٩٧٤م وأدت الى وفاة ربع مليون شخص في دول الساحل.^(٣)

١ - الوكالة الاسلامية للاغاثة الخرطوم. السودان. نشرة الاغاثة. العدد ٢

جمادى الأولى ١٤٠٥هـ ص: ١٨

(٣٠٢) - نشرة البشير.

وتركيزنا على المناطق التي تضررت من الجفاف مما تسبب في مجاعة مهلكة للحرث والنسل، لا يعني أن هذه الآفة ينحصر وجودها في الساحل الأفريقي والمناطق الغربية من القارة، فالجفاف ظاهرة مناخية أكثر اتساعاً من ذلك فهو يظهر في الحدود الشمالية للصحراء الكبرى من المغرب الى مصر، ويمتد الى الجناح الآسيوي من العالم العربي، وهو عملية تاريخية شواهدنا كثيرة في بادية الشام والجزيرة العربية، ولكن مشكلة الجوع لا تظهر في هذه المناطق في شمال افريقيا او في هوامش صحارى الجناح العربي الآسيوي لأن عدد السكان في هذه المناطق قليل يتمثل في قبائل بدوية تتحرك باستمرار داخل دول على قدر من التنظيم الذي يسمح بإغاثة البدو في الأزمات دون أن تكون هناك كارثة اقليم الساحل المتكررة^(١) فمعضلة الجفاف تتعاضد بوجود أسباب أخرى متعلقة بطبيعة السكان الذين يقطنون المناطق التي تصاب بهذه الآفة، كما تتعلق بمدى توفر الاستقرار السياسي في تلك المناطق، والموارد المتاحة فيها ومدى ارتباطها بغيرها من المناطق.

وان أسوأ ما في الأمر أن يعتقد بأن مستقبلاً حسب بعض التقديرات ينذر بأن تزداد حدة هذه المعضلة وما أشد أن يخاف الانسان الحاضر والمستقبل معاً، ذلك الذي يفترض فيه أن يكون محط الآمال ومصدر التفاؤل، نقول هذا لأن العلماء اختلفوا فيما بينهم حول اتجاه الأوضاع المناخية الحالية، فالبعض يرى اننا نسير نحو

١ نشرة الاغاثة. العدد الثالث. عدد ٣ شوال ١٤٠٥هـ. ص: ٢٨

جفاف أكبر، وأنا نقع وسط مرحلة زمنية حارة جافة والبعض الآخر من المتخصصين يرى أن هناك ترححاً للأقاليم المناخية نحو الجنوب بحيث تزداد أمطار شمال أفريقيا وتزحف الصحراء جنوباً في اقليم الساحل، أي الساحل الأفريقي.^(١)

ولئن كان تأثير الجفاف مباشراً في المدة الأخيرة بحيث اعتبر السبب الأساسي فيما اجتاحت مناطق أفريقيا من آفة الفقر والمجاعة، إلا أن ذلك لا يجب أن يخفي كثيراً من الآفات الطبيعية الأخرى المهددة لحياة الانسان، وان بدت أقل ضرراً في الوقت الراهن، ومن تلك الآفات ما اصطلح على تسميته بمشكلة التصحر

ب - التصحر:

نعني بالتصحر زحف الصحراء على مناطق ومساحات من الأرض تستعمل للزراعة أو السكن أو غير ذلك من حاجات الانسان الملحة، هذا ويقدر أن عملية التصحر في القرون الأخيرة قد تجاوزت المليون كم مربع، أي مساحة مساوية لمساحة الصحراء الكبرى، ويوجد ٦٨٥ مليون هكتار من الأراضي الصحراوية في البلدان الواقعة جنوب الصحراء فقط^(٢) والصحراء تمتص كل عام ٦ ملايين هكتار جديد، وهذا يعني انه بهذه الوتيرة، سيتم فقدان أكثر من ١٠٠ مليون هكتار فيما بين عامي ١٩٨٣م و ٢٠٠٠م وسيتحول مليون كم مربع الى أراض صحراوية^(٣)

١ - المصدر نفسه. ص: ٣١

٢ - فيدل كاسترو. أزمة العالم الاقتصادية والاجتماعية ص: ١٣٤

ولا أعتقد بعد هذه الأرقام أننا نشك فيما يتهدد البشرية من جراء هذه المشكلة التي يصنع كثيراً من أسبابها الانسان وسبب الظروف الملائمة لحدوثها.

وإذا ما التفتنا الى عالمنا الاسلامي حيث تشغل الصحراء جزءاً كبيراً من رقعة فإننا نجد الأرقام لا تكاد تختلف لتعبر عن الخطر الذي يهدد قطاعاً واسعاً من الشعوب العربية ففي السودان على سبيل المثال زحفت الصحراء الكبرى ٢٠٠ كم نحو الجنوب خلال ١٧ سنة^(١) وقد ساهمت هذه الآفة في تغيير مظهر الطبيعة في العديد من المناطق العربية، فكثيراً من الأماكن التي كانت الى عهد قريب آهلة بالعمران وتحيط بها الخضرة من كل مكان، نراها اليوم ضحية للرمال الزاحفة التي أحالت خضرتها الى صفرة، قاضية بذلك على كل محصول زراعي ومهددة الانسان في أشد ما يحتاج اليه ألا وهو الغذاء. فقد أدى الزحف الصحراوي الى أن توصف دولة مثل موريتانيا بأنها دولة صحراوية بعد أن كانت في الماضي دولة ساحلية، كما أن مناطق عمرانية قديمة دفتها أو حاصرتها الرمال، كما هو الحال في مدينة «تيمكتو» بمالي والتي كانت منذ خمسة قرون مركزاً حضارياً وعلمياً هاماً ولكنها الآن قرية صغيرة فاقدة لأهميتها نتيجة للجفاف والتصحر^(٢) ورغم أننا لا نكاد نلاحظ حركة هذه الصحراء وهي تمد رمالها على مناطق شاسعة حولها إلا أن الدراسات تؤكد أن سرعتها هي أقوى مما نتصوره بنظرنا القاصر، فقد زحفت الصحراء بسرعة مذهلة فاقت

١ المصدر نفسه. ص: ١٣٥

٢ - رابطة العالم الاسلامي. مكة المكرمة صحيفة أخبار العالم الاسلامي. عدد

الاثنين ١٦ شعبان ١٤٠٥هـ. ص: ٨.

الست كيلومترات في العام وأصبحت تبتلع سنوياً مساحة مقدارها ١٥ مليون فدان من الأراضي الصالحة للري والزراعة المطرية. (١)

وإذا ما تعودنا على القول بأن الظروف الطبيعية خارجة عن ارادة الانسان في تشكيلها وتأثيرها، إلا أن ذلك لا يجب أن يؤخذ على اطلاقه، وبالذات في الحديث عن آفة التصحر حيث يقف الانسان وراءها متسبباً في احداثها سواء أكان ذلك بوعي أم بدونه، فالأثر البشري الأكثر وضوحاً هو أن الإنسان بتعريته سطح الأرض من غطائها الطبيعي من أجل الحصول على أراض زراعية أو رعوية، في عملية تاريخية استغرقت الألف سنة الماضية، قد أدى الى ايجاد متغيرات لم تقدر آثارها البيئية والمناخية إلا مؤخراً^(٢) فقد كان لقطع الأشجار لاستخدامها كوقود خاصة بعد أزمة الطاقة أخيراً وارتفاع البترول قد أدى الى القضاء على الأديم الأخضر للأرض، مما هيأها للانضمام الى الصحراء في وقت قصير، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تعد، فمنظمة الفاو تقدر بأنه يتم حرق ٥٤٨ مليون شجرة أو شجيرة سنوياً في محافظة صحراوية واحدة في السودان من أجل هذه الأغراض. (٣)

كما أن للرعي الجائر الذي مورس في العديد من المناطق تأثيراً مباشراً في احداث هذه الآفة. فقد زيد عدد الحيوانات فوق ما

١ - المصدر نفسه ص: ٨.

٢ - نشرة الإغاثة. العدد الثالث. العدد ٣ شوال ١٤٠٥هـ ص: ٣٢.

٣ - فيدل كاسترو. أزمة العالم الاقتصادية والاجتماعية ص: ١٣٥ مرجع سابق.

تحتمله المراعي مما أدى الى اضعاف نمو الأشجار والحشائش وازدياد السطوح المعراة من النبات، مما جعلها لقمة سائغة لتلثمها الصحاري وتضمها الى مساحتها

والحقيقة أن الخطط الالغائية المختلفة لم تغفل تماماً هذه الآفة المهددة، بل حاولت أن توجد بعض الحلول المناسبة لها، كعملية التشجير وغيرها من الأساليب الكفيلة بمواجهة هذه المعضلة، إلا أن كثيراً من هذه الخطط قد اكتفي برسمها على الأوراق دون أن تجد لها طريقاً للتنفيذ ففي عام ١٩٧٧م وضع برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة، خطة للقيام بحملة منظمة لغرس الأشجار وتوزيع المياه بصورة أفضل من خلال حفر الآبار ووقف عمليات قطع الأشجار وإزالة الغابات بالاضافة الى محاولة إيجاد توازن بين التضخم السكاني في المدن ونقص السكان في المناطق الريفية، وكانت هذه الخطة تهدف بالطبع الى وقف الزحف الصحراوي وتوفير الغذاء وماء الشرب لسكان المناطق النائية. إلا أن هذه الأهداف لم تتحقق لأن الخطة لم تنفذ على الرغم من مرور ستة أعوام على اقرارها، ذلك لأن الدول المتضررة من الجفاف هي في الأساس دول فقيرة لا تملك الامكانيات الكافية لتمويل حملات مقاومة التصحر^(١)

المبحث الثاني

العوامل الداخلية

ليست العوامل الداخلية لمشكلة الفقر في العالم العربي

١ - نشرة البشير.

والاسلامي مستقلة عن سابقتها العوامل الطبيعية ولا عن العوامل الخارجية الآتي الحديث عنها، وانما تتشكل معها بنسب كبيرة لتبرز في عاملين كبيرين هما على الأقل من وجهة نظر الباحثين الاقتصاديين:

أ - الازدياد السكاني وسوء توزيع الثروة.

ب - الفهم الخاطيء للتنمية. والتتائج الفاشلة لتجارها

أ - الازدياد السكاني وسوء توزيع الثروة:

لعل قضية لم تنل حظاً من الاهتمام مثلما نالته قضية التزايد السكاني أو ما اصطلح عليه في وقت من الأوقات بالانفجار الديمغرافي، ويعود هذا الاهتمام في جانب كبير منه الى الزوبعة التي أثارها النظرية المالتوسية تلك النظرية التي بنيت على أن ذلك الازدياد لا يتناسب مع ازدياد الموارد، فإذا كان السكان يزدادون بنسبة ١، ٢، ٤، ٨، ١٦، ٣٢ فإن الموارد لا تزداد إلا بنسبة: ١، ٢، ٤، ٦، ٨، ١٠ مما سينتج عنه لا محالة تعارض بين نسبة ازدياد سكاني مرتفعة، ونسبة ازدياد موارد منخفضة نسبياً، وستنتج عن ذلك أزمة تهدد بنقص غذائي حاد. وقد عقد في آب/ أغسطس ١٩٧٤م مؤتمر عالمي للسكان في بوخارست، بعد وقت قصير من انعقاد الدورة الاستثنائية السادسة للجمعية العامة للأمم المتحدة، واصدار الاعلان الخاص بإقامة نظام اقتصادي دولي جديد فكان مسرحاً لمجادلات عنيفة وقاسية بين البلدان المتقدمة والبلدان

النامية، فقد زعمت البلدان المتقدمة مستندة في ذلك الى مالتس^(١) ان الاكتظاظ السكاني هو السبب الرئيسي للفقر، وقالت غالبيتها أن ابطاء النمو السكاني هو شرط أساسي مسبق للتنمية الاقتصادية.^(٢)

وتحاول هذه النظرية أن تورد العديد من الأدلة التي تبرر بها اختيارها لهذا التوجه، فيحاول أصحابها تسجيل انعكاسات الانفجار السكاني على مختلف مناحي الحياة وما تسبب فيه من مشاكل وأزمات لا يمكن السيطرة عليها إلا بالتحكم المباشر في عدد المواليد، من ذلك أن الزيادة السريعة لعدد المعالين اقتصادياً قد ازدادت، فكانت إحدى النتائج الملموسة للغاية، للنمو السكاني ففي خلال العقود الأخيرة حققت البلدان النامية جميعاً انخفاضاً سريعاً في وفيات الرضع، على حين ظلت معدلات المواليد فيها عالية، ونتيجة لذلك فإن حوالي ٤٠٪ من سكان العالم الثالث هم اليوم أقل من الخامسة عشرة، على حين لا تتجاوز هذه النسبة ٢٥٪ بالنسبة للبلدان المتقدمة، كما أن نسبة الاعالة - عدد السكان الأقل من الخامسة عشرة والأكثر من الخامسة والستين مقسوماً على عدد السكان بين هذين العمريين - هي

١ - مالتس. توماس روبرت مالتس ١٧٦٦ - ١٨٣٤م. اقتصادي انجليزي له كتاب. مقال عن مبدأ السكان. ونظريته تقوم على القول بأن موارد المعاش محدودة لذا لا بد من تحديد النسل لمنع تزايد السكان. أنظر: راشد البراوي. تطور الفكر الاقتصادي ص: ٩٨ - ١٠٧ يوسف كرم. تاريخ الفلسفة الحديثة. ص: ٣٥٢

٢ - جاك لوب. العالم الثالث وتحديات البقاء ص: ١٢٩ ترجمة: أحمد فؤاد بليغ. مجلة عالم المعرفة. العدد ١٠٤ - ذو القعدة ١٤٠٦هـ ص: ٢٠٢

٨٠٪ في البلدان النامية، مقابل ٥٤٪ في المائة في البلدان المتقدمة، ويعني ذلك أن الدخل الذي يكسبه السكان العاملون في البلدان النامية سيقسم بين عدد من الناس أكبر من مثيله في البلدان المتقدمة^(١) ويستتج من هذه المقدمات أنه بما أن الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم الخامسة عشرة لن يضافوا إلا إلى قائمة الاستهلاك دون المساهمة في الانتاج فإن نقص المواليد تبعاً لذلك سيساعد على ازدياد متوسط الدخل الفردي غالباً.

ولئن كانت بعض الدول أقل معاناة من هذه المشكلة، إلا أن السمة العامة للبلاد العربية عموماً أنها تعاني من آثار هذه المشكلة مثلما تعانيه غيرها من البلدان النامية، فنسبة السكان غير النشطين تتراوح بين ٢٥ و ٥٨٪^(٢)، وذلك من شأنه أن يثقل كاهل الأفراد النشطين، فيؤثر على متوسط دخلهم وبالتالي على نوعية حياتهم ومعيشتهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هؤلاء الأطفال سينضمون إلى قوة العمل بمجرد وصولهم سن البلوغ، وإذا وضعنا في الاعتبار ما تعانيه المجتمعات المتخلفة من بطالة وما ينجم عنها من مشاكل خطيرة تهدد الانسان في حياته وكيانه، أدركنا ما تمثله هذه الأعداد الوافدة يومياً من مخاطر تهدد بزعة كيان المجتمعات ومنذ الآن وحتى نهاية القرن

١ . المصدر السابق نفسه ص: ١٢٥

٢ - تقرير عن التنمية في العالم . اعداد البنك الدولي ١٩٨٦م . الجدول رقم ٣٠ .

ص: ٢٥٦

ستزداد قوة العمل في العالم الثالث بأكثر من ٥٠٪ وباستطاعتنا أن نقدر مدى ضخامة المشكلة اذا ما أدركنا أنه سيتعين على البلدان النامية لكي تزود القادمين الجدد الى سوق العمل بفرص للعمل، أن توجد فيما بين عامي ١٩٨٠م و ٢٠٠٠م عدداً من الوظائف الإضافية يعادل الكم الذي كان عليه مجموع سكانها العاملين في عام ١٩٥٠م.^(١)

وإذا نظرنا الى البلاد العربية لوجدنا أن مشكلة البطالة هي احدى المشاكل العويصة التي تقض مضجعها ليلاً ونهاراً، وخاصة الدول غير النفطية منها، حيث تبلغ البطالة نسبة عالية من القادرين على العمل فيندفع هؤلاء العاطلون الى ارتكاب جرائم تهدد أمن البلاد وقد اتضح لنا أن أكثر من ثلاثة أخماس الجرائم التي يرتكبها المجرم العاطل تمت بدافع الحاجة الى المال.^(٢)

كما أن من الأخطار التي يقف وراء ايجادها الانفجار السكاني تلك المشكلة في النقص الكبير للخدمات العامة الضرورية، والذي من شأنه أن يهدد سلامة وحياة قطاع واسع من الناس، فلئن كان بالامكان أن توفر الخدمات الضرورية لعدد معين من الناس، إلا أنه يستحيل أن نوفرها - نظراً لتواضع الامكانيات - لعدد هائل قابل

١ المصدر نفسه ص: ١٢٧

٢ - عاطف عبدالفتاح عجمه. البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة. ص: ١٥٣ دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. ١٤٠٦هـ

للتضخم والزيادة السريعة يوماً بعد يوم، فقد تجاوز النمو السكاني في كثير من البلدان قدرة الحكومات على توفير الخدمات العامة الضرورية في مجالات التعليم، والصحة، والمرافق، والنقل وغيرها، مثال ذلك أنه بينما كانت النسبة المثوية للأطفال المقيدون بالمدارس الابتدائية تتزايد فيما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٧٥م ارتفعت من ٤٦ الى ٦٢٪، فإن عدد الأطفال غير المقيدون بالمدارس كان على الرغم من ذلك في ازدياد من ١١٠ ملايين الى ١٢١ مليوناً، كما أن حكومات كثيرة كانت فيما سبق تدافع صراحة عن التعليم العام تعين عليها أن تتخلى بحذر عن أهدافها المعلنة بسبب الافتقار الى الوسائل المالية والادارية الكافية (١)

وهذا واضح في العديد من الدول العربية التي خانتها امكانياتها عن توفير الضرورات من الخدمات للشعب بكل فئاته، فكان أن ركزت على فئات دون أخرى وعلى مناطق دون غيرها، وخاصة الدول غير النفطية منها حيث نلاحظ التفاوت الشديد الذي يصل الى حد أن يعيش بعض السكان حياة مترفة، ويعيش البعض الآخر حالة من التعماسة والفقرة قد تصل في بعض الأحيان الى كوارث مثل تلك التي حصلت بالسودان.

أما اذا نظرنا الى ما يسببه التزايد السكاني السريع من مشكلات في الزراعة والتغذية فإن الأرقام هي الأخرى تنذر بالويل وتنبه الى الخطر الداهم من هذه المشكلة، فإذا نظرنا الى قوة العمل

١ جاك لوب - العالم الثالث وتحديات البقاء. ص: ١٢٨ مرجع سابق.

الزراعية، لوجدنا أنها كانت في جميع مناطق العالم الثالث، باستثناء أمريكا اللاتينية تزداد بين الفترة ١٩٦١ - ١٩٦٥ م و عام ١٩٧٥ م بأسرع من الزيادة في المساحة المزروعة، وبالتالي فقد انخفض عدد الأقدنة للعامل الزراعي، وهو انخفاض ترتب عليه تصاعد في البطالة وتباطؤ في نمو الدخل.^(١)

ولاشك أن النمو السريع يعني بالضرورة ازدياد الكثافة السكانية وقد بينت الدراسات المختلفة خطر هذه الزيادة في الكثافة على الصعيد الإيكولوجي، من إزالة للغابات وتزايد ملوحة التربة وتعرية وتصحر، خاصة عند تفاقم الأزمات واشتدادها كما حصل بالنسبة لأزمة الطاقة عندما ارتفع سعر النفط، فلم يجد الانسان بدأً من الالتجاء الى الطبيعة يقطع أشجارها ونباتها ليستعمله وقوداً يصطلي عليه في أيام البرد القارسة، وهذا التدهور البيئي يندرب بأفدح الشرور لأنه لم يعد ممكناً في أغلب الأحوال، لأسباب تقنية واقتصادية، استعادة الظروف التي كانت قائمة من قبل وأكثر ما يطمح فيه المرء هو وقف التدهور الجاري عن طريق تدابير طارئة، ومن سوء الطالع أنه يجب كثيراً أن تكون الزيادة السريعة في الكثافة السكانية في العقود القادمة عامل احباط لأية تدابير من هذا القبيل مهما تكن أهدافها محدودة ومتواضعة^(٢)

وبصفة عامة يمكن وبسهولة متناهية، أن نربط كل المشاكل

١ - المصدر نفسه ص: ١٢٨

٢ - المصدر السابق نفسه. ص: ١٢٩

التي تعيشها أغلب المجتمعات المتخلفة، ومنها المجتمعات العربية، بالنمو السكاني السري فنعتبره - كما اعتبره الكثيرون - سبب الولايات التي تصيب هذه المجتمعات في كل لحظة، ليس في الوقت الراهن فحسب بل يمكن أن نفسر المشاكل والآفات المرتقبة في الزمن المنظور بهذا السبب أيضاً فنقول مع من قال: اذا علمنا بأن معدل الزيادة البالغة ٣٪ سيؤدي خلال القرن الحادي والعشرين الى ١٩ ضعفاً فإن مثل هذه الزيادة السكانية ستحتاج الى المزيد من المساكن والغذاء والملابس والتي يصعب توافرها من أرض محدودة وموارد محدودة، وبهذا تحصل مشاكل التضخم، والبطالة، والتلوث، ونقص التغذية، وأيضاً عدم التمكن من توفير الطاقة اللازمة لمعيشة هذه الملايين الزائدة والمستمرة.^(١)

وما دمنا نتحدث عن البلاد العربية فلا بأس أن نذكر بأنه يعيش فيها ما يقارب ١٦٥ مليون نسمة ويتزايدون بنسبة تتراوح بين ٢,٥٪ كما هو الحال في تونس مثلاً، وحوالي ٤٪ كما هو الحال في السودان والأردن وغيرها من الدول. إذاً فالبلاد العربية هي الأخرى مرشحة ربما أكثر من غيرها نظراً لنسبة الزيادة العالية للسكان بأن تعيش هذه المشاكل والآفات المرتقبة، خاصة وأننا نعاني منها ومن عوارضها الحادثة منذ اللحظة الراهنة فما بالنا بالمستقبل؟

ولم ينس أصحاب هذا التحليل الذي يبدو مغريباً ومتكاملاً في

١ - غالب الحمود عربيات. تخلف العرب والعالم الثالث. ص: ١٢٠ مرجع

الوقت نفسه، أن يدلوا على الحل السحري لتجاوز كل هذه الإشكالات فلا حل للخروج من عنق الزجاجة إلا بمنع الأرحام التي تدفع في كل لحظة من الاخصاب والدفع، وان تعذر المنع النهائي لأداء هذا الدور الطبيعي فليس أقل من أن نقلل الى أدنى درجة ممكنة من نسبة المواليد، فنراهم يصورون العائلة المثالية تلك المكونة من أبوين وابن وبنات، ونراهم لا يفتأون يدعون الى فكري تحديد وتنظيم النسل على أنها المخرج الوحيد من المأزق.

ولقد آثرنا أن نعرض هذا الرأي وحججه دون تدخل أو رد، ولا يعني ذلك أننا لا نملك بعض التحفظات عليه، فالسؤال الجوهري المطروح: هل صحيح أن الأزمة - ونعني بها أزمة التخلف والفقير - التي تمر بها مجتمعاتنا العربية وكل دول العالم الثالث تعود أساساً الى النمو السريع في السكان؟؟ أم أن المشكلة أعمق من هذا الطرح الذي يجتزل كثيراً من الحقائق؟

رغم اعتقادنا بأهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه عامل الازدياد السكاني السريع، إلا أننا لا يمكننا أن ننظر اليه من زاوية واحدة فقط فنعتبره سبب كل الشرور التي تصيب العالم المتخلف، فكما أنه يمكن أن يكون أحياناً مصدر قلق وسبباً مباشراً لبعض الأزمات والآفات التي تصيب المجتمع، فإنه بإمكانه أن يكون كذلك عاملاً هاماً في تطوير المجتمع وتنميته، فإذا التقى الازدياد السريع للسكان مع ظاهرة كون هؤلاء الأفراد الوافدين متخلفين، جهلة، متروكين دون تعليم ولا تدريب فإن ذلك من شأنه أن يجعل هذا الازدياد مصدر

متاعب ومشاكل يضيفها على هموم المجتمع فيتعمق تخلفه ويستمر
كبوته

والحقيقة أننا لا يمكننا أن نعتبر الانفجار السكاني هو السبب
الأول والأخير لحالة الحرمان والتخلف التي تعيشها قطاعات واسعة
من شعوب البلاد العربية. فهذه الحالة لها أسبابها المتعددة والعميقة
الجزور في البيئة المحلية سواء من جراء الظروف الطبيعية أو من
الفوضى السياسية، أو من التبعية الاقتصادية والمديونية العالمية

ورغم إيماننا بأن ظاهرة التفاوت طبيعية تنبع من اختلال
الأفراد في القدرات والاستعدادات والطموحات، إلا أننا لا يمكن أن
ننظر بعين الرضا الى هذا الواقع المنتشر في كثير من المناطق العربية
والاسلامية والذي لا يمكن أن يساعد على نجاح خطط التنمية
والتقدم، وإذا كان لابد من ذكر بعض الأمثلة التي تصور هذا الواقع
- وان كان الأمر أقوى من أن تتبادر اليه ذرة من الشك - فإننا يمكن أن
نذكر فقرة من مقال لأحد الدارسين متحدثاً عن بلد صغير هو لبنان:

كلمة «مليونير» أي رجل يملك مليوناً من الليرات اللبنانية كحد
أدنى - لم تعد مستهجنة في الثمانينيات كما كانت في الستينيات.
وبعض الشيء في السبعينيات، ففي الستينيات كان في لبنان حوالي
٥٠٠ مليونير (وسكان لبنان هم أقل من ثلاثة ملايين نسمة) وقد
ارتفع الرقم في نهاية العام ١٩٧٢م الى حوالي ٩٠٠ مليونير ثم ازداد
عدد (المليونيرين) خلال السبعينيات فوصل في نهاية عام ١٩٧٩م الى

حوالي ١٢٠٠٠ مليونير وقفز في عام ١٩٨٢م الى أكثر من عشرين ألفاً.^(١)

إذا قابلنا هذه الصورة بصورة أخرى منشورة بإحدى الصحف^(٢) تقول «بسبب الفقر والجوع أم لبنانية تبغ أبناءها» لأدركنا الواقع الذي تعيشه كثير من المناطق العربية، ولا ننس أن الصورة الثانية هي أكثر انتشاراً وظلالها أكثر امتداداً من الصورة الأولى. ولذلك يقول صاحب المقال السابق^(٣) لا يختلف خبيران على وجود خلل كبير في التوازن الاقتصادي والاجتماعي في لبنان، والحل المطلوب لإزالة هذا الخلل لا يكون بالطبع زيادة عدد (المليونيرين) ولا بمضاعفة الرواتب والأجور بل بتقريب الفوارق قدر الامكان بين فئات الشعب، ورفع مستوى ذوي الدخل المتدني، وهنا تكمن مسؤولية الدولة في الاسراع بأخذ المبادرة والدخول بقوة الى ثلاثة قطاعات رئيسية هي: السكن والتعليم والصحة، لأن توفيرها يعني صمام الأمان الوحيد للمشكلة الاجتماعية ويساهم في الوقت نفسه في لجم (غول) التضخم.

ولاشك أن كل الدول العربية تشكو من هذا الواقع، وما

١ - عدنان كريمة دراسة عن أصحاب الملايين. مجلة الحوادث اللبنانية العدد ٢٠ - آيار/ مايو ١٩٨٧م. ص: ٦٧
٢ - أنظر: صحيفة الشرق الأوسط ص: ٤. العدد ٣١٤٧ ١٥ ذوالقعدة ١٤٠٧هـ. ١١/٧/١٩٨٧م.

٣ - عدنان كريمة. دراسة عن أصحاب الملايين. المرجع السابق.

وضعية لبنان الآ صورة مصغرة للواقع العربي الراهن، وإن كان نقر ببعض التفاوت والاختلاف في الدرجة من بلد الى آخر. نعيش هذا الواقع يومياً وكأننا لا نسمع كلام الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله ﴿وما آفأ الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾^(١)، هذا على المستوى الوطني. أما اذا نظرنا الى الواقع العالمي فإن المشكلة تبدو أكثر وضوحاً وأكثر حدة فلا يعزب عن بال أحد أن النعيم المادي الذي ترتع المجتمعات الغربية في بحبوحته مبني على بؤس سكان العالم الثالث. وهم أربعة أخماس المعمورة، وليس من المعقول أن يستمر خمسمائة مليون من الغربيين في تنعمهم ورفاهيتهم. بل في بذخهم. في الوقت الذي يوجد فيه على الضفة الأخرى من العالم حوالي أربعة مليارات من الجياع يعيشون في فقر مدقع.^(٢)

هكذا اذاً. ندرك أن سبب البلاء انما يعود أساساً الى هذه الفلسفة التي لا تبالي عندما تشاهد انساناً يتلوى من الجوع، ولا تتم سعادتها إلا بأن تراه طعاماً لحيوانات الأرض، ان الفلسفة التي لا تراعي حرمة الانسان وترتكز أساساً على قتل كل النوازع الانسانية في بني البشر وتدعو صراحة لأن يكون الانسان عدواً لأخيه الإنسان،

١ - سورة الحشر الآية: ٧.

٢ - نبيل صبحي الطويل. أضواء على دعوة تحديد النسل. مجلة الأمة. العدد العاشر. شوال ١٤٠١هـ. ص: ٢٨

لحربي بها أن ترسم لنا بكل براعة هذه الصورة المختلفة من التقابل والتناقض الشديد في الحياة، ومن صور التناقض هذه أن تحسين صحة وتربية أولاد البلاد الفقيرة يمكن انجازه بكمية أقل مما تصرفه الدول المصنعة على خمورها كل عام. كذلك الوصول الى الهدف الأعم في توفير الحاجات الأساسية لكل السكان المحتاجين في العالم ممكن بمخصصات سنوية توازي القيمة التي تصرف الآن على كل ستة أسابيع لصيانة وزيادة القدرات العسكرية (١)

فعلى الذين لا يألون جهداً في التأكيد على أن مشكلة العالم انما تعود الى السرعة الجنونية في الازدياد البشري، بالتريث قليلاً، لأنهم انما يحاولون بذلك تغطية الشمس برداء شفاف لا يلبث أن يتهاوى أمام الحقائق، خاصة وان الأرقام التي كثيراً ما يعتمدونها في تأكيد نظرياتهم والبرهنة عليها كثيراً ما تنقلب حجة عليهم، مؤكدة على خطأ ادعاءاتهم، فتقديرات خبراء القضايا السكانية تشير الى امكانية توفير الغذاء لأربعة أضعاف سكان العالم الحاليين، اذ حسب رأيهم أن انتشار الجوع وسوء التغذية في العالم يتمثل في سوء توزيع الغذاء وصرف الأموال الطائلة على نفقات التسلح، لا بالانفاق على الانتاج الزراعي والغذائي الذي يحتاجه سكان العالم. وحسب تقديرات منظمة التغذية والزراعة الدولية فإن الطاقة الغذائية تفوق الطلب

١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٥٢ -

٥٣. مرجع سابق. عن جيمس غرانت. حالة أطفال العالم ١٩٨١م -

١٩٨٢م ص: ١٤

بنسبة عشرة بالمائة وحتى في البلدان المتخلفة فإن المواد تكفي حاجة السكان المحليين اذا ما وزعت بالتساوي ومنع ضياع المواد الغذائية. (١)

بعد هذا كله يمكن أن نقرز أن الأعداد البشرية ليست عبئاً مادام الكثير من الانتاج لا يجد أسواقاً لتصريفه، فحوالي ٤٠٪ من انتاج الحبوب في العالم يخصص لإطعام الماشية، وحوالي ٦٥٪ من الفواكه والخضروات المنتجة في أمريكا الوسطى تلقى في القمامة، وقد قدر نيجل هاريس جزءاً واحداً من عشرين (٢٠ - ١) من كمية الحبوب التي تطعمها الدول المتقدمة لمواشيها تكفي لإنقاذ أولئك الذين يموتون جوعاً في بلاد العالم الثالث. (٢)

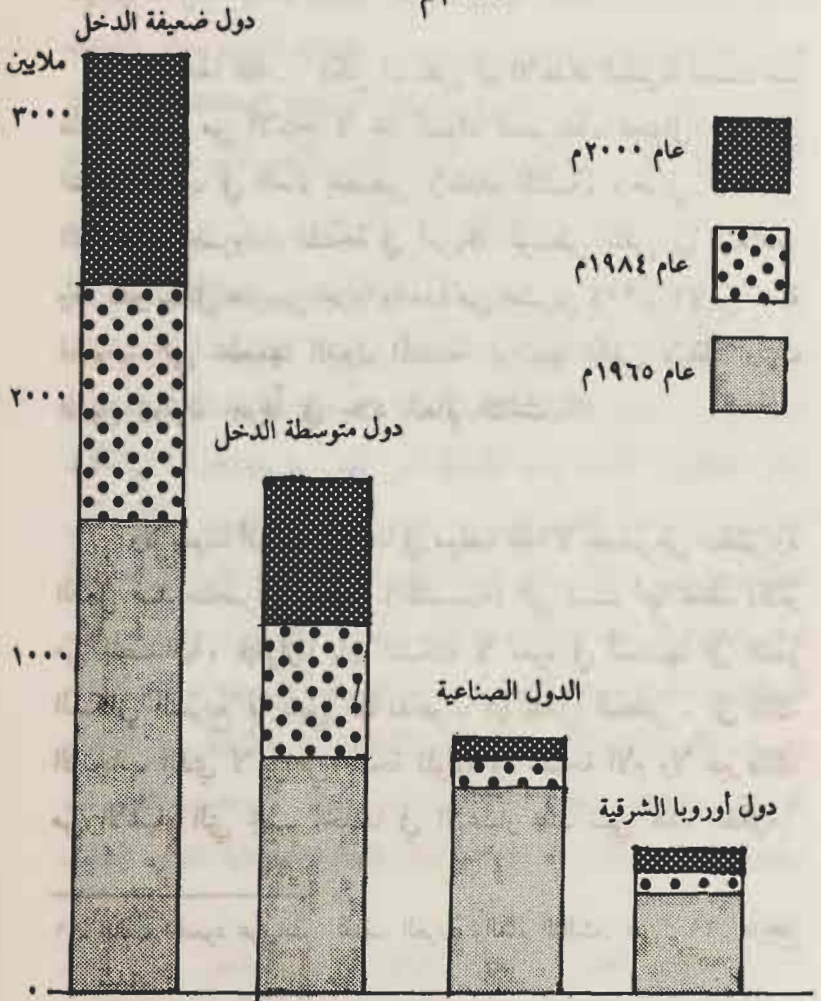
ولا يفوتنا أن ننبه الى أننا في موقفنا هذا لا نصدر من منطلق رد الفعل ضد مناصري النظرية (المالتوسية) التي بينت أنها تفتقد لكثير من المصدقية، فإقرارنا بأن المشكلة لا تعود في أساسها الى النمو السكاني السريع لا يعني أننا ندعو - كما يفعل البعض - الى ذلك الانجاب الذي لا يراعي صحة المولود ولا صحة الأم ولا غير ذلك من الأشياء التي يجب أخذها في الاعتبار عند تنبي هذه الفكرة.

١ - غالب الحمود عريبات. تحلف العرب والعالم الثالث. ص: ٢١ مرجع سابق.

٢ - كاميل حسن. مأساة البلدان النامية الجوع في عالم الوفرة. مجلة الأمة العدد ٥٢ السنة الخامسة ربيع الآخرة ١٤٠٥هـ.

توزيع سكان العالم

حسب الدخل السنوي لسنتي ١٩٦٥م و ١٩٨٤م وتوقعات سنة ٢٠٠٠م^(١)



١ - البنك الدولي: تقرير عن التنمية في العالم سنة ١٩٨٦م. ص: ١٩٦.

فما جعل الازدياد السكاني مشكلة ليس الازدياد في حد ذاته،
انما الظروف التي اكتتفتها وأحاطت به فكان من المفترض أن كل مولود
يولد وهو صاحب فم واحد ويدين اثنتين، فهو قادر من حيث المبدأ
على اعاشة نفسه على الأقل، لكن تحيط به الظروف من كل جانب
فتعطل حركته وتجعله سلبياً يستدعي من يوجه اليه عنايته بعد أن كان
يفترض أن يكون هو مصدر هذه العناية، مما يعني أن المشكلة كامنة
في هذه العوامل المثبطة للعزائم والتي تحول دون تفاعل الانسان مع
مختلف عناصر الطبيعة التي سخرت له تفاعلاً ايجابياً ليحدث التناغم
والابداع فيطور المجتمع وينهض، فحري بنا ونحن نسعى الى معالجة
القضايا أن نولي انتباهنا الى جوهر القضية دون الاقتصاد على
ظواهرها، لكيلا تكون هذه المعالجة قاصرة وآنية تسعى للقضاء على
شيء وهو في الوقت ذاته تساهم في ايجاد مشاكل وهموم جديدة ربما
كانت أكثر حدة وعمقاً من الأولى.

ب - الفهم الخاطيء للتنمية والتائج الفاشلة لتجارها:

تشابكت الأوضاع والأحداث لتجعل من قضية التنمية القضية
الأولى التي جندت لها كل الوسائل والامكانيات، فبرزت مشاريع
تنموية مختلفة ومخططات رباعية وخماسية وسداسية تسعى جميعها
للنهوض بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والاجتماعي، لتتجاوز به
الأزمات المختلفة التي تلم به ولتطور أوضاعه.

ولم تشذ الدول العربية في مجموعها عن هذا الواقع، ولم تكن
بعيدة عن المشاريع التنموية في مخططاتها المختلفة وبرامجها المتنوعة،

فرسنت كثيراً من السياسات الاقتصادية التي تحاول مواجهة الواقع المتردي الذي تعيشه المجتمعات العربية، وكانت تحمل على عاتقها في كثير من برامجها دفع وضعية التخلف والحرمان التي تعيشها قطاعات واسعة من المجتمع، ولكن وبعد خطط عديدة وعقود متتالية طبقت فيها مشاريع تنمية مختلفة توضح أن النتيجة لم تكن - في أحسن حالاتها - في مستوى الآمال التي كانت تعلق عليها في البداية، فعند حصول أغلب الدول العربية على استقلالها السياسي في أواسط هذا القرن نرى أنه أضيفت هالة جديدة على مخططي التنمية، الرجال الذين كانت لهم ثقة هائلة في أنفسهم، ولكن ثقة قليلة في مجتمعاتهم التي كانوا جميعاً يريدون تحويلها إلى عجل، لقد وعدوا كل فرد بعربة (مرسيدس) أو على الأقل بعربة (هوندا) ثم تبينوا أنهم لا يستطيعون انجاز هذا الوعد إلا بالنسبة لأنفسهم وبالنسبة لأقلية متميزة.^(١)

وسيكون من المفيد أن نتعرض إلى بعض الأخطاء التي وقعت فيها المشاريع التنموية بالدول العربية، ولعل أول هذه الأخطاء ذلك المتمثل في مفهوم التنمية في حد ذاته، فعرفت بأنها - أي التنمية - زيادة الانتاج، ورغم اعتقادنا بأن زيادة الانتاج من الأهداف المهمة التي يجب أن تسعى إلى تحقيقها التجارب التنموية، إلا أن قصرها على هذا الهدف فقط يثير العديد من المشاكل على المستوى النظري فاعتبار الانتاج جوهر التنمية، يتضمن في الوقت نفسه اعتبار

١ - محبوب الحق. ستار الفقر. خيارات أمام العالم الثالث. ترجمة أحمد فؤاد بليغ. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص: ٣٧.

الاستهلاك محور السلوك الانساني، وهو مفهوم يقوم على افتراض معين عن الانسان الاستهلاكي الذي تحدث عنه الفكر الاقتصادي الغربي، وعلى افتراض امكانية زيادة الانتاج الى ما لا نهاية وكلا الافتراضين ارتبط بالثورة الصناعية الرأسمالية، وبالتوسع الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وعلى رأي الذي طرحه آدم سميث في كتابه ثروة الأمم ومؤداه أن رفاهية الأمم تقاس بما تنتجه وتستهلكه من سلع وخدمات، والذي ترتب عليه اعتبار الدول المتقدمة هي تلك التي تتمتع بدخول مرتفعة بغض النظر عن درجة انحطاط وتدهور قيم مواطنيها وأخلاقياتهم، والدول المتخلفة هي التي تعاني من الدخل المنخفض^(١) كما أن زيادة الانتاج لم تستتبع بالضرورة عدالة في التوزيع بل انه كثيراً ما وزع توزيعاً زاد الثري ثراء، وأبقى المحتاج في أشد الحاجة الى الضرورات الحياتية.

كما عرفت التنمية في بعض الأدبيات كذلك، بأنها هي اللحاق بالدول المتقدمة، وهي بهذا تضع الأمم والبلدان الصناعية مثلاً أعلى يجب تقفّي آثار خطواته، ولم يقتصر ذلك على الجانب المادي والعلمي والتقني فحسب، بل نراه يتعدى ذلك ليشمل عند الكثيرين الجانب القيمي والخلقي، مما أضاف تدميراً الى الواقع القيمي في بلداننا.

والواقع أن هذا الطرح يعالج بلادنا ومجتمعاتنا من خارجها، ويصفها بالمقارنة مع غيرها، ولا ينطلق في معالجة واقع بلادنا من

١ - عبدالحق الشكيري. التنمية الاقتصادية في المنهج الاسلامي. كتاب الأمة

أرضيتنا وخصوصياتنا، كما أن نماذج الحضارة الغربية وما اقترن بها من سلبيات، وما ظهر فيها من نقائص، لا يمكن أن يكون بحال من الأحوال المثال الذي يجب أن نسعى إلى تحقيقه^(١)، خاصة وأن مثل هذه المواقف كثيراً ما تكون منطلقة من موقف الاحساس بالنقص والدون أمام الغالب، مما يوجد المناخ الملائم للتأثر بكل ما يحمله من سلبيات قد تهدد كيان الأمة

كما ظهر من تعريفات التنمية كذلك ما يقول بأنها هي استخدام التقنية المتقدمة، ورغم أهمية هذا العامل في النهوض بالمجتمع والتقدم به خاصة في عصرنا الراهن، إلا أن هذا الرأي يغفل أن التقنية هي نتاج اجتماعي، وأن المستوى التقني لمجتمع ما، يعكس تراكم الخبرات البحثية والعلمية لديه، وهكذا فإن الثورة التقنية في البلاد المتقدمة، هي تعبير عن تقدم طبيعي يتضمن نوعاً من الاتساق بين هذا التقدم والأنماط الفكرية والثقافية والقيم المادية السائدة في المجتمعات الغربية، أما استيراد هذه التقنية إلى البلاد الإسلامية، فهو لا يعبر عن أمر طبيعي، ولكنه أمر مستعار ومضاف إلى هيكل اجتماعي متخلف، ومن ثم لا يمكن أن يؤدي إلى التطور^(٢) فعلياً أن نعيد النظر في تلك المقولات التي ترداد وتؤكد على حياد الانجازات العلمية والتقنية واستقلالها عن كل قيمة أو بعد أخلاقي مهما كان نوعه، فلا غضاضة من استيرادها والانتفاع بها من أي مكان. والواقع أن الحقيقة وإن تساند هذه المقولة في جزء منها، إلا

١ - المصدر نفسه. ص: ٢٦ - ٢٧

٢ - المصدر نفسه ص: ٢٦ - ٢٧

أنها لا تقرها على إطلاقها، فالإنجازات العلمية والتقنية لا تخرج عن كونها تعبيراً مباشراً أو غير مباشر عما يحمله صانعها من قيم ومواقف ورؤى.

كما عرّفت التنمية بتعريفات أخرى متعددة لا تخرج عن كونها تأكيداً على تنمية الجانب الاقتصادي للإنسان فحسب، ورغم تأكيدنا على أهمية هذا الجانب وأنه من المهمة الأساسية التي يجب على كل مخطط للتنمية أن يراعيه، بل يعطيه الأولوية أحياناً إذا اقتضى الأمر، إلا أن الاقتصار عليه وحده وإهمال أبعاد الإنسان الأخرى، قد يسهم إلى حد كبير في تشويه المحاولات المتكررة والحد من طموحاتها، فالتنمية في حقيقتها عملية حضارية، لكونها تشمل مختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحقق رفاهية الإنسان وكرامته، وهي أيضاً بناء للإنسان وتحرير له وتطور لكفاءاته وإطلاق لقدراته. كما أنها اكتشاف لموارد المجتمع وتنميتها وحسن تسخيرها. وتبقى التنمية الثقافية هي غاية التنمية بالمفهوم الشامل للثقافة^(١) وبعبارة مختصرة يجب أن تكون تنمية شاملة تستهدف الإنسان في كل أبعاده، لأن التخلف ليس مرضاً اقتصادياً فحسب والآن لكان القضاء عليه أسهل وأيسر من الجهود التي تبذل في هذا السبيل، إنما هو عملية معقدة شملت الحياة في كل مجالاتها ابتداء من العامل النفسي وانتهاء بالعامل الاقتصادي فيجب أن يعاد تعريف مشكلة التنمية على التنمية على أنها

١ - عمر عبيد حسنه. مقدمة كتاب التنمية الاقتصادية في المنهج الإسلامي.

ص: ٩ مرجع سابق.

هجوم انتقائي على أسوأ أشكال الفقر، كما أن أهداف التنمية يجب التعبير عنها من زاوية التقليل المتزايد والالغاء الفعلي لسوء التغذية، والمرض، والأمية، والفقر المدقع، والبطالة، ومظاهر عدم المساواة، ويجب تطوير المؤشرات الاجتماعية وقياس تقدم الخطط من زاوية أهداف نوعية وكمية في هذه المجالات لا من زاوية متوسط دخل الفرد، وقد علمونا أن نعني بانتاجنا القومي الاجمالي، إذ أن ذلك سيعتني بالفقر، فدعونا نقلب ذلك، ونعني بالفقر أولاً، إذ أن الناتج القومي الاجمالي باستطاعته أن يعنى بالفقر أولاً، وذلك لأنه مجرد مجموع مريح - وليس حافزاً - للجهود البشرية^(١) هذا على مستوى التعريف النظري لإشكالية التنمية، وقد يظن بأن كل هذا ليست له علاقة مباشرة بموضوع الدراسة، والحقيقة أن كل أمر قبل أن يبرز على ساحة الواقع تكون له خلفية فكرية - واعية أو غير واعية - ويتوقف نجاح الممارسة العملية لكل أمر على احكام تنظيره وأخذه في الاعتبار لكل الظروف التي تساعد على التجلي في أحسن صورة عند التطبيق.

ولا يفوتنا أن ننبه الى أن هذه التعريفات الجزئية للتنمية قد دفعت مخططي التنمية بالدول العربية الى أخذ قرارات أساسية اعتبرت ضرورية لانجاح المشروع التنموي الكبير، وقد لخصها كتاب ستار الفقر في ثلاثة قرارات عند حديثه عن التنمية بالدول النامية يقول:

١ - محبوب الحق. ستار الفقر. ص: ٦٩ مرجع سابق.

- انبهار بمستويات المعيشة العالية في البلاد المتطورة، اقتناعاً بأن الحياة الحقيقية تبدأ عند ألف دولار أو نحو ذلك، قررت البلاد النامية الكفاح من أجل معدلات نمو عالية في الناتج القومي الاجمالي وذلك في سعيها الملهوف لتحقيق أرقام ساحرة معينة لمتوسط دخل الفرد.
- أقرت البلاد النامية بوجه عام «الاقتصاد المختلط» بوصفه أسلوباً للتنمية اقتناعاً منها بأنها على قدر من البراعة يكفي للجمع بين أفضل قسماات الرأسمالية والاشتراكية
- اتجهت البلاد النامية الى البلاد المتطورة طلباً لمساعدة سخية، مؤملة أن يسمح لها ذلك ببلوغ معدلات نمو عالية، ومستويات معيشية عالية، في غضون فترة زمنية معقولة.

وقد ثبت أن هذه القرارات الثلاثة جميعاً خاطئة، وكان كل منها بمثابة كارثة^(١) بقي أن نستعرض فيما يلي بعض أوجه القصور التي عبرت بوضوح عن فشل ذريع في المخططات التنموية بالبلدان العربية خلال العقود المنصرمة، ولعل أهم نشاط برز فيه هذا الفشل بكل وضوح النشاط الفلاحي «ان الحجة المؤدية لإعطاء أولوية أكبر للزراعة في استراتيجيات التنمية لا يمكن أن تقوم ببساطة على الحقائق القائلة بأن هذا القطاع قد أهمل حتى الآن اهمالاً كبيراً، أو بأنه يستخدم ثلثي قوة العمل، أو بأنه يزود ثلاثة أرباع أفقر سكان العالم الثالث بمصدر للدخل.

فبرغم كل شيء يستطيع المرء أن يجيب - وكثيراً ما قدمت

١ - المصدر السابق نفسه ص: ٦٥ ٦٦

الإجابة - بأن هذا القطاع قد أهمل عن حق لأن انتاجيته منخفضة.^(١)

فإذا نظرنا الى المساحة المزروعة لوجدنا الفرق الشاسع بينها وبين المساحة القابلة والصالحة للاستغلال الزراعي ففي حين تبلغ الأولى (٦٠٠,٥٠٩,٤٦) هكتار، تصل الثانية الى (٧٠٠,٧٦٧,١٠٨) هكتار، مما يعني وجود امكانية للتوسع الزراعي الأفقي، وترتبط هذه المشكلة بزحف الرمال، أو التصحر، ومشكلات الري، والصرف، ونقص القوى العاملة ورؤوس الأموال اللازمة للتوسع الزراعي.^(٢)

أما اذا نظرنا الى مياه الري فإن مشكلة التوزيع وعدم الاستغلال الكامل والمفيد تطرح نفسها بكل وضوح في هذا المجال أيضاً، فالمياه لا يستغل منها الا نسبة ٥٥ - ٦٠٪ فقط من مصادر المياه السطحية والجوفية بينما امكانية المياه المتاحة تقدر بحوالي ٢١٥ مليار متر مكعب.^(٣)

كما يعاني هذا القطاع ضآلة الاستثمارات العامة الانمائية، رغم أنه أكثر القطاعات استيعاباً للقوى العاملة، وهو يمثل مصدر الدخل

-
- ١ - جاك لوب. العالم الثالث وتحديات البقاء. ص: ٢٥٧. مرجع سابق.
 - ٢ - معين عبدالرحمن. بدون خطة للأمن الغذائي. العرب مهددون بالمجاعة ص: ٦٤ مرجع سابق.
 - ٣ - غالب الحمود عريبات. تحلف العرب والعالم الثالث. ص: ٤٩. مرجع سابق.

الوحيد لفئة كبيرة من المجتمع، وكثيراً ما وقع التغافل عن هذا القطاع الحساس بدعوى توجيه كل الاهتمام الى عملية التصنيع الذي يعتقد بأنها أساس التطور في المجتمعات الحديثة. والحقيقة أن كثيراً من الدراسات أثبتت خطر هذه الفكرة حتى الثورة الصناعية التي قامت في انجلترا أصبح ينظر اليها الآن على أنها سبقت زيادات هامة في الانتاج الزراعي فقد أدت الأبحاث التي أجريت خلال الأعوام العشرين الماضية الى الاقرار بأهمية الزراعة في هذه العملية - أي الثورة الصناعية - فإن بول بايروخ بعد أن صرف عن تفسيرات تقليدية شتى - التقدم التقني، نمو السكان، الزيادات في الأسعار، تراكم رأس المال، يخلص الى أن نمو الزراعة كان عاملاً حاسماً في تطور البلدان المصنعة الآن - وفي جميع البلدان التي تتوافر بشأنها المعلومات الضرورية، كان انطلاق الانتاج الصناعي في الحقيقة مسبقاً بزيادة هامة في الانتاج الزراعي.^(١)

لكن مخططي التنمية في بلداننا لا يراعون هذه الحقيقة وكأنهم يريدون - باستعجال شديد - تحقيق ثورة صناعية دون وجود المادة التي سوف ترتكز عليها هذه الثورة التي هي في جانب كبير منها الانتاج الزراعي، فإذا نظرنا الى التجربة الجزائرية مثلاً وهي تلتقي في سماتها الكبرى بأغلب التجارب في البلدان العربية الأخرى لوجدنا أن الاستراتيجية التي اتبعتها منذ الاستقلال - أو بدقة أكثر منذ أن أعدت في عام ١٩٦٦ خطة السنوات السبع للتنمية للفترة ١٩٦٧ -

١ - جاك لوب. العالم الثالث وتحديات البقاء. ص: ٢٥٨ مرجع سابق.

١٩٧٣م تركز على التعجيل بالتصنيع، وعلى الرغم مما حققته هذه الاستراتيجية من بعض النجاحات إلا أن النتائج التي تحققت بعد جهد استثنائي تبدو مخيبة للأمال الى حد ما، وبطبيعة الحال كان الانتاج الصناعي يزداد بسرعة في الفترة ما بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٧٠م (١٢,٩٪) سنوياً، ولكن نموه تباطأ بعد ذلك ٦,٥٪ في عام ١٩٧٠ - ١٩٧٩م، أما بالنسبة للانتاج الزراعي فقد كان نموه يتوقف: فمعدل النمو السنوي من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٨٠م كان حوالي ٠,٥٪. وبينما كان الطلب على الوظائف يزداد بسرعة (يزداد هذا الطلب الآن بحوالي ١٤٠٠٠٠ شخص كل عام)، فإن الصناعة لم تكن تقدم إلا فرص عمل محدودة، (٢٥٠٠٠ فرصة عمل اضافية من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٧م)، وكانت العمالة الزراعية في حالة توقف، أو كانت تنخفض، كما أن انتاج الأغذية الذي كان يمثل ٧٣٪ من الاستهلاك في عام ١٩٦٩م، لم يكن يقابل إلا ٤١٪ فقط في عام ١٩٧٧م، ومن الواضح اليوم أنه بسبب الرغبة في التحديث لم يكن باستطاعة الزراعة والقطاع الريفي تزويد الصناعة بالأسواق المتوقعة، ولقد أصبح جلياً أنه يتعين إعادة النظر في أولويات الزراعة.^(١)

كما يبدو فشل الخطط التنموية في المجال الزراعي في تعثر سياسات الاصلاح الزراعي وكذلك مشكلة تدني الانتاجية، وتعود المشكلة الأخيرة الى عدة أسباب منها تخلف وقصور في أساليب وفنون الانتاج الغذائي في الأقطار العربية بالاعتماد على الوسائل التقليدية،

١ - المصدر السابق نفسه ص: ٢٦٨ - ٢٦٩

ويكفي أن نشير الى أنه في عام ١٩٧٤م كان يوجد في فرنسا سبعة جرارات لكل كيلومتر مربع من الأراضي الزراعية، في حين لم يتجاوز العدد ٠,٠٩ في السودان، و ٠,١٢ في السعودية، و ٠,١٦ في ليبيا، و ٠,٢٠ في سوريا، و ٠,٢١ في العراق، و ٠,٦٥ في مصر، و ٠,١٥ في لبنان. ولم يتجاوز عدد الجرارات المستخدمة في الوطن العربي ككل ١٢٩ ألف جرار، بما لا يكفي للوفاء باحتياجات الأراضي المروية وحدها.^(١)

وبهذا كله ندرك الدور الخطير الذي أسهمت به المشاريع والمخططات التنموية في تشكيل القطاع الزراعي تشكيلاً سيئاً، وبالتالي في افقار قطاع واسع من الشعب ومزيد افقاره، خاصة وأنا علمنا أن أحزمة الفقر تنتشر في المناطق الريفية التي تعتمد أساساً على الفلاحة أكثر مما تنتشر في المدن والحوضر، وهذا بعد أن كانت فلاحتنا تنتج ما يكفي استهلاك أصحابها وربما فاضت على غيرها بكثير من المحاصيل الزراعية.

هذا العرض المختصر للنشاط الزراعي في بعض البلاد العربية وما مثله من فشل لمختلف المشاريع الانمائية في هذا القطاع، نعرض فيما يلي للقطاع الصناعي لنعرف أوجه الإخفاق والنجاح التي حققها هذا القطاع في الفترة الأخيرة، خاصة وأنه كثيراً ما برر التقصير في المجال الزراعي بأنه يعود الى توجيه الجزء الأكبر من الاهتمام الى الصناعة بحجة أن الخروج من حالة الحرمان والتخلف

١ - معين عبدالرحمن. بدون خطة للأمن الغذائي. ص: ٦٣ مرجع سابق.

لا يمكن أن يتم إلا بذلك.

ولكن هل حصل بالفعل الاهتمام المزعوم بالصناعة؟ ان لغة الأرقام لا تكاد تؤيد ذلك إلا بنسبة بسيطة فمساهمة الوطن العربي في الانتاج الصناعي العالمي تقل عن ٥, ٠٪ في حين أنه يضم ٣, ٥٪ من سكان العالم، بل انه بالنسبة للصناعات الغذائية وصناعة الملابس والمنسوجات وهي أقدم وأكبر الصناعات العربية، لا ينتج الوطن العربي سوى ١٪ فقط من جملة انتاجه العالمي، كما لا تزيد نسبة المشتغلين في الصناعات التحويلية على مستوى الوطن العربي كمجموعة من ٢٪ فقط.^(١)

ويعود اهتمام الدول العربية بالتصنيع وايلائه أهمية كبرى في مخططاتها التنموية المختلفة الى رغبتها في القضاء على البنية الأحادية للاقتصاد الوطني، حيث ورثت معظم هذه البلدان وضعاً اقتصادياً بعد الفترة الاستعمارية يقوم أساساً على الزراعة ولا يعطي للتصنيع إلا دوراً هامشياً لا يكاد يذكر

كما استهوت تجربة البلدان المتخلفة الأخرى قادة ومخطط اقتصاديات الدول العربية، فقد سعت دول أمريكا اللاتينية وغيرها من البلدان الى تحقيق فكرة تدعى بنموذج الاحلال محل الواردات والذي «يهدف في الأساس الى اشباع السوق المحلية في ظل درجة عالية من الحماية الجمركية».^(٢)

١ - سمير عبده. الوطن العربي بين التخلف والتنمية. ص: ١٧

٢ - المصدر نفسه ص: ١٨

وقد تبين فيما بعد فشل هذه الاستراتيجيات في تحقيق التنمية الاقتصادية لهذه البلدان إلا أنه رغم ذلك نرى البلدان العربية تحاول اقتفاء السبيل نفسه فتمنى هي الأخرى بنكسات متتالية .

والدليل الظاهر على تردي الصناعات العربية النظرة في الميزان التجاري لكل قطر من الأقطار العربية، فالدول العربية النفطية لولا صادراتها النفطية لأصبحت من أشد دول العالم فقراً، أما الدول العربية التي لا تصدر النفط فإن ميزانها التجاري في عجز متزايد ودائم.^(١)

وقد وجدت مجموعة من الأسباب حدثت من طموحات الخطط الائتمانية الخاصة بهذا القطاع، فالصناعة العربية تعاني التخلف بسبب تخلف انتاجها من استخدام التطبيق العلمي والتقني كما أنها تعمل باننتاجية أقل من مثيلاتها لقصورها في اكتساب المهارات المهنية والفنية والادارية، يضاف الى ذلك أن التصنيع العربي مهدد بمزيد من التخلف لأنه يواجه التكتلات الاقتصادية بينما هو يعاني من علل تختلف من قطر الى قطر في الوطن العربي الكبير.^(٢)

كل ذلك جعل من عملية التصنيع عبئاً ثقيلاً يستنزف امكانيات الشعوب العربية، ولا يعود بمرود يعوض هذه الامكانيات التي تنفق في سبيله، مما جعله عاملاً أساسياً عمق التخلف والفقير، ولم يساعد على

١ - غالب الحمود عربيات. تخلف العرب والعالم الثالث. ص: ٦٦ مرجع سابق.

٢ - المصدر السابق نفسه ص: ٦٥

القضاء عليه - حتى أصبحت عملية إعادة الانتاج الاقتصادي -
التقني، ولا تكون قواعد الاكتفاء الذاتي، كما أنها لا تحتاج الى
صناعة تنمى الديون وخدماتها، والبطالة والاغتراب الاجتماعي،
وتدهور مستوى المعيشة، والتبعية الخارجية وعدم التوازن الاقتصادي
الاجتماعي الداخلي.^(١)

أما اذا نظرنا الى نوعية الصناعات التي أقيمت ببلادنا العربية
لوجدنا أنها تمثل في كثير من صورها حلقة من حلقات التصنيع التي
التجأت اليها الشركات المتعددة الجنسيات بحكم وفرة اليد العاملة،
ورخص تكاليفها، وبمفعول التشجيعات التي لقيتها هذه الشركات
من حكومات البلدان العربية، من تسهيل للتصدير وتخفيض
الضرائب وغيرها من صور الاغراء الكثيرة، ولكن هل يمكننا بذلك
كله أن نبي شيئاً ولو بسيطاً من الصناعة الذاتية المستقلة عن
الأجنبي؟ لا أعتقد أن أحداً قادر على الرد بالإيجاب عندما يواجه هذا
السؤال، فصناعتنا البسيطة التي أقيمت على أراض عربية مرتبطة
ارتباطاً كاملاً بالمؤسسات الأجنبية، يذكر الدكتور محمود
عبدالفضيل^(٢) بعض أنماط (التصنيع الهامشي) التي أقيمت بالبلدان
العربية وغيرها من الدول غير المصنعة، فهناك نموذج «التجهيز

١ كاسترو. أزمة العالم الاقتصادية والاجتماعية. ص: ١٤٨ مرجع سابق.

٢ - محمود عبدالفضيل. النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية. سلسلة عالم
المعرفة. العدد السادس عشر المجلس الأعلى للآداب في الكويت.

الصناعي الأولي»، حيث تقتصر عمليات التصنيع على عمليات تحضيرية أو تجهيزية للمواد الخام قبل تصديرها للخارج، كذلك هناك نموذج آخر يقوم على التصنيع في وسط الحلقة الانتاجية وأهم مثل لذلك صناعة المكونات أو صناعة الأجزاء حسب ما تقتضيه اعتبارات الاستراتيجية الكلية للشركات دولية النشاط. حسب ما تمليه اعتبارات الربحية والمزايا النسبية في تقسيم العمل، وينتج عن ذلك تكامل عناصر العملية الانتاجية لا يتم على مستوى البلد الواحد بل على مستوى العالم كله، مما يؤدي الى تقطيع أوصال الهيكل الانتاجي الوطني، وبذا فصل للنموذج الثالث للتصنيع الهامشي الذي يقوم على نشاطات «آخر الحلقات الانتاجية» مثل عمليات تجميع السيارة أو تجميع الأجهزة الالكترونية والأدوات الكهربائية، والنتيجة الواضحة لهذه الأنماط هي من التصنيع الهامشي هي كسر الحلقات وعناصر التشابك الاقتصادي داخل الجهاز الانتاجي الوطني، وبالتالي تقويض عملية التنمية المستقلة ذاتية المركز.

ومجمل القول ان الصناعة العربية هي تعبير صارخ عن وضع اجتماعي متخلف وقد هرع اليها المخططون لتحريكها في اتجاه الخروج من وضعية الفقر والتخلف، التي تلف قطاعات واسعة من مجتمعاتنا إلا أنها هي الأخرى قد عانت من عوامل وظروف منعته من المساهمة بجدية في الاستجابة لنداء ضمير الجائعين والمحرومين، فما كان منها إلا أن زادت الأمر تعقيداً. والوضعية تخلفاً.

وما يقال عن الزراعة وعن الصناعة يمكن أن يقال عن عدد من

الثروات الطبيعية التي تحظى كثير من الدول العربية والاسلامية بها مثل الفوسفات والنفط وغيرها، والتي تحتاج التنمية الحقة الى تخطيط وتحديث أنجع لها لتأسيس بدائل تنموية مستقلة.

المبحث الثالث العوامل الخارجية

رغم ايماننا بأهمية العامل الخارجي في غالب الأحداث، إلا أننا نعتقد أنه لا يمكنه وحده أن يؤثر تأثيراً كبيراً اذا جرد عن العامل الداخلي.

اذ ليس بإمكان العوامل الخارجية التي تسعى الى الهدم والتخريب أن تنجز ما عزمت عليه اذا اصطدمت بجدار داخلي صلب محكم البناء وشديد التماسك، ويقتصر دور العامل الخارجي في هذه الحالة في أحسن الأحوال في احداث بعض الخدوش القابلة للتعميق كلما ضعف التماسك الداخلي.

والأمر لا يكاد يختلف بالنسبة لظاهرة الفقر موضوع الدراسة فلا شك أن وضعية التخلف والفقر التي تمر بها بلدان ما يسمى بالعالم الثالث، قد نتجت عن أسباب داخلية عديدة عمقتها وساعدت عليها الأسباب الخارجية التي نتناولها هنا بالبيان.

ونعني بالأسباب الخارجية تلك العوامل التي أوجدتها أطراف

خارجة عن النطاق الإسلامي، وهي تهدف من ورائها الى خدمة مصالحها. وان كان ذلك على حساب شعوب المنطقة

أ - آثار الاستعمار:

ذلك يدعونا الى العودة الى عصر من عصور تاريخنا الحديث وبالذات الى النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، حيث ابتداء عصر النهضة في أوروبا الذي انطوى على اعلان نهاية العصور الوسطى وأذن ببداية ما يسمى بالعصور الحديثة، وأبرز ما يميز هذه البداية هو الاكتشافات الجغرافية^(١)، في هذه الفترة كانت أوروبا في خطواتها الأولى للخروج من الانكماش التاريخي الطويل الذي عاشته، فاكشفت رأس الرجاء الصالح طريقاً الى الهند، كما اكتشفت القارة الجديدة عبر عبور الأطلسي، هذا الحدث الذي يدرس كجزء من النهضة الأوروبية حمل في طياته عنفاً دموياً مورس بلا أي قيد ضد الحضارات الأخرى المهاجمة بصورة قرصنة ونهب للثروة والانسان معاً.^(٢)

وفي حين كانت أوروبا تنطلق في كل الاتجاهات في عملية هيمنة تاريخية لا مثيل لها، كان العالم الشرقي - والبلاد العربية أحد أجزائه لا يفتأ ينكمش على نفسه وينطوي في حركة انحسار لم يشهدها

١ - سمير عبده. الوطن العربي بين التخلف والتنمية. مرجع سابق. ص: ٩.

٢ - أنظر دراسة: الاسلام والمركزية الغربية ص: ١٨ في كتاب مؤتمر التربية

الاسلامية المؤتمر انعقد ببيروت من ١٠ ١٦ جمادى الآخرة ١٤٠١هـ.

منذ العصور الاسلامية الأولى - ولسنا بصدد البحث في أسباب ذلك وان كنا نعتقد أن كثيراً من العوامل قد تفاعلت فيما بينها لتنتج هذه الوضعية منها ما يعود الى المستوى الفكري، ومنها ما يعبر عن الأزمة القيمة والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية في تلك الفترة.

ثم خاضت أوروبا تجربة الثورة الصناعية التي قامت على استنزاف الأطراف لأعلى التراكم الداخلي الأوروبي^(١)، لتتجه بعد ذلك الى مختلف أطراف العالم في حركة استعمارية تحت غطاء تحديث الاقطار المتخلفة ومساعدة شعوبها على التحضر مرة، وتحت غطاء الوصاية ثانية، وكانت أوروبا في حركتها تلك تلغي كل طرف خدمة لمصالح المركز، بذلك وحتى نهاية القرن التاسع عشر، كانت تحققت تبعية كاملة للمركز الأوروبي، وإن على مستوى الدولة - وذلك عبر الديون والمصارف الأجنبية - وإن على مستوى التجار المحليين وذلك عبر انخراط هؤلاء في شبكة علاقات التبادل مع أوروبا، اذ أصبح الإرتباط كاملاً على مستوى السلعة، والسكة الحديدية وشق الطرق، والمصرف، والمرقأ، والعلم، والمدرسة^(٢)

وهكذا. وجد نظام اقتصادي واحد لا نزال نعيشه حتى الآن، وتتمركز في هذا النظام عناصر القوة والسيطرة الصناعية التحويلية والتقنية ورأس المال في الدول الأوروبية المستعمرة، والموارد

(٢،١) - المرجع السابق. ص: ٨٧.

والعمالة، والأسواق في الدول النامية التي تخضع لهذا الاستعمار^(١). وقد سعى الرجل الأبيض لممارسة كل الأساليب التي توصله الى الربح، والربح فقط، ففرض على الدول المستعمرة في الميدان الفلاحي مثلاً، ان تنتج المواد التي يحتاجها هو دون الالتفات الى ما تحتاجه شعوب هذه المناطق يشهد لذلك أول مشاريع السودان حيث زرعوا الجزيرة قطعاً تدور مصانعهم بازدهاره، وتدور أبقارهم ببذوره، بينما جعلوا حبوب الغوث في هامش الحواشة^(٢).

وليست دولة السودان فقط التي ابتليت بهذا الأمر فكل المناطق المستعمرة قد فرض عليها ما يناسب مصالح ومصانع الأوروبيين لا السكان المحليين، من ذلك أن تونس فرض عليها ما يناسب مصالح ومصانع الأوروبيين لا السكان المحليين، من ذلك أن تونس فرضت عليها زراعة الكروم لامداد المركز - أوروبا - بما يحتاجه الرجل الأبيض من الخمور ومن الطرائف في هذا الاطار ما لوحظ من اقلاع الطائرات الضخمة ثلاث مرات في الأسبوع من مطار دكاكر محملة بالخضروات الى دول أوروبا، بينما تنطلق من السنغال نفسها صيحات استغاثة بالقوت، بل قالوا ان السفن التي تأتي بمواد الاغائة من أوروبا ترجع بالمحاصيل الى أوروبا^(٣)، وبذلك ربطت الفلاح ربطاً وثيقاً بالمركز الأوربي، وما يقال عن الزراعة ينطبق كذلك على أوجه النشاط الاقتصادي الأخرى كالصناعة مثلاً، حيث أريد للدول

١ - سمير عبده. الوطني العربي بين التخلف والتنمية ص: ١٠ مرجع سابق.
٢ - ٣٠٢ - عبدالجليل الكاروري. دراسة افريقيا والمخرج من الجوع. نشرة البشير.
ص: ٥٣، ٥٤.

النامية أن تكون مجرد تخوم يستولي منها على ثرواتها الطبيعية المختلفة وموادها الأولية لتنقل خاماً أو نصف خام إلى المركز حيث تصنع آلات حربية تجابه بها شعوب المنطقة، وغيرها من المواد التي يحتاجها الأوروبي في احكام سيطرته وفي تحقيق أكبر قدر من الرفاه في حياته، وبذلك اندمجت أسواق واقتصاديات الدول النامية بالدول المتقدمة، وقامت علاقة تبعية مطلقة أو شبه مطلقة تشمل مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين دول التخوم لدول المركز (١)

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن كل الدول النامية بلا استثناء قد عانت من هذه الوضعية، سواء التي استعمرت استعماراً عسكرياً مباشراً، أم الأخرى التي لم تقع مباشرة تحت سيطرة الاستعمار الاستيطاني بسبب علاقاتها الضرورية بالعالم الخارجي عن طريق التجارة الخارجية والتي تحدد دول المركز قواعد اللعبة فيها. (٢) وان كنا لا نجهل أن هذه السيطرة تختلف درجتها من دولة إلى أخرى تحت تأثير العديد من الأسباب الموضوعية . ولعلنا بذلك يمكن أن ندرك خطورة الدور الذي لعبه الاستعمار فقد كان - هذا الدور - من العمق والاتساع بحيث حول حالة التأخر (الكمي) الناجمة عن عوامل ذاتية محضة كان بالإمكان تجاوزها بسهولة إلى حالة من التخلف (الكيفي) الذي يتعذر جداً الخروج منها مادام السبب الذي أوجدها قائماً. (٣)

١ - سمير عبده. الوطن العربي بين التخلف والتنمية. ص: ١٠ مرجع سابق.

٢ - المصدر نفسه. ص: ١١

٣ - المصدر نفسه ص: ١١

كما لا يفوتنا أن ننبه الى أحد المظاهر الذي تجلت فيه علاقة الهيمنة والاستغلال لدول العالم الثالث، ونعني به ما اصطلح على تسميته بالشركات متعددة الجنسيات، فقد كانت هذه الشركات أحد أصابع النهب والاستغلال، لقد وصفت هذه الشركات وعن حق بمتاجرين حقيقيين يتلاعبون بفاقة العالم المتخلف حيث بنت قدرتها الاقتصادية ومعدلات أرباحها العالية على حساب الجوع وعلى حساب القطاعات الزراعية الضعيفة للعالم الثالث. ومن هنا فإنها هي المستفيد الرئيس من بقاء الهياكل التي خدمتها كقاعدة وكمصدر لأرباحها الفاحشة دون تغيير^(١)

ولا يفوت الدارس الموضوعي أن يشير الى أن هذه الشركات قد رفعت بنشاطها مستوى فرص العمل الى حد ما، وبالتالي الدخل الفردي للسكان، ولذلك كانت كثير من الحكومات وخاصة تلك التي يشكو شعبها من معضلة البطالة تلتجئ اليها لحل هذه المشكلات بمختلف الوسائل، فكانت تقدم لها عدة حوافز، من ذلك توفير الحريات الكبيرة لرأس المال الأجنبي في مجال الاستثمارات، والتحويل غير المحدود للفوائد الى الخارج، والدعم الواسع لانتاجها، وما تتمتع به صادراتها ووارداتها من اعفاءات جمركية، الى جانب الاعفاءات الضريبية وغير ذلك كثير.

ولكن رغم كل هذه النقاط المضيئة التي يحرص القائمون على هذه الشركات ابرازها دائماً والتأكيد عليها في كل مناسبة، إلا أن

١ - فيدل كاسترو. أزمة العالم الاقتصادية والاجتماعية ص: ١٢١ مرجع سابق.

ذلك لا يجب أن يجلب عنا ما تركز عليه الشركات متعددة الجنسيات من رغبة في أعلى درجات الربح والنهب، متبعة في ذلك مختلف الوسائل الموصلة اليه حتى ولو كانت ضد مصلحة الشعوب الفقيرة، وليبان ضخامة الدور الذي تلعبه هذه الشركات ومقدار الخسائر التي تلحقها بالدول الفقيرة الشيء الذي له انعكاسات سلبية مباشرة على الشعوب الفقيرة، لبيان ذلك يمكن أن نذكر أن عدد هذه الشركات وصل في أواخر العقد السابق الى أكثر من ١١ ألفاً مع ٨٢ ألف فرع أجنبي، ويقدر انتاجها في عام ١٩٧٦م بـ ٨٣٠ ألف مليون دولار، وقد سيطرت في أواخر العقد السابق على حوالي ٤٠٪ من الانتاج الصناعي، ونصف التجارة الخارجية للبلدان المتخلفة، وتخسر الدول المتخلفة سنوياً ما بين ٥٠ و ١٠٠ ألف دولار بسبب تحكم هذه الشركات في الأسعار، وهي تشكل العوامل الرئيسية لعملية التراكم الرأسمالي والإستغلال على المستوى الدولي.^(١)

وبذلك كله ندرك أن هذه المؤسسات تمثل تهديداً مباشراً وعاملاً أساسياً في حالة الفقر والجوع التي تعيشها شعوب عريضة في عالمنا الراهن، هذه الشعوب التي كانت تحقق كفايتها الغذائية بما كانت تنتجه من زراعات تقليدية تسد حاجيات الاستهلاك المحلي، وعلى الرغم من أن هذا النوع من الزراعات كان يشكو من نقائص كثيرة، مثل الوسائل العتيقة والأساليب التي لا تسمح باستغلال الأرض على الوجه الأكمل إلا أنها رغم ذلك كانت تسد رمق كثير من

١ - المصدر السابق نفسه ص: ١٦٧

الأفواه المفتوحة الآن منتظرة دورها - ان كان لها دور - في المواد التي تنتجها الشركات متعددة الجنسيات التي اندفعت بعنف في العديد من بلدان العالم الثالث لانتاج مواد غذائية مخصصة للسلسلة التسويقية الكبيرة المندمجة في تكتل متعدد الجنسيات، وهكذا فرضت نماذج استهلاكية و انتاجية لا تتناسب ومصالح الاستهلاك الغذائية للجماهير الواسعة، من خلال نفوذها المالي والتقني والتجاري. (١)

ب - الخلل في النظام الاقتصادي العالمي:

لكي تكتمل صورة حديثنا عن الأسباب الخارجية التي تقف وراء مشكلة الفقر، فإننا لابد أن نعرض لبعض الصور التي تمثل بوضوح الخلل الكامن في النظام الاقتصادي العالمي. ولكن قبل ذلك لابد وأن نعرض للخلفية الفكرية لواقع الاستغلال والنهب الذي يمارسه انسان الشمال او ما يسمى بالعالم المتقدم ل اخيه انسان الجنوب أو ما يدعونه عادة بالعالم المتخلف، ويمكن أن نقرر مطمئنين أن هذا الواقع لا يمكن أن ترضى به الأ عقلية أنانية نفعية مجردة عن كل قيمة وخلق منعدمة الاحساس، لا تهتم إلا بمصلحتها الذاتية، ولو كان ذلك على حساب غيرها

فالخلل في النظام الاقتصادي العالمي يأتي على رأس جملة أسباب الجوع، فنحن نحيا في عالم يزداد فيه الغني ثراء، والفقير بؤساً، عالم يعاني ثلث سكانه من سوء التغذية، فيما ينفق كل عام ما

١ - المصدر نفسه ص: ١٢١

يقارب ٩٥٠ مليار دولار على انتاج أسلحة الدمار! عالم يموت فيه ملايين من البشر جوعاً كل عام، ومئات الآلاف يموتون في ناحية أخرى منه من التخمة! انها معادلة عجيبة وغريبة وصعبة في آن واحد، لم تجد البشرية - حتى الآن - حلاً لها، وفشلت قمة (كانكون) رغم اجتماع الكبار في حلها، رغم أن ذلك الحل بسيط يمكن تلخيصه في جملة واحدة هي «عدالة توزيع الثروة». (١)

إذا فقد أهل الانسان وضيع في عصرنا الراهن وترك ليصارع الجوع والمرض ومختلف المصائب، وليس ذلك فحسب بل وجد سعي حثيث لاستثمار ثروات الأمم الجائعة في مجالات ليس لها من هدف سوى تدمير كل مظهر من مظاهر الحياة على الأرض، ان الدول المتقدمة تصرف مائة مليار دولار سنوياً على الخمر، كذلك تصرف حكومات العالم مجتمعة ثلاثمائة مليار دولار سنوياً على التسلح، ويكفي استعمال ٣٪ فقط من مصروفات الخمر أو تخفيض ١٪ من مصروفات التسلح لكي توفر المياه النظيفة للعالم كله. (٢)

وتشير الأرقام الى أن النفقات التي صادقت عليها الولايات المتحدة لتطوير صاروخ خلال ١٩٨٣م والتي تفوق ٢٥٠٠ مليون دولار، بإمكان أن تمّول إجمالي استيرادات افريقيا من القمح في عام ١٩٧٩م أو مجمل استيراد آسيا من الأرز في نفس السنة، أو كلفة

١ - أسامة الألفي. المجاعة غول يهدد العالم النامي. مجلة اليمامة العدد ٨٢٤.

الأربعاء ٢٢ محرم ١٥٤٠٥هـ.

٢ - نبيل صبحي الطويل. الماء والصحة العامة. مجلة الأمة. العدد الثاني. صفر

١٤٠١هـ.

تطوير ١٠ ملايين هكتار مخصصة لزراعة الأعلاف في العالم الثالث،
أو تكلفة مكافحة الفيضانات في مليوني هكتار. (١)

وبعد كل هذا بماذا يمكن أن نصف تلك العقلية التي تقف وراء كل هذه المظاهر، هل يمكن أن نصدق تلك الأوصاف التي تردد يومياً بأنها متطورة ومتقدمة؟ بماذا يمكن أن نصف الانسان الذي قيل عنه انه بلغ شأوا من التحضر لم يصله من سبقه من بني الانسان وهو يتسم عند رؤية أخيه يتلوى من الجوع في حين تراه يؤوي ويكرم مختلف أنواع الحيوانات، فمن الطريف أن ميزانية اطعام القطط والكلاب في الولايات المتحدة الأمريكية تعادل خمسة أضعاف ميزانية الأمم المتحدة في نيويورك ففي عام ١٩٧٩م صرف على القطط والكلاب الأمريكية ٢, ٣ مليار دولار بينما كانت ميزانية الأمم المتحدة لعام ١٩٨١م ٦٨٣ مليون دولار فقط^(٢)، ألا يمكن أن نقرر مطمئنين بعد هذه الصور التي لا تصور الا جزءاً بسيطاً جداً من المساحة المظلمة التي يعيشها عالمنا المعاصر، ان ذلك هو الضريبة اللازمة للابتعاد عن المنهج القويم الذي اختاره الله لعباده فظنوا أنهم في غنى فضلوا وأضلوا؟؟

١ - فيدل كاسترو. أزمة العالم الاقتصادية والاجتماعية ص: ١١٢ - ١١٣
مرجع سابق.

٢ - صحيفة أخبار العالم الاسلامي . العدد ٢٨ آذار/ مارس ١٩٨٣م ص: ٧

الفصل الثالث

آثار مشكلة الفقر

إن أي مشكلة لتضاءل أمام واقع الفقر والحرمان الذي يلم بشعب من الشعوب، نظراً لما تؤدي إليه الفاقة والاحتياج من نتائج وآثار. فإذا أمكن للمرء أن يحتمل الجوع وفقدان الضروريات الملحة في حياته اليومية يوماً بعد يوم، فليس بإمكانه أبداً أن يحتمله شهوراً وسنين، مما يضطره الى التضحية بكل شيء في سبيل الحصول على أقل شيء وهو الحياة على وجه هذه الأرض، فما انتشر الفقريين مجتمع من المجتمعات الآ كان ذلك مدخلاً للأمراض الاجتماعية، والاختلال الثقافي، والتدهور الاقتصادي.

وما يقال عن الفرد الواحد يمكن أن يقال عن المجتمع والدولة، فالأمثلة الواقعية جلية وكثيرة تؤكد أن الفقر قد اضطرب كثيراً من الدول لأن تضحي بحريتها واستقلالها وترضى بواقع التبعية في سبيل اعانة غذائية تنجدها بها دولة غنية، حتى أصبحت الدول الفقيرة مجالاً واسعاً للمزايدات السياسية التي توظف ثمارها لصالح أصحاب الثروة من دول العالم.

فإذا كان مقياس التفوق الأول عبر عصور التاريخ المتتابعة متمثلاً أساساً في امتلاك أسباب القوة والغلبة المادية من سلاح وعتاد وجيوش، فإن عصرنا الراهن قلب بعض المقاييس ليجعل من عنصر الثروة والغنى في عالم تعيش معظم شعوبه الفقر والحرمان، العامل

الأول في السيطرة وامتلاك رقاب الشعوب وتسخيرها

لذلك كله فإن دراسة آثار مشكلة الفقر في البلاد العربية والاسلامية تكتسب أهمية بالغة وخطيرة أمام كل من يريد أن يعالج الوضع المتردي .

وسنركز الحديث هنا على ما يبدو لنا أخطر الآثار وأكثرها انتشاراً

ضمن العناصر التالية :

- الآثار الاجتماعية .

- الآثار الثقافية .

- الآثار الاقتصادية .

- الآثار السياسية .

وفي الحقيقة يبدو ذلك التقسيم صعباً للتداخل بين تلك العناصر، ولما تمثله من مركب واحد متفاعل، حتى أن العنصر الواحد يكاد يتسم بسمات الجميع، ولا بد من التنبيه الى أننا عرضنا لبعض تلك الآثار حين بسطنا القول في واقع الدول الاسلامية ومظاهر الفقر فيها، ضمن الفصل الأول المتقدم من هذا الباب .

المبحث الأول

آثارها الاجتماعية

تمثل مشكلة الفقر في حقيقتها أخطبوطاً متعدد الأطراف، تمدها لتحكم قبضتها على الكيان الاجتماعي كله بحيث يندر - بل ربما يستحيل - أن ينجو من قبضتها جانب من جوانب ذلك الكيان،

ولكنها أكثر ما تستفحل وتبرز ويلاتها في الحياة الاجتماعية المتصلة بالصحة، والوضع الخلقي، وعموم العلاقات الاجتماعية.

أولاً: المرض:

يرتبط المرض وبصفة خاصة أنواع منه، بحالة الفقر التي تكون عليها الأسرة والمجتمع، وذلك لقلّة الموارد من جهة، ولضعف الوعي من جهة أخرى ولقصور التغذية من جهة ثالثة، ولما ينشأ عنها من ظروف ويتصل بها من ملابسات كلها تؤدي الى انعدام الصحة وقائياً وعلاجياً.

لا تكاد تخلو بقاع العالم من فشو الأمراض الناتجة عن مشكلة الفقر، ولكنها - وللأسف - في العالم الاسلامي عموماً أشد استيطاناً حيث تؤكد الدلائل أن الوضع الصحي في غالب الدول الاسلامية متدهور، وآخذ في الاستفحال بسبب الفقر والحرمان، وهنا نورد لمحات عن تلك الأوضاع مع الاشارة الى ما يتصل بها من أوضاع عالمية ومحلية مناسبة.

إن مقاييس التغذية والرعاية الصحية في كل بلد هي: عدد الأفراد لكل طبيب ولكل ممرض أو ممرضة، والنسبة المثوية للسكان الذين تصلهم أو تتاح لهم مياه صالحة للشرب، فضلاً عن نسبة ما يحصل عليه الفرد من سعرات حرارية الى احتياجات الفرد الفعلية المقدرة بما يلزم للحفاظ على السكان في الدول المختلفة في مستويات عادية من الصحة والنشاط، مع الأخذ في الاعتبار توزيع السكان حسب الجنس، والسن، ومتوسط الجسم ودرجة حرارة البيئة.

أما أول هذه المقاييس وهو عدد الأفراد لكل طبيب، وعدد الأفراد لكل ممرض، فإننا نلاحظ من خلال الجدول التالي وهو لعدد من دول ما يعرف بالعالم الثالث، انه فيما عدا الكويت (٧٩٠) ثم ليبيا (٩٠٠) اللتين تقترب معدلات كل منهما من المعدلات السائدة في بعض الدول الغربية مثل ألمانيا الغربية (٤٩٠) والنرويج (٥٤٠) أن أغلب بقية الدول الاسلامية، والدول الأخرى برغم التفاوت بينها بدرجة كبيرة في معدلات السكان لكل ممرض، فإنها جميعاً تعاني من نقص الأطباء والمرضين، وبالتالي من نقص الأجهزة الطبية المتطورة، والرعاية الصحية المناسبة، بكافة أشكالها، وهي تدل على النقص الواضح في مدى قدرات السكان الجسمية والذهنية، ويحد بالتالي من قدرتهم على العمل والانتاج وتحقيق المنافع المختلفة والتقدم بالمجتمع وبالاقتصاد.

اذ باستثناء تلك الدولتين كما في الجدول نفسه، فإن معدلات السكان للطبيب الواحد تتراوح بين ١٠٥٠ بمصر، ثم السعودية ١٧٠٠ وبين ٥٦٨٨٠ فرداً في بنغلاديش ولا تختلف نسبة الأفراد لكل ممرض عن تلك النسب من حيث التفاوت الكبير

أما النسبة المئوية للسكان الذين تصلهم مياه الشرب النقية فإنها تتفاوت كثيراً كذلك بين تلك الدول:

بين دول تتضاءل فيها هذه النسبة، اذ تقدر ٤٪ في اليمن، ٦٪ في أفغانستان، ١٠٪ في غينيا، ٩٪ في مالي، ١٢٪ في أندونيسيا، الى دول ترتفع فيها هذه النسبة كما في ليبيا حيث تبلغ ١٠٠٪، والكويت

٨٩٪، أما الدول الأخرى فتتراوح فيها هذه النسبة بين ١٦ - ٧٧٪.

ونقص المياه الصالحة للشرب يعني حصول جانب من السكان على مياه غير نقية أو ملوثة، تسهم في ضعف المستوى الصحي، وكل من القوة الجسمية والعقلية فضلاً عن الإنتاج كما ونوعاً في المجتمع.

أما نسبة ما يحصل عليه الفرد من سرعات حرارية بالنسبة للاحتياجات الفعلية، فإنها تقل في بعض تلك الدول (١٨ دولة) عن الاحتياجات الفعلية، وذلك يشير الى عدم توازن الغذاء مع احتياجات الأفراد، وله أضراره الصحية، وبالطبع فإن هناك تفاوتاً كبيراً بين أفراد كل مجتمع أو دولة إذ أن هذا المتوسط العام رقم تقديري لا يعبر عن حقيقة ملموسة في كافة أفراد المجتمع، لذا ففي كل مجتمع قد يوجد من تقل نسبة ما يحصل عليه الى احتياجاته، ومن تزيد لديه هذه النسبة، كما أن السرعات وحدها ليست معياراً مناسباً للغذاء، فإن الجسم يحتاج الى مركبات غذائية متنوعة، ولا يقتصر الأمر على السرعات الحرارية فقط.

وبالجملة فإن الدول المدعوة بالنامية بصفة عامة، تقل فيها الرعاية الصحية لجانب كبير من السكان، ولا تتوفر لهم المقومات اللازمة لحفظ الصحة والحياة بدرجة كافية (١)

١ - محمد عبدالمنعم عفر الاقتصاد الاسلامي . النظام والسكان والرفاه والزكاة . الجزء الأول ص: ٣٣٩ - ٢٤٠ عن البنك الدولي . تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨١م .

المؤشرات الصحية في بعض الدول النامية والصناعية

الدولة	عدد السكان		% للسكان الذين تصلهم المياه الصالحة للشرب عام ١٩٧٥ م	ما يحصل عليه الفرد من السرعات الحرارية في اليوم بالجرام من احتياجاته عام ١٩٧٧ م	
	لكل طبيب	لكل ممرض		عام ١٩٧٧ م	عام ١٩٧٧ م
	عام ١٩٧٧ م			عام ١٩٧٥ م	عام ١٩٧٧ م
بنغلادش	٨٧٨٠	٥٦٨٨٠	٥٣	٢١٠٠	٩١
تشاد	٤١٩٤٠	٤٨١٠	٢٦	١٧٦٢	٧٤
المومال	-	-	٢٣	٢٠٢٣	٨٨
مالسي	٢٥١٥٠	٢١٣٠	٩	٢١١٧	٩٠
افغانستان	٢٠٥٥٠	٢٥٩٢٠	٦	٢٦٩٥	١١٠
النيجر	٤٢٧٢٠	٦٢٧٠	٢٧	٢١٣٩	٩١
غينيا	١٦٦٣٠	٢٤٩٠	١٠	١٩٤٣	٨٤
باكستان	٣٧٦٠	٩٩٨٠	٢٩	٢٢٨١	٩٩
أوغندا	٢٧٦٠٠	٤٣٠٠	٣٥	٢٢١٠	٩١
موريتانيا	١٥١٦٠	٣٤٣٠	-	١٩٧٦	٨٦
السودان	٨٦٩٠	١٢٨٠	٤٦	٢١٨٤	٩٣
افريقيا الوسطى	١٧٦١٠	١٥٦٠	١٦	٢٢٤٢	٩٩
أندونيسيا	١٢٦٤٠	٨٨٥٠	١٢	٢٢٧٢	١٠٥
اليمن العربية	١٢٤٦٠	٥٦٦٠	٤	٢١٩٢	٩١
السفال	١٥٧١٠	١٦٦٠	٣٧	٢٢٦١	٩٥
مصر	١٠٥٠	١١٠٠	٦٦	٢٧٦٠	١٠٩
اليمن الديمقراطية	٧٧٦٠	١٦٢٠	٢٤	١٩٤٥	٨١
الكومون الكومون	١٦٥٠٠	٢٢٣٠	٢٦	٢٠٦٩	٨٩

تابع الجدول السابق:

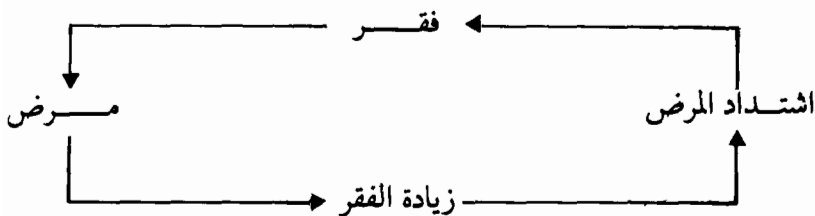
١٠٥	٢٥٢٤	٥٥	١٦٩٠	١١٠٤٠	المغرب
١٠٨	٢٦٨٤	٧٥	٣٨٩٠	٢٥٧٠	سوريا
١١٢	٢٦٧٤	٧٠	١٠٧٠	٤٨٠٠	تونس
٦٢	٢١٠٧	٦١	٨٢٠	١٩٦٠	الأردن
١١٧	٢٦١٠	٦٢	١٢٩٠	٨٧٣٠	تركيا
١١٥	٢٩٠٧	٧٥	١٤٦٠	١٧٧٠	لبنان
١٠١	٢٤٩٥	—	—	—	الجزائر
٩٩	٢٢٧٢	٧٧	١٤٨٠	٥٣٣٠	ايران
١٢٠	٣١٣٨	٥١	—	—	العراق
٨٩	٢١٣٤	٦٢	٢٩٩٠	٢١٩٠	عمان
٨٨	٢٦٢٤	٦٤	٩٥٠	١٧٠٠	السعودية
١٢٦	٢٩٨٥	١٠٠	٢٨٠	٩٠٠	ليبيا
—	—	٨٩	٢٩٠	٧٩٠	الكويت
١٢٢	٢٢٢٦	—	٣٠٠	٧٥٠	المملكة المتحدة
١٢٦	٢٩٤٩	—	٢٩٠	٨٥٠	اليابان
١١٨	٢١٧٥	—	١٠٠	٥٤٠	النرويج
١٢٧	٢٣٨١	—	٢٦٠	٤٩٠	المانيا الاتحادية
١٤٠	٢٦٥٦	—	٢٧٠	٦١٠	بولونيا
١٢٥	٢٤٦٠	—	٢٢٠	٢٩٠	الاتحاد السوفيتي
١٢٩	٢٢٤٠	—	١٦٠	٢٩٠	تشيكوسلوفاكيا
١٢٩	٢٦٤١	—	—	٥٣٠	المانيا الديمقراطية

١ - محمد عبد المنعم عفر. الاقتصاد الاسلامي. النظام والسكان والرفاه والزكاة.

الجزء الأول. ص: ٢٤١ - ٢٤٣ مرجع سابق.

عن البنك الدولي. تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨١م.

إن هناك حقيقة ثابتة مدعومة بالأدلة القاطعة وهي أن هناك تلازماً بين الفقر والمرض، فحيثما وجد الفقر وجد المرض، ففي البلاد الفقيرة يمرض الرجال والنساء لأنهم فقراء، ويزيد فقرهم عندما يصابون بالأمراض، ويشد المرض عليهم لأنهم فقراء محرومون. وهكذا تتشكل الحلقة المفرغة ويستمر دوران المساكين المسحوقين فيها. (١)



ولقد أفاض الدكتور نبيل صبحي الطويل (٢) في استعراض

- ١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٣٣
 - ٢ - نبيل صبحي الطويل. من مواليد سورية عام ١٩٢٧م. أتم دراسة في الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت، وحصل على دبلوم اختصاص بحفظ الصحة وطب المناطق الحارة من إنجلترا وماجستير اختصاص في إدارة الخدمات الصحية من الولايات المتحدة الأمريكية. شارك في العمل العام - نقابياً ونيابياً - في إطار مهنته، والتحق بهيئة الأمم المتحدة منذ عشرين عاماً متنقلاً بين أرياف أفريقيا، وجنوب شرقي آسيا كخبير رئيسي بمكافحة الملاريا، وأمراض الطفيليات.
- أنظر: ظهر غلاف كتاب الدكتور نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين.

الأوضاع الصحية في البلدان الفقيرة وخاصة البلدان الاسلامية وذكر شتى الأمراض التي تتعرض لها شعوب هذه البلدان، وسأحاول أن أقصر على بعض المعلومات الهامة والخطيرة التي ذكرها مع الاشارة الى القيمة الهامة جداً لما ذكره الدكتور الطويل، والذي يفترض أن يطلع عليه أبناء العالم الاسلامي حتى يروا ما عليه اخوانهم من الخصاصة والحرمان والأمراض الفتاكة.

وفي الجدول التالي مقارنة بين المؤشرات الصحية في البلاد المتقدمة والبلاد المتخلفة والبلاد المعدمة.

أفقر البلاد	البلاد المتخلفة (النامية)	البلاد المتقدمة
عدد السكان ٢٨٣ مليوناً	٣٠٠١ مليوناً	١١٣١ مليوناً
متوسط العمر المتوقع عند الولادة ٤٥ سنة	٦٠ سنة	٧٢ سنة
نسبة وفيات الرضع (لكل ألف ولادة) ٢٠٠/الألف	٤١/بالألف	١٩/بالألف
وزن المواليد ٢,٥ كيلوغرام أو أكثر في ٩٣٪ من الولادات	٨٣٪ من الولادات	٧٠٪ من الولادات
نسبة المستفيدين من الماء الصالح للشرب ٣١٪	٤١٪	١٠٠٪
الناتج القومي للفرد الواحد في العام ١٧٠ دولار	٥٢٠ دولار	٦٢٣٠ دولار
نسبة الاميين البالغين ٧٢٪	٤٥٪	٢٪
معدل الانفاق العام على القطاع الصحي للفرد الواحد في السنة ١,٧ دولاراً	٦٢ دولاراً	٢٤٤ دولاراً
عدد السكان لكل طبيب ١٧٠٠٠	٢٧٠٠	٥٢٠

وهكذا. نرى من الجدول أن خمس المواليد في الدول الفقيرة
المعدمة يموتون في العام الأول لحياتهم، وفي عام ١٩٨١م مات ١٧
مليون رضيع في العالم، أكثر من ١٣ مليون منهم كانوا من الدول
الفقيرة في أفريقيا وجنوب آسيا.^(١)

يقول هلفدن ماهلر المدير العام لمنظمة الصحة العالمية:
سوء التغذية هو في الوقت نفسه أحد نتائج الظلم الاجتماعي وأحد
العوامل التي تسهم في بقاء هذا الظلم.^(٢)

وهناك من يقول: ان ٧٠٪ من أولاد البلدان النامية يشكون
من سوء التغذية^(٣) وفي أفريقيا ٦٣٪ من النساء الحوامل (أي من ١, ٥
ملايين) و ٤٠٪ من بقية النساء (أي من ١, ٧٧ مليوناً، مصابات
بضعف الدم (الأنيميا) أما في آسيا ٦٥٪ من النساء الحوامل أي من
٢, ٤٣ مليوناً و ٥٧٪ من بقية النساء أي من ٢, ٢٥٣ مليوناً،
مصابات أيضاً بضعف الدم، وبصورة عامة، يمكن القول: ان أكثر
من نصف النساء في آسيا وأفريقيا مصاب بضعف الدم ٦٤٪ من

١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٣٤، عن
مجلة صحة العالم. العدد: حزيران يونيو ١٩٨٢م. وعن جيمس غرانت،
المدير التنفيذي لصندوق الأمم المتحدة للأطفال في تقريره السنوي لعام
١٩٨٠م - ١٩٨١م صفحة ١٥

٢ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٦٨ عن
مجلة صحة العالم الشهرية. العدد: أيار/ مايو ١٩٧٧م. الافتتاحية.
٣ - المصدر نفسه. عن: السيطرة على أمراض النقص الغذائي. دراسة أساسية
رقم ٢٤ منشورات منظمة الصحة العالمية سنة ١٩٧٠م. ص: ٥٦.

الحوامل و ٥٠٪ من غير الحوامل^(١) ومجموع المصابات في القارتين ٢١٢,٧٥ مليون امرأة.

وفي الفترة ما بين ١٩٦٩م و ١٩٧١م قدر أن المتوفر من الغذاء الذي يولد طاقة الانسان هو أقل من ١٠٪ من حاجات الجسم في ٢٤ دولة نامية، وفي ٣٣ دولة نامية أخرى هناك نقص أقل من ١٠٪ وقدر في بداية السبعينيات أن ٣٠٪ من سكان شرق آسيا حوالي ٣٠٠ مليون نسمة، و ٢٥٪ من سكان أفريقيا حوالي ٦٧ مليون نسمة، لا يحصلون على بروتين ومواد مولدة للطاقة بكميات كافية في غذائهم.^(٢)

وفي عام ١٩٧٤م انتشرت أمراض سوء التغذية في بلاد آسيوية عدة منها: الهند، باكستان، كمبوديا والفلبين، ومن مجموع ثمانمائة مليون طفل في الدول النامية الآن عام ١٩٧٨م سيواجه أكثر من ثلثهم السقم، والأمراض إما بسبب مباشر من نقص التغذية أو باستفحال هذه الأمراض لنقص البروتين والمواد المولدة للطاقة.^(٣)

١ - المصدر نفسه. عن مجلة صحة العالم. عدد حزيران/ يونيو ١٩٨٣م. ص: ٣٠.

٢ - المصدر نفسه عن تقويم الحالة الغذائية في العالم. هيئة الأمم المتحدة. مؤتمر الغذاء العالمي. سنة ١٩٧٤م. ص: ٦٠.

٣ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٦٩
عن: كتاب الفقر والتنمية والسياسة الصحية. ص: ٨١٧

ويتناقص انتاج الغذاء باستمرار، للسنة العاشرة على التوالي في أفريقيا جنوبي الصحراء الكبرى. وفي ٣٤ دولة فيها ٢٦٠ مليون نسمة يوجد نقص شديد في الغذاء، والأطفال الناشئون هم أكثر الأعمار تأثراً بهذا الوضع^(١) ونصف الأطفال والأولاد في الشرق الأوسط مصابون بسوء التغذية^(٢) أي حوالي ٦٢ مليوناً منهم، وتتراوح نسبة وفيات الرضع في الإقليم ما بين ٥ - ٢٠٪. ومن مجموع أحد عشر مليوناً من المواليد في الإقليم، كل عام يموت مليونان: مليون ونصف المليون يموتون في سن الرضاعة، أقل من عام، ونصف مليون آخرون يموتون قبل سن الثالثة.

أما الأمراض القاتلة فهي:

٨٠٠.٠٠٠	تقتل	الانتانات المعدية المعوية مع مضاعفات سوء التغذية
٤٠٠.٠٠٠	تقتل	التهابات جهاز التنفس
٢٥٠.٠٠٠	تقتل	حميات الطفولة (الخناق، السعال الديكي، الكزاز، الحصبة، شلل الأطفال والسُّل) ولها كلها مصول واقية.
٥٠.٠٠٠	تقتل	الملاريا
٥٠٠.٠٠٠	تقتل	أمراض وإصابات الأسبوع الأول من العمر
٢.٠٠٠.٠٠٠		المجموع

- ١ المصدر نفسه. جيمس غرانب. المدير التنفيذي لصندوق الأمم المتحدة للأطفال. حالة الأولاد في العالم عام ١٩٨١ - ١٩٨٢ م. ص: ١٥
- ٢ - المصدر نفسه. ص: ٨٢. عن وثيقة مناقشات فنية رقم الصادرة في تموز/ يوليو ١٩٧٨ م عن المكتب الاقليمي ص: ٣٠.

وكل هؤلاء الأطفال المتوفون يموتون وهم في حالة سوء تغذية. واذ نظرنا الى جميع المواطنين - من جميع الأعمار - في الشرق الأوسط فنجد أن فيه تقديرياً:

مليون حالة من السل^(١) و ٢١٧ مليوناً من السكان معرضون للاصابة بمرض الملاريا، وسبعة ملايين ونصف المليون من حالات فقد البصر (العمى) بالاضافة الى عدة ملايين من المصابين بضعف البصر.^(٢)

ويعرض الدكتور الطويل لبعض الأمراض المنتشرة والتي

تشكل خطورة كبيرة خاصة في العالم الاسلامي ومنها:

١ - مرض السل أو التدرن: وهو من أمراض الفقر، واسع الانتشار. ويموت كل عام ثلاثة ملايين شخص بهذا المرض أكثرهم من الدول النامية. يقول الدكتور ماهلر المدير العام لمنظمة الصحة العالمية وهو اختصاصي في هذا المرض:

«نحن نعلم اليوم أن سبب المرض يرجع لمزيج من العوامل الاجتماعية والاقتصادية، بالاضافة الى العوامل البيولوجية: نقص التغذية، عدم وجود المسكن الصحي المناسب، فقدان النظافة في الأشخاص والبيئة، عدم وجود الماء، الارهاق الحاصل نتيجة الانتانات الحادة والاسهالات».^(٣)

١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٨٣. عن:

صحة الشرق الأوسط ص: ٢٥

٢ - المصدر نفسه عن صحة الشرق الأوسط ص: ٢٦.

٣ - المصدر نفسه ص: ١٠٢ من كلمة للدكتور ماهلر منشورات منظمة

الصحة العالمية والاتحاد الدولي للسل. ١٩٨٢م.

وفي أندونيسيا مثلاً، هناك ١٥٠ إصابة في كل مائة ألف مواطن، فإذا حسبنا الاصابات في مجموع السكان وهم حوالي ١٣٠ مليون نسمة نعرف أن هناك حوالي مائتي ألف مصاب سنوياً.^(١)

٢ - مرض الجذام: يؤدي الى ضعف وشلل الأعضاء، وينتج عن ذلك تعطيل واعاقة في ٥٠٪ من الحالات التي لا تعالج

كانت التقديرات في السبعينيات تقول بوجود ١١ مليون^(٢) مجذوم في العالم. أما تقديرات منظمة الصحة العالمية في الستينيات فكانت كالتالي:

٣,٥٠٠,٠٠٠ مليون حالة	* في أفريقيا الاستوائية
٤,٥١٠,٠٠٠ مليون حالة (أي حوالي ٤٥٪ من مجموع المجذومين في العالم)	في جنوب شرقي آسيا
١٦٠,٠٠٠ حالة	* في إقليم شرقي البحر المتوسط (الشرق الأوسط)
٢,٠٠٠,٠٠٠ مليونان من الحالات	* في إقليم غربي المحيط الهادي

(٣)

- ١ - المصدر نفسه ص: ١٠٣ - ١٠٤
- ٢ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ص: ١٠٩، عن تقديرات التقرير الرسمي لجمعية الصحة العامة الأمريكية ١٩٧٥ م.
- ٣ - المصدر نفسه. ص: ١٠٩ - ١١١

أي أن مجموع الاصابات المحتملة في آسيا وأفريقيا فقط، هو ١٧٠,٠٠٠,١٠ حالة، وفي بلد مسلم قليل السكان مثل موريتانيا كان هناك في أواسط السبعينيات ٢٥٠٠ حالة مسجلة من الجذام.^(١)

وقد ذكر الدكتور الطويل أنواعاً أخرى من الأمراض مثل: الملاريا والبلهارسيا والليشمانيا والفيلاiria وغيرها.

قد تركز الحديث على الأمراض التي تعاني منها الدول الفقيرة التي لم تتمكن - نتيجة الفقر - من علاج كثير من الأمراض السائدة، وإقامة وضع صحي ملائم للإنسان، غير أن هذا لا يعني أن الدول الأخرى الأكثر تقدماً في مجال التقنية تجاوزت هذه الأمراض وقضت عليها نهائياً، والحق أن بعض الدول المتقدمة مثل أمريكا استطاعت إلى حد ما التقليل من تأثير الأمراض والحد من استفحالتها، إلا أن هذا - كما أسلفنا - لا يعني القضاء عليها، فما زالت المجتمعات الغربية تعاني من كثير منها، كما أن داخل المجتمع الغربي هناك فئات كثيرة تفتقد الرعاية الصحية المناسبة، فكثير من الشرائح داخل المجتمع الغربي تعاني من الأمراض، ولعل هذا ما عبر عنه الأستاذ رشدي فكار بقوله: «ان كل دولة لها عالمها الثالث».^(٢)

ومع هذا كله فإنه يجب ألا ننسى الأمراض النفسية

١ - المصدر نفسه. ص: ١٠٩ - ١١١

٢ - من محاضرة عامة له: بكلية الشريعة بالرياض. العام الدراسي

١٤٠٧هـ/١٤٠٨هـ.

والتناسلية التي تعاني منها مجتمعات تعد في قمة التقدم التقني والمادي فما بالك بالمجتمعات الفقيرة المحرومة حيث تنذر حالتها بالخطر الشديد.

ثانياً: الانحراف الأخلاقي:

ماهي العلاقة بين الفقر والانحرافات الأخلاقية؟؟ بين الفقر والجريمة؟

ان الناظر من أول وهلة لا يلاحظ اتصالاً بين الفقر والانحراف، فالفقير في نظره انسان ضعيف، بريء، متواضع، محافظ، ليس له دور في عمليات الفساد والاجرام، لكن هذا الظن سرعان ما يتلاشى ويضمحل، إذا علمنا أن الفقر وثيق الصلة بالانحراف، بل ان الانحراف في جزء كبير منه نتيجة طبيعية للفقراء اذ تشير الدراسات الميدانية والتجريبية الى أن الجريمة على مستوى الأفراد ذات علاقة بالعديد من العوامل منها: الفقر، الكبت، وتهدم البنيان الأسري.^(١)

ففي دراسة لتقصي أسباب جنوح الأحداث في مصر قام بها حسن الساعاتي في الأربعينيات من هذا القرن. لاحظ فيها أن كثيراً من الجانحين نزحوا من الريف والمدن الصغيرة الى القاهرة، وأوقعهم

١ - الدكتور محمد عبدالله الحماد. التحضر والجريمة المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض. المحاضرة السابعة الموسم الثقافي الثالث. ص: ٢٩ ١٤٠٦هـ.

سوء حظهم في أيدي نساء فاسدات ورجال أشرار، استغلوا فقرهم، وحاجتهم في تحقيق مآربهم وعلموهم السرقة والنشل.^(١)

ان جرائم الاعتداء على الأموال وتشمل السرقة والنصب وخيانة الأمانة واتلاف الأموال وانتهاك حرمة الملك، والغش واساءة الائتمان، والاختلاس والقرصنة، والتزوير وتزييف المسكوكات واغتصاب السندات والأموال، والتدخل في حرية المزايدات والمناقصات واصدار الشيكات بدون رصيد، والهدم والتخريب، ونزع الأختام واغتصاب العقار، والنهب. وغيرها غالباً ما يكون سببها الفقر والحاجة

ونورد هنا احصاءات عن بعض الجرائم في عدد من الدول العربية^(٢) على سبيل المثال ثم نعلق عليها بما يناسب؛

بحصر بعض جرائم الاعتداء على الأموال في المملكة العربية السعودية (سرقة ، رشوة، مضاربات) بين عامي (١٤٠٢ - ١٤٠٤هـ) نجد أن مجموع هذه الجرائم على التوالي ٨.١١٩ (٥٧,٦٪) من مجموع الجرائم جميعها، ٩٠٧٧ (٥٦,٩) ، ٩٣٤٤ (٥٧,٢٪) وبعد ذلك ظهر الانخفاض في الأعوام ١٩٧٩م ٢٨٪ وفي

١ - المصدر نفسه ص: ٣٥ .

٢ - لا تستلزم هذه الاحصاءات أن يكون مرتكبو الجرائم من مواطني تلك الدول ذاتها، كما لا يستلزم أن يكونوا من الوافدين عليها دائماً.

١٩٨٠ م ٢٥٪ وفي ١٩٨١ م ٣٠٪^(١).

وفي دولة البحرين يلاحظ من احصائيات (١٩٨٠ - ١٩٨٢ م) أن هناك انخفاضاً تدريجياً لارتكاب جرائم الاعتداء على الأموال (٣٩٪، ٣٧٪، ٣٢٪)^(٢).

وفي مصر: التي تعاني من الفقر نجد نسب تلك الجرائم في ارتفاع مستمر، كما في الجدول التالي:

١٩٨٠ م	١٩٨١ م	١٩٨٢ م	١٩٨٣ م	١٩٨٤ م	١٩٨٥ م
٢٤٪	٢٦,٥٪	٢٢,٦٪	٢٩,٥٪	٢٩٪	٣١,٧٪

أما في السودان. فالوضع أشد من هذا الجانب. اذ:
- ترتكب جريمة نهب كل ٦ ساعات و ٩ دقائق.

١ - محمد ابراهيم زيد. حجم واتجاهات الظاهرة الاجرامية في الوطن العربي. المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض. ١٤٠٧ هـ. ص: ٣٨ عن وزارة الداخلية. الادارة العامة للتنظيم والبرامج. الاحصاء المركزي. الكتاب الثامن لعام ١٤٠٥ هـ. وليام باول. المملكة العربية السعودية. ١٩٨٢ م. ص: ٣٩

٢ - المصدر نفسه. ص: ٤١. عن: وزارة الداخلية المصرية مصلحة الأمن العام. الأمن العام سنة ١٩٨٤ - ١٩٨٥ م.

٣ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٨٢. عن صحة الشرق الأوسط من ١٠٠

- وترتكب جريمة سطو على الأمكنة كل ساعتين و ١٦ دقيقة
- وترتكب جريمة سرقة كل ٩,٥ دقيقة.^(١)

ورغم أن محاولات تفسير جرائم الاعتداء على الأموال، قدم فيها أكثر من تفسير، فإن الدراسات^(٢) أثبتت أن هناك علاقة مستحكمة بين الفقر والحاجة وجرائم الاعتداء على الأموال، وكذلك أثر البطالة على زيادة معدلات الظاهرة الاجرامية بصفة عامة وجرائم الأموال بصفة خاصة.

ولعل هذا ما يفسر الانخفاض الذي شهدته بعض دول الخليج (السعودية والبحرين) في مرحلة طفرتها الاقتصادية، وهذا ما يفسر أيضاً استفحال جرائم الأموال في بلدين، كالسودان ومصر، يعانيان من مشكلة الفقر بحدة.

اننا حين نقول أن أكثر جرائم الأموال كانت بسبب الفقر، لا يعني ذلك أن غيرها من الانحرافات الأخلاقية لم تحدث بسبب الفقر والحرمان، بل ان كثيراً من الجرائم الأخلاقية الأخرى كانت بسبب البطالة والفقر، مثل ممارسة البغاء وانتشاره في المدن:

فطبقاً لتقرير من البغايا أجراه في القاهرة المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية خلال عامي ١٩٥٧ - ١٩٥٨م وقام

١ - أنظر: المصدر السابق نفسه ص: ٤٢ - ٤٣.

٢ أنظر: المصدر السابق نفسه ص: ٤٢ - ٤٣.

على أساس المسح الاجتماعي لكافة البغايا اللاتي اعتقلتهن شرطة القاهرة على مدى عام كامل، واللاتي بلغ عددهن (١٠٥٥ بغياً)، اعترف بالجريمة منهن ٤٧٠ فقط، وبسؤال جميع المعتقلات عن أول عمل التحقن به تعذر الحصول على معلومات في هذا الخصوص من عدد ٣٠٠ منهن بنسبة ٢٨,٤٪ وقد يكون سبب ذلك إما عدم التحاقهن بأية أعمال، أما بالنسبة للاتي استطعن تحديد أول عمل لهن وعددهن ٧٥٥ بغياً، فقد تبين أن نسبة كبيرة منهن ٣٤١ أو ٤٥,٢٪ كن يعملن خادماً في المنازل، وفيما يتعلق بالـ ٤٧٠ بغياً اللاتي اعترفن بجريمتهن والعمل الذي كن يمارسنه فعلاً عند اللقاء القبض عليهن، تبين أن ١٨٥ منهن بنسبة ٣٩,٤٪ كن يعملن خادماً في المنازل أيضاً، أما الـ ٨٥ الباقيات بنسبة ٦٠,٦٪ فقد كانت لهن حرف ذات دخول منخفضة، اذ كن يعملن بائعات متجولات، أو عاملات صناعيات، أو زميلات في قاعات التدريب على الرقص، أو مضيفات، أو عاملات في النوادي المختلفة أو خياطات، ولا كانت جميع الشواهد آنذاك تدل على أن خادماً المنازل كن يستقدمن من الريف الى القاهرة، كما أن البائعات المتجولات والعاملات في المصانع أغلبهن أيضاً نازحات الى المدينة، ولم يكن كذلك في بيئتهن الأصلية، لذلك ألبأهن الفقر والحرمان في البيئة الأصلية وقسوة العيش في القاهرة الى ممارسة البغاء.^(١)

١ - محمد عبدالله الحماد. التحضر والجريمة. ص: ٣٥ - ٣٦ المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض. المحاضرة السابعة ضمن الموسم الثقافي الثالث ١٤٠٦هـ.

وفي بحث آخر أجراه سمير خلف عن محيط ممارسات البغاء في

بيروت:

وجد أن حوالي خمس عينة البغايا أو ٢, ١٩٪ من مجموعهن، يعملن خادماًت بينما حوالي سبع أو ٧, ١٤٪ من المجموع كن خياطات، و ٤, ٥٪ يعملن في دور اللهو، و ١, ٣٪ عاملات و ٣, ٢٪ خادماًت في المستشفيات، أما الأغلبية بنسبة ١, ٦٦٪ فلم تكن لهن مهنة (١).

تلك بعض الآثار التي سببها الفقر والحرمان، وغيرها كثير ويمكن للمرء أن يجزم بأن أغلب الانحرافات والجرائم أسهم فيها الفقر بقسط ولو كان يسيراً مباشرة أو غير مباشرة.

ثالثاً: تفكك العلاقات الاجتماعية:

مهما اختلفت التحليلات التي تحاول أن تفسر مختلف المشاكل التي تحدث يومياً في المجتمعات الاسلامية، فإنها لا يمكن إلا أن تسجل دوراً هاماً للفقر في نشوء هذه المشاكل، وما يجب التحرز منه قبل الشروع في ايراد الأمثلة الموضحة لعلاقة الفقر بالجريمة وبغيرها من المشاكل الاجتماعية المختلفة، اننا لا نعني أن الفقر يؤدي بالضرورة لمثل هذه الظواهر، فيغدو كل فقير مجرماً بالقوة أو بالفعل، خاصة وأن الواقع يؤكد أحياناً على عكس ذلك، وإنما كل ما نعنيه أن الفقر اذا تفاعل مع ظروف أخرى مساعدة فإنه يؤدي - عادة - الى الجنوح والى اثاره مشاكل اجتماعية عديدة.

١ - المصدر نفسه.

فإذا حاولنا معرفة علاقة الفقر بالجريمة لوجدنا أن كثيراً من الدراسات تجعل الرباط وثيقاً بين حالة الفقر التي يعيشها الانسان وبين عالم الاجرام، يقول أحد الدارسين متحدثاً عن البطالة وما تسبب فيه: «ترتبط البطالة عادة بانخفاض حاد وغير متوقع في دخل الفرد العاطل، مما يجعل الفرد فقيراً سواء كان فقراً مطلقاً، أو فقراً نسبياً، أي بالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه، فإذا ما طال أمد هذا الانخفاض الحاد في الدخل واستحكم، فإنه يؤدي الى السلوك الاجرامي، والانحراف بدافع من الحاجة المادية والعوز الاقتصادي، وهذه علاقة اقتصادية مباشرة بين البطالة والجريمة، وقد تتولد علاقة اقتصادية مباشرة بين البطالة والجريمة عن طريق تأثير أسرة العاطل بهذه الظروف الاقتصادية السيئة فيجنحون الى الجريمة بسبب ما يلقونه من سوء الرعاية الصحية وسوء التغذية والانقطاع عن التعليم في سن مبكرة أو الاخفاق فيه.^(١)

وتقول السيدة «كاملة الفرحة شعبان» - المرشدة النفسية في وزارة التربية الأردنية» وهو - أي الفقر من أهم أسباب المشكلات في المجتمع الانساني خاصة اذا قام الى جواره الغنى الفاحش، فهو قد يدفع الفقراء الى الانحراف في سلوكياتهم، عندما يعانون من الجوع والحرمان ولا يجدون من يعينهم أو يساعدهم، فيخرجون عن القيم والمبادئ والمثل، وقد يدفعهم الى الفساد والفجور والانحراف

١ - عاطف عبدالفتاح عجوة. البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة. مرجع

سابق. ص ٤٠.

الخلقي، فيضحون بكل شيء في سبيل لقمة العيش ويسلكون السبل المنحرفة من أجل الحصول عليها.^(١)

والحقيقة أن الوقائع التي تحدث يومياً والتي تبرهن على ذلك، أكثر من أن تحصى وتكفي متابعة بسيطة للقضايا التي تنشر على أعمدة الصحف اليومية، أو تلك التي تنظر فيها المحاكم في كل مكان من البلاد الإسلامية لتؤكد ذلك، حتى أنه لا تكاد تخلو صحيفة من عناوين مثيرة تربط جميعها بين حالة الفقر والحرمان والوقوع في هاوية الجريمة من سرقة وقتل واغتصاب وغيرها.

وإذا كان من الضروري أن نذكر بعض الأمثلة على ذلك، فيمكن أن نستعين بصحيفة «الدستور الأردنية» التي أوردت قضية فتاة تدعى (ف) وهي تبلغ من العمر ١٨ عاماً لها جارات وصديقات مستواهن الاقتصادي مرتفع، يمتلكن من الملابس أغلاها، ومن المجوهرات أئمنها، تعرفت (ف) على إحدى جاراتها التي سخرت من فقرها، ونصحتها بأن تتعرف على الأثرياء وكانت النتيجة انحراف (ف) وعدم استطاعتها العودة لحياة الفاقة التي كانت تعاني منها.^(٢)

ولاشك أن مثل هذه الحادثة أصبحت لكثرة تكرارها من الأحداث التي اعتدنا على قراءتها وهي تملأ صفحات القضايا بمختلف الصحف ولذلك نرى كثيراً من الدارسين يربط ربطاً مباشراً بين الجريمة والحالة الاقتصادية للفرد، حتى أن أحدهم يقول: يتسبب

١ ٢ صحيفة الدستور العدد الصادر في ١٩٨٦/٢/٩ م. ص: ١٢

العامل الاقتصادي المباشر (الحاجة الى المال) في أكثر من ثلاثة أخماس الجرائم التي يرتكبها المجرم العاطل، سواء في المرات السابقة أو المرة الأخيرة للجريمة، ويتميز المجرم العاطل عن المجرم العامل، بكثرة جرائمه التي تعزى الى العامل الاقتصادي المباشر^(١)

ومما تجدر الاشارة اليه أن حالة العوز والفقير يمكن أن تتسبب في مختلف الانحرافات والجرائم، سواء أكانت أخلاقية، أم انفصاماً للروابط العائلية، أو غيرها من ألوان الجرائم المنتشرة، من ذلك أن احدى الدراسات عن الجانحين كشفت أن ثلث الجانحين قد انتمى للعصابات اثر موت الوالد، والفقير الشديد الذي أصاب الأسرة، وكذلك فإن الحوادث الصادمة والفقير الشديد يعملان على تفكيك تكامل شخصية الفرد ويدفعانه الى السرقة.^(٢)

ففسوة الحياة من شأنها أن ترهق الفقراء فيصابون بالاحباط الاجتماعي الحاد، مما يدفعهم الى التذمر والشعور بكرهية نحو المجتمع مما يسول للكثير منهم ضرورة الاعتداء عليه، وتزداد هذه الاحساسات مع فترة المراهقة والشباب، وخاصة اذا وجدت عصابات تكون عادة مستنقعات آمنة تفرّخ فيها الجريمة، هذه العصابات تمثل ملجأً يجد فيه المراهق المحتاج متنفساً لإحساسه بالفقر، وللعمل على مغالته بطرق غير مشروعة فالعصابة «جنة

١ - عاطف عبدالفتاح عجمو. البطالة في العالم العربي وعلاقتها بالجريمة

ص: ١٠٢ مرجع سابق:

٢ - كاملة الفرخ: حوار في جريدة الدستور عدد ٣١٩/١٩٨٦م.

يهرب اليها المراهق الناشئ من عناء الاحساس بالهوية والتشوش،
والضياع، والاغتراب في مجتمع معقد»^(١)

وبذلك كله ندرك أن الجنوح كثيراً ما ينشأ عندما يوجد شعور
بالتفاوت فيما يرغبه الشباب الفقراء وما هو في متناول أيديهم، ينشأ
عندما يصطدم الطموح بعقبات تحول دون تحقيقه فإذا لم يستطع
هؤلاء الشباب أن يعيدوا النظر في أهدافهم، أو يتواضعوا فيها، فإنه
لاشك يصابون بالاحباط بل وقد يؤدي الى جنوحهم اذا لم تكن
المعايير الاجتماعية قادرة على حفظ توازنهم.^(٢)

وكما أن الفقر عامل أساسي في جنوح طائفة واسعة من
الشباب، وخاصة المراهقين منهم، فإنه يقف كذلك وراء كثير من
مظاهر التفكك المحزنة التي تصيب المجتمع في خلاياه الأساسية،
وهي الأسر، فكثيراً ما كان العوز وضيق ذات اليد سبباً في هدم كيان
الأسرة وتشتيتها، وكم هي كثيرة تلك القضايا التي نمر عليها على
أعمد الصحف، والتي يقف فيها الفقر بطل قصة طلاق تقوض أركان
خلية، وتسلم عناصرها الى الضياع والإهمال.

ولا يقتصر خطر الفقر على تفكيك الروابط الأسرية في صورة
الطلاق فقط بل انما يتجاوز ذلك ليقف مانعاً في كثير من الأحيان
لتكوين الأسرة ذاتها.

١ - المصدر نفسه

٢ - المصدر السابق نفسه

فما أكثر ما نسمع تلك المقولة التي تقول ان الفقر سبب أساسي يدفع كثيراً من الشباب الى العزوف عن الزواج وما وراءه من أعباء المهر والنفقة والاستقلال الاقتصادي، ولا تقف المشكلة عند هذا الحد بل تتجاوزه لينحرف قطاع من المحرومين من اشباع غرائزهم بصفة شرعية الى اشباعها بطرق وأساليب تصطدم مع ما تدعو اليه شريعة الاسلام اذا لم يجدوا تربية تحصنهم من الوقوع في مثل هذه المزالق، وربما التجأت طائفة أخرى من الشباب الى تجريب حل آخر يتمثل في الاقتران بزوجات أجنبيات، ويكون عليهم فيما بعد أن يتحملوا مسئولية اختيارهم هذا وما يطرحه من تحديات مثيرة، فإذا استطاعت فئة من الناس أن تعاني واقع الفقر دون أن تنزلق في متاهات لا تحمد عقباهها، فإن هذا العامل - أي الفقر - كثيراً ما يطيح بكثير من الناس فيهبون في غيابات الانحراف والاجرام، خاصة اذا وجدت عوامل أخرى مساعدة له كانهدام التربية المحصنة مثلاً وبذلك ندرك ما يمكن أن يتسبب فيه الاحتياج من كوارث اجتماعية تصل بشررها كل الأطراف الاجتماعية دون استثناء وتصيب الفرد والأسرة ثم المجتمع بأسره.

المبحث الثاني

آثارها الثقافية

ليست الحياة الثقافية بمنأى عن مشكلة الفقر في البلاد الاسلامية اذ تقعد تلك المشكلة بجميع الخطط الثقافية عن التنفيذ

الكلية، وعن تحقيق أهدافها المرسومة، كما تقعد بالمؤسسات الثقافية عن الإشعاع الواسع النطاق، وعن استيعاب كافة المحتاجين إليها، كما تقعد أيضاً بالمناهج عن النجاعة المطلوبة لما تحتاجه من وسائل ثقافية، ومتابعة ورصد مستمر للظواهر والنتائج البارزة والخفية

ومن هنا فإن البلد الفقير لا يمكنه النهوض بكافة العناصر الثقافية، والتعليمية، والتربوية، والاعلامية، بالشكل المرجو لضعف الامكانيات المادية، ولتشتت الأوليات، وقصر باع المؤسسات وتقدم وسائلها. فيقع فريسة المشكلات الثقافية الخائقة من مثل الجهل، وانتشار العقائد والأفكار المنحرفة.

أولاً: الجهل:

إن من الأفكار الشائعة التي لا يكاد يختلف عليها اثنان أن الفقر هو البيئة المناسبة لإضفاء سمة الأمية الغالبة على قطاع واسع من أفراد المجتمع، فالأمية إذا هي مظهر بارز يقاس بها مدى تقدم المجتمع أو تخلفه ونحن اذ نسجل ذلك فإننا لا نغفل أن الأمية والجهل هما سببان رئيسيان وراء انتشار الفقر والتخلف في المجتمعات الانسانية

فالعلاقة بين الفقر والأمية علاقة جدلية كل يسبب الآخر ويتسبب عنه

وإذا كان هذا المقياس - مدى انتشار الأمية في مجتمع ما - مظهراً بارزاً لتخلف أي مجتمع من المجتمعات عبر التاريخ الطويل، فإنه في

عصرنا الراهن - عصر العلم - أشد جلاء وأكثر توضيحاً لجيوب التخلف والفقر التي تكتنف مجتمعاً ما، حتى أنه صار في أحيان كثيرة المقياس الأول والحاسم في وسم هذا المجتمع بالتخلف وذلك بالتقدم، وإذا ما ألقينا نظرة سريعة على العالم المتخلف عموماً للاحتظنا أن الأمية «تنتشر فيه بنسبة كبيرة قد تصل في بعض الأقطار الى حوالي ٧٥٪ من مجموع السكان حسب تقدير سنة ١٩٧٥م^(١) ولئن كانت هذه النسبة أقل نسبياً - في الأقطار الاسلامية - إلا أن ذلك لم يعفها من أن توصف بأنها مرتفعة حيث بلغت فيها ما لا يقل عن ٥٤٪ من السكان، بينما كانت النسبة في الولايات المتحدة واحداً بالمئة من مجموع السكان وكذلك في الاتحاد السوفييتي واحداً بالمائة أيضاً^(٢) ولا يفوتنا أن ننبه الى أن هذه النسبة متفاوتة فيما بين الأقطار

الاسلامية، وسنقدم فيما يلي جدولين وان كانا قديمين نسبياً. الأول: يدلنا على نسبة الامام بالقراءة والكتابة في البالغين من عديد الدول المسلمة - احصاءات عام ١٩٧٥م:

ومنه نستشف أن تفشي الأمية في البالغين في الأقطار الاسلامية التي شملتها العينة تتراوح بين ٩٢٪ وبين ٣٢٪ وأكثر ما تتركز تلك النسبة المرتفعة في النيجر ٩٢٪ وفي موريتانيا، والسنگال، ومالي، واليمن بشقيه الشمالي والجنوبي ٩٠٪ ثم تتدرج النسبة نزولاً حتى تصل الى ٣٢٪ في لبنان.

١ - غالب الحمود عربيات. تخلف العرب والعالم الثالث. المؤسسة العربية للدراسات والنشر مكتبة المحتسب. الطبعة الأولى ١٩٨٣م. ص: ٢٣

٢ - المصدر نفسه ص: ٢٤

وهذا هو الجدول: وهو لاحصاء وقع عام ١٩٧٩م وهو يشمل ٢٣ دولة اسلامية.

النسبة المئوية	البلد	النسبة المئوية	البلد
%١٠	اليمن الشمالي	%٢١	باكستان
%١٠	اليمن الجنوبي	%٢٢	بنغلاديش
%٢٨	المغرب	%١٥	تشاد
%٥٠	الصومال	%٨	النيجر
%٥٣	سوريا	%١٢	أفغانستان
%٢٦	العراق (عام ١٩٦٠م)	%٢٥	نيجيريا
%٥٠	ايران	%٣٥	الجزائر
%٦٠	تركيا	%٥٥	تونس
%٤٠	مصر	%١٠	موريتانيا
%٦٢	الأردن	%١٠	السنغال
%٦٨	لبنان	%١٠	مالي
%١٥	السودان		

(١)

الثاني: ويدلنا بصفة مباشرة ومفصلة عن نسب الأمية بين السكان أكبر من ١٠ سنوات فنجدها تتراوح بين ١,٣٠% وبين ٩٧% وهي تفوق ثلاثة أرباع مجموع من أعمارهم أكثر من عشر سنوات في

١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف ص: ٧٦ مرجع سابق. عن التقرير السادس عن الحالة الصحية في العالم. الجزء الأول. : ١٩٨٠م. منظمة الصحة العالمية. جنيف.

كل من: ليبيا، السودان، موريتانيا، الصومال، الامارات، اليمن،
ايران، افغانستان، باكستان وبنغلاديش.

ويدلنا عن نسب الأمية بين الشباب موزعة على أربع شرائح،
جملتها لا تقل عن ٨, ١٧٪ في حين تصل الى ٤, ٩٦٪ في الصومال.
وهي تفوق ٧٥٪ في كل من الأقطار التالية: السودان،
موريتانيا، الصومال، الامارات، اليمن، افغانستان وباكستان^(١).

وإذا كنا نلتمس الأعذار للتناقض الصارخ بين نسبة الأمية في
العالم الاسلامي وفي العالم الغربي، إلا أننا لا يمكن أن نجد مبرراً
لوجود عالما الاسلامي في أسفل السلم من حيث عدد الأميين فيه
حتى بالمقارنة بكثير من الأمم التي نعدها أشد تخلفاً منا «أمية الوطن
العربي تضعه في أسفل السلم اذ أنه يكاد يكون آخر مناطق العالم
تحرراً منها، رغم كل الجهود التي تبذل ورغم التزايد المادي في
الانفاق، والتزايد الانتاجي في الأعداد المتعلمة، تصل الأمية في
الوطن العربي الى ٦, ٥٤٪ في حين انها في مجموع القارة الأفريقية لا
تتجاوز ٥٣٪ وهي في آسيا وأمريكا اللاتينية أكثر انخفاضاً بكثير.
فهل نأمل في تقدم الى الغد؟ وقيود الأمة كتل من الرصاص في
الأرجل والمحيط هو المحيط؟؟^(٢)

١ - أنظر الجدول. ص: ٥٤، ٥٥.

٢ - شاكراً مصطفى. ردم الهوة والخيار الصعب. مجلة العربي. العدد ٢٤٢ السنة
الثلاثون. مايو ١٩٨٧م. رمضان ١٤٠٧هـ.

الدولة	نسبة الامة بين السكان أكبر من ١٠ سنويات					نسبة الامة بين الشباب	الجملة
	لكور	امات	متوسط	١٠ - ١٤	١٥ - ١٩		
الجزائر	٦٤	٨٢	٧٢	—	٥٢	٧٧	٦١
ليبيا	٦٤	٩١	٧٨	—	٥٧	٧٨	٦٧
المغرب	٧١	٩٠	٧٤	٦٠	٥٨	٨٠	٦٥
السودان	٦٦	٧١	٨٢	٧٢	٧٩	٨٢	٧٨
تنز	٦٦	٨٢	٦٧	٢٤	٤٧	٧٩	٥٦
موريتانيا	٦٥	٨٠	٨٨	٨٩	٩٠	٩٠	٩٠
الموغال	٦٢	٩٢	٩٧	٩٢	٩٥	٩٨	٩٦
البحرين	٧١	٧١	٥٩	٢٥	٤١	٥٨	٢٨
العراق	٦٥	٦٢	٧٢	٤٩	٥٣	٧٧	٦٠
الاردن	٦١	٦٠	٦٧	—	٤٩	٦٥	٥٨
الكويت	٧٠	٣٦	٤٣	١٢	٢٨	٤١	٣٠
لبنان	٧٠	٢٥	٣٠	١٠	١٤	٢٦	١٧

جدول يبين نسبة الامة بين السكان والشباب في بعض الدول الإسلامية ولكن تتضح دلالات هذه الارقام لمرفأ سنطيله بجدول آخر يبرز نسبة الامة بين السكان والشباب في من التعليم في بعض الدول الغربية (١٠)

(١) الشذوة العالمية للشباب الإسلامي : الإسلام والمشاركة ودور الشباب المسلم ص ٤٥٢ - ٤٥٤ (أبحاث ووقائغ - اللقاء الرابع للشذوة العالمية للشباب الإسلامي المنعقد في الرياض من ٢٠ - ٢٧ ربيع الثاني ١٤١٩هـ).

تابع للمجدول السابق :-

الدولة	نسبة الامة بين السكان أكبر من ١٠ سنوات		نسب الامة بين الـ ١٥ - ١٠ - ١٤ - ٢٠ - ٢٤ - ٢٥					الجملة
	ذكور	اناث	متوسط	١٠ - ١٤	١٤ - ١٩	١٩ - ٢٤	٢٤ - ٢٥	
اليمن الجنوبية	٦٠٤	٨٥٦	٧٢٩	—	—	—	—	—
سوريا	٥٠٠	٦٦٣	٥٧٨	٣٢١	٤٠٨	٤٥٢	٥٥٤	٤٣٢
الإمارات	٧٢١	٩١١	٧٩١	—	٢٧٣	٧٥٣	٨١٤	٧٦٢
اليمن الشمالية	٩٠٠	٩٩٢	٩٦٨	٩٢٩	٩٣٩	٩٥٠	٩٨١	٩٥٠
تركيا	٣٠٩	٦٦٤	٤٦٢	٢٣٢	٢٦٢	٣٠٥	٤٣٧	٣٠٩
إيران	٦٦	٦٧٢	٧٥٢	٤٧٧	٥٨١	٦٧٦	٧٨٢	٦٢٩
الباكستان	٦٥	٩٧٢	٩٢٢	٨٦٤	٩١٤	٩٣٥	٩٤٥	٩١٥
أندونيسيا	٧١	٢٩٢	٢٩١	١٨٨	١٧٨	٢٢٨	٢٨١	٢٤٤
باكستان	٦١	٩٦٢	٨٩٥	٨٢٢	٨٢٢	٨٦٥	٩٣٠	٨٦٠
بنغلاديش	٦١	٧٠٠	٧٩٢	٦٩٦	٧٣٦	٧٥٨	٧٩٩	٧٤٧
الولايات المتحدة	٧٠	١٠٠	١٠٠	٠٢	٠٢	٠٢	٠٢	٠٢
اليونان	٧١	١٦٠	١٤٨	١٤	١٨	٢١	٢٧	٢٢
إيطاليا	٧١	٦٤	٦١	—	٠٤	١٢	٢١	١٤
السبان	٦٠	٢٠	٢٢	٠٢	٠٢	٠٢	٠٢	٠٢

ونحن لا نريد تئيس كل ذي توجه صادق للخروج بهذه الأمة
مما هي فيه من الوضع المتخلف، بل غاية ما نريده اظهار المشاكل التي
تكتنفنا من كل جانب في حجمها الحقيقي وذلك من أجل مواجهتها
بكيفية في مستوى التحديات المطروحة، فأقل الشجاعة أن يعترف
المرء بما يعانیه من مشاكل حتى يواجهها مواجهة مباشرة، ولا بد
لأسلوب الإنكار والتعمية والمغالطة أن ينتهي اذا أردنا الخروج مما
نحن فيه من أزمات حقيقية

فإذا استطاع المرء أن يخفي الحقيقة مرة عن بعض الناس فإنه
لن يمكنه اخفاءها دائماً عن كل الناس.

كما أن من الموضوعية والصدق أن نسجل بعض الخطوات التي
تحققت في سبيل الخروج من عنق الزجاجة في هذه المشكلة - انتشار
الأمية - إلا أنه من الحق كذلك أن هذه الجهود - على ضخامتها أحياناً
- لم تصل حداً يمكنها من مواجهة التحدي المطروح - ولناخذ مثلاً على
ذلك ما قامت به سوريا لمواجهة هذه القضية لا بد من الإشارة الى
نقص واحد ملحوظ في الجهود التي تبذلها سوريا في ميدان التربية
والتعليم، ذلك هو ميدان ازالة الأمية في صفوف البالغين، فالتقدم
هنا كان أبطأ منه في الأردن والكويت وليبيا والمملكة العربية
السعودية والسودان وتونس.

ففي عام ١٩٧٢ - ١٩٧٣م لم يشترك في برنامج ازالة الأمية
في سوريا سوى ٩٧٢٣ نسمة وهو عدد يشكل نسبة صغيرة جداً

من مجموع عدد الأميين البالغين في البلاد. (١)

وما يجب أن ننبه إليه أن هذه المشكلة لا تكمن في شمولها لعدد كبير من شعوب المنطقة الإسلامية فحسب، بل إنها تتجاوز ذلك لتشمل الخلل في طريقة محو الأمية ذاتها، والمضامين التي طبقت للقيام بذلك فقد فهم - في كثير من الأحيان - أن محو الأمية هو مجرد تعليم الأمي القراءة والكتابة، والحقيقة أن ذلك وحده - رغم أهميته - لا يكفي للخروج من هذه الأزمة فمحو الأمية ليس فقط لتعليم القراءة والكتابة فحسب بل يشمل أيضاً جهود التنمية الشاملة، كالتدريب المهني والثقافة العمالية، والارشاد الزراعي، ومما يوفر المواطن الصالح المشارك في جهود التنمية الاقتصادية والاجتماعية، خاصة اذا كان الهدف الوصول الى اقتصاد أكثر إنتاجية ومجتمع أفضل يتمتع أفراداه بالرفاه. (٢)

تلك نبذة عن واقع الدول المسلمة الفقيرة من حيث انتشار الأمية بين مواطنيها مما ينبىء بعمق المشكلة، وتخبط الوضع الثقافي المحلي فيها. وانتشار الأمية ليس تعليم القراءة والكتابة والارشاد

-
- ١ يوسف عبدالله صايغ. اقتصاديات العالم العربي. التنمية منذ العام ١٩٤٥م. الجزء الأول: البلدان العربية الآسيوية ص: ٢٢٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
 - ٢ غالب الحمود عربيات. تخلف العرب والعالم الثالث. ص: ٢٥ مرجع سابق.

الاجتماعي الأولي - دليل على المعاناة الشديدة التي يعيشها المسلمون من هذه الناحية، وبرهان عن مدى تخلفهم التعليمي والثقافي بصفة عامة عما هو واقع في العالم الصناعي، اذ كيف نجتمع بين هاتين النسبتين مثلاً:

النيجروهي من البلاد الاسلامية لا تستوعب مدارسها الثانوية سوى ١٪ فقط من شبابها الذين وصلوا الى سن التعليم الثانوي، بسبب الفقر.

- نسبة الأمية بين شباب الولايات المتحدة الأمريكية الذين أعمارهم من ١٥ - ١٩ سنة هي ٠,٣٪

ان مشكلة الفقر واحدة من أكبر التحديات التي تعانيها الدول الاسلامية، وان انتشار الأمية واحدة من آثار تلك المشكلة ولاشك ولكن ليست تلك المشكلة فريدة في البقاع الاسلامية وليس ذلك الأثر وحيداً فيها لا محالة

ثانياً: انتشار العقائد الفاسدة والأفكار المنحرفة:

ان واقع البؤس والجهل يعد مناخاً مناسباً لظهور العقائد الفاسدة والأفكار المنحرفة، فالانسان اذا لم يكن متحصناً بعلم ووعي يساعدانه على التمييز بين النظريات والأفكار، فإنه سرعان ما تختلط عليه السبل فيتيه، وخاصة اذا وجد من شياطين الانس من يستغل حالة الفقر والجهل هذه، لبث المعتقدات الباطلة والأفكار الفاسدة وهذا للأسف الشديد هو واقع الشعوب الاسلامية حيث اجتمع عليها بلاء الفقر وبلاء الابتعاد عن الدين.

وفي هذا الواقع الذي تعيشه معظم الشعوب الاسلامية، نشطت الدول الكافرة بأساليب غاية في المكر والحث من أجل ابعاد المسلمين عن اسلامهم، وتربيتهم تربية لا تمت الى تعاليم دينهم بصلة، فياليت شعري ماهي نتيجة هذه التربية؟؟

انها قطعاً تبني موقفاً عدائياً من دينهم حيث ان التأثير الوحيد الذي يمكن أن يتركه مثل هذا الثقيف التاريخي في عقول الأحداث انما هو شعور هذه الشعوب بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة وبماضيهم التاريخي الخاص. وهكذا يتربون تربية منظمة على احتقار ماضيهم ومستقبلهم اللهم الا اذا كان مستقبلاً مستسلماً للمثل العليا الغربية^(١)

ان أغلب المنح والهبات والقروض التي تقدمها الدول الكافرة - ان لم أقل كلها - لا ترمي الى النهوض بالشعوب الفقيرة، بل على العكس من ذلك تريد منها أن تكون لها الولاية على برامج التعليم والتوجيه والاعلام في هذه البلدان الفقيرة، حيث يتسنى لها بالتالي تحويل هذه الشعوب عن دينها وعاداتها، انني أؤكد على أن رأس المال القادم من موارد أجنبية وخاصة اذا كان لمصلحة التعليم والثقيف - يجب أن يكون موضع شكوك واحترازات، وان على المسلمين عند مشاهدتهم لمثل هذا الكرم الحاقمي ان يستحضروا عقيدتهم في الولاء والبراء وكل الآيات القرآنية التي تحدثنا عن العدااء المستحکم في

١ - محمد أسد. الاسلام على مفترق الطرق. ترجمة: الدكتور عمر فروخ ص:

٧٦. مرجع سابق.

قلوب الكفار للمسلمين، وبذلك نستطيع أن نميز الخبيث من الطيب.

ان المبشرين والشيوعيين وغيرهم من أصحاب النظريات والعقائد الفاسدة، عرفوا أن لا مجال لإبعاد المسلمين عن دينهم، إلا بتقديم نوع من الخدمات، مثل التعليم والصحة وغيرها، ولما كانت الشعوب الاسلامية بسبب الفقر في حاجة ملحة لهذه الخدمات فإنهم يقدمون اليها هذه الخدمات ومعها السم الزعاق وهو الإبعاد عن الدين، ان هذه الخدمات بمثابة الطعم الذي يقدمه الصياد للسمكة، فما أن تلتهمه حتى تقع في الشرك انها حقاً عملية قذرة.

ففي اندونيسيا يوجد أكثر من عشرة آلاف كنيسة بروتستانتية ونحو أربعة آلاف قسيس بروتستاني ونحو تسعة آلاف منصر «متفرغ» وهناك في الوقت نفسه نحو ثمانية آلاف كنيسة كاثوليكية وثلاثة آلاف قسيس ونحو ستة آلاف منصر متفرغ.

ونشرت مجلة «قبلت» الأندونيسية أن الجمعية الكاثوليكية قد أنفقت عام ١٩٧٠م ما يعادل ٤٠ مليون جنيه ثمن أغذية، وأدوية، متعاونة مع هيئة ممثلي كنائس أندونيسيا.

وقالت مجلة (ارساليات التنصير البروتستاني) التي تصدر في سويسرا أن ما ينفق على التنصير في أندونيسيا سنوياً يبلغ ١٧٠ مليون دولار بالاضافة الى ٤٠ مليون أخرى مصاريف اعلامية وأدوية

ويوجد في أندونيسيا عدد كبير من هيئات التنصير تنسق فيما

بينها منها: هيئة تعمل في محيط اليتامى والفقراء خاصة في مدينتي جاكرتا و كاليمنتان.

وهناك هيئة أخرى تمارس التنصير من خلال تقديم معونات غذائية لنحو مائة ألف وتدير ١٥ مشروعاً قروياً في سومطره و سولا ويسي.

وهناك بعض الهيئات العاملة في جزيرة ايربان الغربية تمتلك نحو سبعة آلاف فدان، ونحو ثمانى طائرات خاصة، بالاضافة الى شبكة مواصلات لا سلكية، ومطارات جوية، ومحطات برية للسفر والتنقل.

وفي قطاع الشئون التعليمية تقوم مؤسسة مونتفورت فازر ببناء المدارس ذات المناهج التنصيرية. التي يدرس بها أكثر من أربعة آلاف طالب وطالبة، ويعمل فيها بعض الرهبان الأمريكان والقساوسة الأوروبيين ورجال التعليم.

بالاضافة الى تغلغلهم في مجالات الصحة، والعلاج، وكفالة الأيتام وتنشئة الأطفال، كما توجد لديهم عشرات الصحف والدوريات لعل أخطرها صحيفتا كومبارس و سبتازها رابان. كما يوجد لديهم دور طبع، ونشر، وتوزيع للمؤلفات والمطبوعات التنصيرية. وقد ذكرت مجلة تايم عام ١٩٦٧م أنه تم تنصير ٢٥٠ ألف نسمة في أندونيسيا.^(١)

١ - أنظر: مجلة الأمة القطرية. جمادى الأولى. ١٤٠٦هـ ص: ٤٥ - ٤٦.

ومن المؤسسات التنصيرية في أندونيسيا: مؤسسة باتومارتا بانغون التي تملك مزرعة أبقار وأغنام ومزرعة لتربية الدجاج المستورد، ولتسهيل مهمة نشر دينهم يقومون بالتعاون مع أجهزة الحكومة حيث يطبقون برنامجها في رفع مستوى التغذية والرعاية الصحية والتربية ورعاية الأسرة وتعاونية الوحدة القروية.

ومن المؤسسات التنصيرية أيضاً: بيما تانغ بانقونغ وهي من أقدم مستوطنات سومطرة الجنوبية، وللكاثوليك هناك مدرسة ابتدائية ومدرسة متوسطة وأخرى ثانوية ومعهد للمعلمين.^(١)

هذا في أندونيسيا أما في سريلانكا في ظروف الفقر والمرض التي يعيش فيها المسلمون تنتشر الحملات التبشيرية بقوة في محاولة لزعزعة إيمان المسلمين، وفي هذا البلد تعمل ثلاث بعثات تبشيرية رئيسية، تضم أكثر من ألفي مبشر، تزود المناطق الفقيرة التي تكثر فيها تجمعات المسلمين وتدخل تحت ستار انشاء المستشفيات الخيرية، والمدارس الأهلية.^(٢)

أما في أفريقيا حيث يشتد الفقر والحرمان بين المسلمين، فإن البعثات التبشيرية تقوم بمهام خطيرة، ففي أوغنده أخطر المشكلات تتمثل في المد الكنسي المتزايد، ونشاط البعثات التنصيرية التي وجدت في المدارس والمستشفيات أفضل وسيلة للتأثير على الأوغندي ومن ثم العمل على تنصيره.

١ - أنظر: مجلة البلاغ الكويتية. ربيع الآخر. ١٤٠٧هـ. ص: ٤١.

٢ - أنظر: صحيفة المسلمون. السبت ٢١ - ٢٧ محرم ١٤٠٦هـ.

وفي شمال البلاد، حيث يعاني الأهالي من مجاعة حقيقية، يقوم المنصرون بتقديم الطعام الى المتضورين جوعاً ومن الطبيعي ألا يدري هؤلاء أن في كل لقمة خبز تقدم لهم سماً مدسوساً وجميع البعثات التنصيرية نشطة جداً وتعمل بطريقة منظمة ودقيقة، وتجد حرية كبيرة في الحركة والعمل، نذكر منها البعثة الكاثوليكية الايطالية التي تعمل في شمال البلاد، والبعثة الأمريكية، والبعثة البريطانية والبعثة البروتستانتية متعددة الجنسيات.^(١)

أما في ساحل العاج فقد ازدادت أعداد الكاثوليك حيث كانوا ٢٤١,٣٩٠ نسمة يمثلون ٩,٣٪ من عدد السكان في عام ١٩٥٨م فأصبحوا ٥٤٠,١٠٠ نسمة يمثلون ١٣,١٪ في عام ١٩٧١م^(٢) وفي أثيوبيا وفي ظل ظروف الفقر أيضاً نشطت المؤسسات التبشيرية وأصبح يعمل الآن داخل أثيوبيا ما لا يقل عن خمسين مؤسسة تبشيرية تمثل جميع الكنائس العالمية، ويعمل أيضاً ما لا يقل عن هذا العدد من المؤسسات داخل مخيمات اللاجئين.^(٣)

وفي اجتماع عقد في نيروبي عاصمة كينيا لكبار المسئولين عن اتحاد جمعيات الانجيل، كشف النقاب عن جانب من توظيف تلك الامكانيات فقد تبين أن الانجيل الذي ترجم حتى الآن الى ١٨٠٨ لغات ولهجات محلية في مختلف أنحاء العالم قد ترجم أيضاً الى ٤٩٨

١ - أنظر: مجلة الأمة القطرية. رجب ١٤٠٤هـ. ص: ٢٨

٢ أنظر: المصدر نفسه ص: ٥٦.

٣ أنظر: مجلة المجتمع الكويتية. ٤ جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ. ص: ٣٠

لغة ولهجة محلية أفريقية . وان العمل يجري حالياً لترجمته الى ٢٠٠ لغة ولهجة أخرى، وان اتحاد جمعيات الانجيل سوف ينفذ مشروعاً يكلف ملايين الدولارات لترجمة الانجيل الى ١٥٠٠ لغة ولهجة أفريقية في غضون ٧ الى ٨ سنوات وان آخرين يعملون الآن على تسجيل الانجيل على أشرطة كاسيت ليسهل تداوله بين الجماهير الأفريقية التي تتجاوز نسبة الأمية فيها حدود الـ ٧٥٪. وسوف توزع مع الأشرطة أجهزة تسجيل تعمل بالطاقة الشمسية. وفي كينيا تباع النسخة الواحدة من الانجيل بثلاثة دولارات ونصف الدولار بينما تصل تكلفتها الحقيقية الى ثمانية دولارات. وان الكاثوليك الأفارقة الذين لم يكن عددهم سنة ١٩٠١م يتجاوز ١,١ مليون نسمة (١٪) من السكان، يقدر اليوم بـ ٦٥ مليوناً، وبنسبة تزيد على ١٦٪ من مجموع سكان القارة.^(١)

وكمثال لتوظيف المنصرين العمل الاجتماعي لخدمة أغراضهم اقامة عيادات بيطرية لعلاج الأبقار^(٢)

وهكذا. تؤثر مشكلة الفقر تأثيراً مباشراً في شيوع العقائد المنحرفة والتصورات الفاسدة في البلاد الاسلامية.

وليس من مخرج لحالة الفقر ومكر المنصرين وحقد المفسدين الآ العودة المخلصة الى الاسلام عقيدة وشريعة.

١ - أنظر: مجلة الأمة القطرية. جمادى الأولى. ١٤٠٦هـ. ص: ٦٣

٢ - المصدر نفسه. ص: ٦٦

المبحث الثالث آثارها الاقتصادية

لاشك أن من أهم الآثار المترتبة على مشكلة الفقر تلك التي تتعلق بالاقتصاد حيث يؤثر الفقر مباشرة على اقتصاد الأفراد والدول، بل ان الفقر في حد ذاته وجه من وجوه العجز الاقتصادي، فهناك اذن جدلية في العلاقة بين مشكلة الفقر والوضع الاقتصادي.

ورغم أن الآثار الاقتصادية لمشكلة الفقر كثيرة ومتعددة إلا أنها عند امعان النظر ترجع الى:

١ - زيادة الفقر

٢ - زيادة التخلف.

٣ - التبعية الاقتصادية.

٤ - البطالة

١ - زيادة الفقر:

ان المستقرىء للواقع الذي عليه معظم المجتمعات في العالم مع نهاية هذا القرن يلاحظ بجلاء أن مشكلة الفقر ليست في طريق الحل كما أن الشعوب لم تتقدم نحو الخلاص منها، بل ان زيادة الفقر مع مرور الأيام هي السمة التي تطبع مساحات واسعة من البسيطة، ولست الآن في معرض ذكر الأسباب المؤدية الى ذلك، حيث سأبين أصل المشكلة وحقيقتها وأسس علاجها فيما يأتي من فصول الكتاب،

وانما أريد هنا فقط أن افتح نافذة - ولو صغيرة - نطل من خلالها على ما عليه العالم اليوم من تفاوت اقتصادي مخجل وخاصة وأن العالم الاسلامي ينتمي الى الجزء المعدم رغم منابع القوة والثروة التي يمتلكها.

ان مظاهر استفحال الفقر تبدو واضحة في جميع الدول الاسلامية المتخلفة، وان كانت بنسب متفاوتة بينها - في هذه العناصر:

١ - الاستمرار في زراعة أحادية، تعتمد على نوع أو نوعين من المحاصيل، وفي نشاط زراعي لا يفي بحاجات البلاد، بل يعتمد على الخارج في الحصول على تقنيات العملية الزراعية من معدات وآليات.

واضافة الى ذلك كله، فإن هذه الزراعة تقليدية جداً، ومتأخرة عن أساليب الري، والانبات المتقدمة، مما يعني مردوداً هزياً لا يفي بالاكْتفاء الذاتي فضلاً عن التصدير.^(١)

٢ - التخلف الصناعي، الذي يبدو أن أحسن أحواله في تلك الدول أن يشرع في بناء صناعات يغلب عليها طابع الصناعات الاستهلاكية مع اهمال الصناعات الثقيلة.

من المحاولات الناجحة جداً تلك الخطط التي انتهجتها

١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ص: ٣٠ مرجع سابق. عن منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة. حالة الأغذية في العالم ١٩٨١م روما ١٩٨٢م ص: ١٣١ ١٣٢

المملكة العربية السعودية لتنمية محاصيلها الزراعية، والتي أوصلتها بفضل الله تعالى الى الاكتفاء الذاتي من القمح مما كان سبباً للشناء العالمي عليها.

٣ - تضخم قطاع الخدمات، الذي تورم على حساب قطاعي الصناعة والزراعة، وهذا ما يؤدي الى اختلال الاقتصاد، وبالتالي التبعية الى القوى المستغلة

٤ - حدة الفوارق الاجتماعية بين أفراد المجتمع، حيث يلاحظ الفقير المدقع، والغني المترف، نتيجة انعدام العدالة في توزيع الثروة.

٥ - الفوارق المحيطة بين المدن والأرياف حيث يبدو النقص الواضح - في الريف - لأسباب الحياة فضلاً عن الكماليات وأسباب الرفاه. وذلك من جراء تخلف الظروف الصحية، ووسائل النقل ومراكز التعليم وغيرها.

تلك مجمل المظاهر التي تبين أن حالة الفقر مازالت جاثمة على أغلب شعوب الأقطار الاسلامية.

فقد جاء في منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة لسنة ١٩٨٢م ان نسبة الفقر في أغلب دول أفريقيا وشرقي آسيا فاقت ٥٠٪ وأكثر تلك الدول اسلامية^(١)

١ - المرجع السابق نفسه

نسبة الفقر	دخل الفرد بالدولار (بأسعار عام ١٩٧٠)	السنة	المناطق
٥١٪	—	١٩٧١-٧٠م	شمالى نيجيريا
٧٠٪	٦٥ في العام	١٩٧٦م	الصومال
أكثر من ٥٠٪	٧١-٥٧ في العام	١٩٧٠م	غانا
٥٥٪	٨٠ في العام	١٩٧٧م	سيراليون
٦٥٪	٤٣ في العام	١٩٦٩م	تنزانيا
٤٠٪	٥١ في العام	١٩٧٥-٧٤م	كينيا
٢٨٪	٨٧ في العام	١٩٧٥-٧٤م	مصر
٨٠٪	٣٨ في العام	١٩٧٧م	اندونيسيا (جاوا)
٥٥٪	١١٥ في العام	١٩٧٠م	ماليزيا
٧٤٪	٤٦ في العام	١٩٧٥م	بنغلاديش
٥٦٪	٥١ في العام	١٩٧٥م	الهند
٥٩٪	٨٩ في العام	١٩٧٠م	الفلبين
٣٨٪	٩٢ في العام	١٩٧٦-٧٥م	ايران

١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ص: ٣٠ مرجع سابق. عن منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة. حالة الأغذية في العالم ١٩٨١م روما ١٩٨٢م ص: ١٣١ - ١٣٢

ومن مظاهر ازدياد الفقر تفشي الجوع فقد ذكرت مصادر جبهة التحرير الإريترية أن عشرات الآلاف من الأطفال وكبار السن لاقوا حتفهم نتيجة مجاعة لم يسبق لها مثيل، اجتاحت أجزاء كبيرة من إريتريا بسبب الجفاف الذي ضرب المرتفعات الإريترية وأجزاء من المديرية الغربية، مما أثر على الزراعة وتسبب في نفوق أعداد من قطعان الماشية.^(١)

أما في آسيا فتقدر منظمة الأغذية والزراعة انه كان هناك ٤٦٠ مليون نسمة عام ١٩٧٧م لا يحصلون على غذاء كاف في العالم، وثلاثا هذا العدد ٣٠٦ ملايين من سكان جنوبي آسيا أي ثلث سكان المنطقة وهناك اليوم ألف مليون شخص يشكون من نقص غذائي يموت منهم كل عام ١١ مليوناً سبب سوء التغذية.^(٢)

ومما يدل على زيادة الفقر - خاصة في أفريقيا ما قاله ادوارد صوما المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة واصفاً الحالة في عام ١٩٨١م. لم يطرأ أي تحسن على حالة الأغذية في البلدان ذات الدخل المنخفض وعلى الأخص في أفريقيا، ولا يزال هذا الموضوع مصدر

١ - السيد محمد عثمان أبوبكر. صحيفة الشرق الأوسط اليومية. ٢٣ مارس ١٩٨٣م.

٢ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٥٦. مرجع سابق. عن مجلة صحة العالم. عدد مايو ١٩٧٧م ص: ١٣ منبر الصحافة العالمية. رقم ١ ص: ٥. ١٩٨٣م.

قلق بالغ. وهكذا فإن حالة الأمن الغذائي لاتزال غير كافية بل مضطربة.^(١)

ان حالة الفقر التي كانت عليها كثير من الدول الاسلامية لم تتحسن بالقدر الذي يمكن شعوبها من العيش الكريم، ومما يدل على ان هناك استمراراً لحالة الفقر ما نلاحظ من بقاء ما يسمى عادة بالتقسيم الدولي للعمل، ويعني تخصص الدول الكبرى في التصنيع، والدول ذات الاقتصاديات المنخفضة في انتاج المواد الأولية:

وأساس ذلك أن الدول الاستعمارية - زمن الاستعمار المباشر - كانت تنتج السلع المصنوعة، على أن يكون سوق هذه السلع في البلدان المستعمرة، أما البلدان الخاضعة للسيطرة الاستعمارية فهي متخصصة في تصدير المواد الخام للمصانع الغربية، وعن طريق هذه العملية الخبيثة، لا تمكن الدول المستعمرة من تصنيع موادها الخام في بلادها وتصديرها، فتعيش حالة نهب لثرواتها الطبيعية، وتستمر في حاجة دائمة لبضائع المستعمرين. ان هذا كان واقعاً في عهد الاستعمار، فهل تغيرت المعاملة اليوم؟ أم أن الوضعية مازالت على ماهي عليه. والحرمان والفقر في ازدياد؟

ان التقارير والبيانات تؤكد أن العملية مازالت مستمرة، وإن

١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٥٦
مرجع سابق. عن منظمة الأغذية والزراعة الأمم المتحدة. مقدمة كتاب:
حالة الأغذية والزراعة في العالم ١٩٨١م. روما ١٩٨٢م.

تم تغليفها بشعارات من التعاون الدولي، فالتجارة الخارجية للبلدان العربية مثلاً مع دول السوق الأوروبية تدور بالنسبة للصادرات، حول النفط الخام، والغاز الطبيعي، والفوسفات، والحديد الخام، والقطن والمنسوجات، والحمضيات، وبعض المنتجات الزراعية النباتية والحيوانية، ويتراوح النصيب النسبي للمواد الأولية في صادرات الدول العربية بين ٦٢٪ «قطر وبنغلاديش» في حالة مصر، الى ٩٩٪ لقطر بالنسبة لليبيا ويسير الاتجاه الى زيادة الأهمية بالنسبة للنفط في صادرات كل الدول العربية لدول السوق الأوروبية.

أما بالنسبة للواردات فتدور حول السلع الصناعية - الآلات والمعدات الكهربائية، ومعدات النقل، والسلع الصناعية الاستهلاكية، والمواد الغذائية المصنعة، والقمح. ويبلغ نصيب السلع الصناعية في المتوسط ٧٠٪ من إجمالي الواردات.^(١)

وهكذا لا تستمر مشكلة الفقر فقط، بل تستفحل وتزيد.

٢ - زيادة التخلف:

يلعب الفقر دوراً بارزاً في ترسيخ التخلف وتوطينه، فرغم أن الفقر ليس مرادفاً للتخلف حسب التصور الإسلامي، فقد يكون

١ محمد دويدار الاقتصاد الرأسمالي الدولي في أزمتته ص: ١٩٨ منشأة المعارف. الاسكندرية: ١٩٨١م. ويلاحظ أن الكتاب لا يذكر تاريخياً للبيانات المذكورة، إلا أن السياق الذي أوردها فيه يفيد بأنها كانت لسنتي ١٩٧٨ - ١٩٧٩م تقريباً.

الانسان فقيراً ولكن ليس متخلفاً، اذن هناك عوامل متعددة تشكل ظاهرة التخلف ومعاله منها الجهل، وانتشار الأمية، والنقص في المستوى الصحي وفي سبل المواصلات، ووجود البطالة وبدائية التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.^(١)

إن الذي أؤكد عليه من البداية أن التخلف لا يعني نقص الامكانيات المادية فقط، بل هناك من تتوافر لديه المقدرة المادية إلا أنه يعد متخلفاً، اذا كانت تنظيماته الاقتصادية عتيقة، لم يستفد فيها من التطور التقني، أو كان الجهل هو السمة البارزة في المجتمع، ومجال بحثنا الآن هو واقع التخلف الاقتصادي الذي عليه مساحات واسعة من خارطة العالم الاسلامي ودور الفقر في زيادة هذا التخلف. وبهذا يمكن ملاحظة تأثير الفقر في استفحال التخلف وتأيبده.

ولنبداً أولاً بتعريف التخلف الاقتصادي:

ان التخلف الاقتصادي هو الظاهرة التي تتسم بها بعض المجتمعات المتخصصة في النشاط الزراعي والاستخراجي، بما يستتبعه ذلك من تبعية اقتصادية للخارج، والتي لا تستغل فيها الموارد استغلالاً كاملاً بما يفضي اليه من ضالة نسبية في الانتاج والدخل القومي، ومن ضالة نسبية في متوسط دخل الفرد.^(٢)

١ أنظر: حسين عمر. التنمية والتخطيط الاقتصادي ص: ١٥ الطبعة

الثانية. دارالشروق. جده ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٢ المصدر السابق نفسه. ص: ١٧

فمظاهر التخلف الاقتصادي حسب هذا التعريف مجمله فيما

يلي:

- ١ - التخصص في النشاط الزراعي والاستخراجي فقط.
- ٢ - عدم استغلال الموارد استغلالاً كاملاً.

ويؤثر العنصر الأول على الاستقلال الاقتصادي، كما ينتج عن العنصر الثاني ضعف الانتاج والدخل القومي، وضعف متوسط دخل الفرد، ولم يعد خافياً على أحد أن واقع الدول المتخلفة يبين أنها متخصصة فعلاً في النشاط الزراعي والاستخراجي، وحظها من النشاط الصناعي ضئيل جداً، ويبدو الفقر عائقاً رئيسياً عن الخروج عن احادية الانتاج الى تنوعه فالدول المتخلفة بحاجة الى رؤوس الأموال لبناء صناعات متطورة، تعفيها من الاستيراد، وكذلك بحاجة الى أموال حتى تتمكن من تحديث زراعتها وتنويعها، وحتى تتمكن من تحقيق الغذاء الكافي لشعبها، ومصدر هذه الأموال في الفترة الراهنة هو مبيعات الدول المتخلفة من المواد الأولية، لذلك يلاحظ أنه اذا انخفض سعر النفط تتضرر هذه الدول مباشرة، وهكذا نلاحظ كيف تستمر هزيمة هذه الدول أمام الدول المتقدمة، وينتج عن هذه الهزيمة سياسة الالحاق والتبعية.

هذا حول العنصر الأول من عناصر التخلف أما العنصر الثاني وهو عدم استغلال الموارد استغلالاً جيداً فيبدو الفقر ويجلاء عاملاً مهماً في استغلال هذه الحالة، فالموارد الاقتصادية متوافرة، ولكنها غير مستثمرة استثماراً كاملاً، فالأرض مثلاً كأحد مصادر الثروة تحوي

مخزوناً هائلاً من الثروات المعدنية، مثل النفط، والفوسفات،
والزئبق، واليورانيوم، وحتى الذهب في بعض الدول، ويقف الفقر
حاجزاً عن استغلال هذه الثروات فتضطر الدول الفقيرة الى توكيل
البحث عن هذه الثروات الى شركات اجنبية لا تنظر الا الى مصالح
الدول الكبرى، بل تسعى الى تدمير اقتصاديات الدولة المضيفة.

والشيء نفسه - تقريباً - يقال عن موارد أخرى مثل الموارد
البشرية والسياحية وغيرها.

وهذا الوضع يؤدي الى ضآلة الانتاج، ومحدوديته، والعجز
الاقتصادي كما يؤدي على مستوى الأفراد الى تدني متوسط دخل
الفرد.^(١)

ولعله من المناسب في ذكرنا لانتاج التخلف وزيادته أن نختم
بما قاله الاقتصادي البريطاني بريان آبل سميث حيث قال: «هناك
دلائل كثيرة على أن الأوضاع المادية لمجموعات كبيرة من الناس في
العالم الثالث، هي أسوأ مما كانت عليه منذ عقدين من الزمان».^(٢)

١ - راجع هذا الجزء. ص: ٥٠.

وفيها دخول الأفراد المدنيّة جدّاً في بعض بلدان أفريقيا وآسيا.
٢ - نبيل صبحي الطويل: الحرمان والتخلف في ديار المسلمين ص ٤٥ (مرجع
سابق).

عن: - منظمة الصحة العالمية: الفقر والتنمية والسياسة الصحية - أوراق
الصحة العامة رقم ٦٩ - ١٩٧٨ م.

٣ - التبعية الاقتصادية:

لقد أنتجت حالة الفقر التي عليها معظم دول آسيا وأفريقيا تبعية اقتصادية للدول الكبرى، لا تقف عند حد الاستفادة من تقدمها العلمي والتقني واقامة (حوار حضارات) معها بل تتجاوز ذلك الى بقاء الدول الفقيرة تحت وصاية الدول الكبرى، حيث أفرزت هذه التبعية الاقتصادية تبعية سياسية وثقافية، تمكنت من خلالها الدول الكبرى، من فرض برامجها الاقتصادية واختياراتها الثقافية، التي كانت محصلتها حدوث تشوهات واضحة اقتصادية وفكرية لدى الانسان في الدول الفقيرة.

وسأعرض فيمايلي باختصار شيئاً عن واقع التبعية الاقتصادية الذي عليه الدول الفقيرة - وأكثرها مسلمة - أمام الدول الغنية .

ولنبداً من القروض والمنح التي انسابت من الدول المتقدمة الى الفقيرة حيث يذهب تقرير الأمم المتحدة عن انسياب رؤوس الأموال الطويلة الأجل، والمنح الحكومية من البلاد المتقدمة الى البلاد المتخلفة خلال الفترة ١٩٦١ - ١٩٦٧م الى أن هذا الانسياب لم يقل في أي سنة من هذه السنوات عن نحو ٢٥٪ من اجمالي رأس المال بالبلاد المتخلفة، أو عن ٤٪ من الناتج القومي الاجمالي بها، أو عن ٢٦٪ من جملة وارداتها، ويسفر تقرير وزارة التخطيط عن متابعة وتقويم الخطة الخمسية الأولى^(١) في مصر عن أنه قد اعتمد على المدخرات الأجنبية

١ - سنوات ١٩٦٠ - ١٩٦٤م.

في صورة قروض وتسهيلات ائتمانية في تمويل ٢٧,٦٪ من اجمالي الاستثمار^(١).

وعند دراستنا لعناصر انسياب الأموال الأجنبية من البلاد المتقدمة، الى الفقيرة والهيئات الدولية خلال الفترة من ١٩٦١ - ١٩٦٧م رأينا أن أكثر من نصف الانسياب (نحو ٦٥٪) يتخذ صورة معاملات ثنائية حكومية أي فيما بين حكومات البلاد المصدرة لرؤوس الأموال والحكومات المستوردة، ثم تأتي بعد ذلك رؤوس الأموال الخاصة والقروض، ويتبين ذلك من خلال الجدول التالي:

جملة انسياب رؤوس الأموال الطويلة الأجل والمنح الحكومية من البلدان المتقدمة الى الفقيرة والهيئات الدولية خلال الفترة من ١٩٦١ -

١٩٦٧م^(١)

المعاملات	ببلايين الدولارات	٪
١ - معاملات ثنائية حكومية	٣٧,٠	٦٥
* منح	٢٥,٩	٤٥
* قروض	١١,١	١٩
٢ معاملات مع الهيئات الدولية:	٤,٦	٨
٣ - رؤوس الأموال الخاصة الطويلة الأجل:	١٥,٨	٢٨
* استثمار مباشر	١٢,٥	٢٢
* قروض وغيرها	٣,٣	٦
المجموع	٥٧,٣	١٠٠

١ - ٢ - محمد زكي شافعي. التنمية الاقتصادية. الكتاب الثاني. ص: ٥٤.

ان انسياب رؤوس الأموال للدول الفقيرة لم يكن مجاناً فلو نظرنا الى هذا الانسياب من ناحية البلاد المتلقية لرؤوس الأموال لألفينا أنه قد يتخذ صورة القروض أو الاستثمار المباشر أو المنح فالقروض سواء أكانت حكومية أم دولية أو خاصة، تحمل معها التزاماً بدفع الأقساط والربا الناتج عنها، على نحو ما في المستقبل. والاستثمار المباشر يستتبع تحويل ما يدره من أرباح كلها أو بعضها الى الخارج، فأما المنح وان كانت لا يفرض دفعها مستقبلياً فإنها تحمل التزاماً سياسياً بالولاء للدولة المانحة، والتزاماً اقتصادياً بإعطاء الدول المانحة الأولوية في أي مشروع استثماري في الدول الممنوحة، كما تفرض المنح على الدولة الممنوحة التزاماً بأن تكون سوقاً مستمراً لبضائع الدولة المانحة.

وهكذا يحكم الطوق على رقبة البلاد الفقيرة، وتقع في حالة من التبعية الاقتصادية والسياسية التي تزيد عمقاً واتساعاً كلما حانت الأجل التي يجب فيها تسديد القروض التي استلمتها من الدول الصناعية وهناك تكون النتيجة مخجلة حقاً، حيث تعجز تلك الدول عن سداد ديونها وتطالب بإعادة جدولتها، مع استمرارها في الاقتراض حتى تتراكم عليها الديون فتصبح مرتبهة للدول المقرضة حقيقة وواقعاً.

ومن الحقائق المذهلة في ذلك قصة صندوق النقد الدولي مع مصر في اتفاق برنامج التثبيت الاقتصادي، الذي عقده البنك مع جمهورية مصر العربية للفترة ما بين ١٩٧٨ - ١٩٨١م وكان الهدف

المعلن لهذا البرنامج هو اخراج مصر من أزمته الاقتصادية وتقليل نسبة عجز ميزانها التجاري وفي الدراسة التي أجراها الدكتور رمزي زكي الخبير الأول في معهد التخطيط القومي المصري ظهر أن (الصندوق) تعامل مع مصر عام ١٩٧٨م وهي مدينة بـ ٨٠٠٠ مليون دولار. أي أن كل مواطن مصري كان مديوناً بـ ٤٢٢ دولاراً للعالم.^(١)

وتفصيلاً للديون المصرية كتبت ناهد فريد في مجلة صباح الخير المصرية مايلي: ان اجمالي الديون المصرية مايلي:
ان اجمالي الديون المصرية حسب دراسة البنك الدولي للانشاء والتعمير بلغ في منتصف عام ١٩٨٢م ١٩,٢ مليار دولار، وهكذا أصبح ترتيبنا التاسع بين أكبر الدول المدينة في العالم.
وفي نهاية عام ١٩٧٣م ٢,١ مليار دولار.

وفي عام ١٩٧٦م ١٠ مليارات دولار.

وفي عام ١٩٨٠م ١٣,٥٤ مليار دولار

وأصبح في منتصف عام ١٩٨٢م ١٩,٢ مليار دولار

ولو قسمت هذه الديون المتراكمة على عدد السكان لوجدنا أن الفرد الواحد مديون عالمياً بحوالي ٤٢٠ دولاراً في السنة^(٢) وتذكر

١ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٤٦.
مرجع سابق.

٢ - نبيل صبحي الطويل. الحرمان والتخلف في ديار المسلمين. ص: ٤٦ -
٤٧. مرجع سابق.

دراسة أخرى ملخصاً لواقع الحياة الاقتصادية في مصر تحت العنوان التالي:

«تضاعف أعباء الديون ٧ مرات في أقل من ٦ سنوات وزيادة العجز التجاري ٤٠ مرة»^(١).

وبمناسبة الحديث عن الديون الخارجية وتراكمها في كثير من الدول المسلمة أعرض الجدول التالي وفيه بعض الأرقام المذهلة التي تزايدت بصورة هائلة في العقد الماضي (ما بين ١٩٧٠ - ١٩٨٠م) أكثر من إجمالي الناتج القومي^(٢).

جدول لتراكم الديون الخارجية العامة لبعض دول العالم المسلم

الدولة	عام ١٩٧٠م		عام ١٩٨٠م	
	المبلغ بالملايين بالدولار	النسبة المئوية من إجمالي الناتج القومي	المبلغ بالملايين بالدولار	النسبة المئوية
أفغانستان	٤٥٤	-	١٠٩٤	-
باكستان	٣٠٥٩	٪٣٠,٥	٨٨٧٥	٪٣٤,٧
السودان	٣٠٨	٪١٥,٣	٣٠٩٧	٪٣٧,٢
اليمن الجنوبي	١	-	٤٤٩	-
أندونيسيا	٢٤٤٣	٪٢٧,١	١٤٩٤٠	٪٢٢,٥
موريتانيا	٢٧	٪١٦,٨	٧١٤	٪١٣٩,٧
مصر	١٦٤٤	٪٢٣,٨	١٣٠٥٤	٪٥١,٧

١ - المصدر نفسه.
٢ - المصدر نفسه. عن مجلة آرابيا الشهرية عدد تشرين الثاني. ١٩٨٢م ص:

تابع الجدول السابق :

٧١١	١٨,٠٪	٧٠٩٨	٣٨,٦٪	المغرب
٤٧٨	٦,٤٪	٤٩٩٧	٥,٥٪	نيجيريا
٢٣٢	١٢,٨٪	٢٤٩٣	٢٠,١٪	سوريا
١٨٥٤	١٤,٤٪	١٣٢١٦	٢٢,٤٪	تركيا
٩٣٧	١٩,٣٪	١٥٠٧٣	٣٨,٧٪	الجزائر
٩٨	١١,٦٪	٩٠٦	٣٤,٩٪	السنغال
٥٤١	٣٨,٢٪	٢٩٥٥	٣٣,٩٪	تونس

هذا. ويمكن تلخيص وضع الديون الخارجية للبلدان المتخلفة مما ورد في تقرير نشرة سكرتارية منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الأوروبية OECD في يوليو ١٩٨٠م في أن حجمها تطور من ٨٧ مليار دولار أمريكي في نهاية ١٩٧١م الى ٣٩١ مليار في نهاية ١٩٧٩م الى ٤٥٠ مليار متوقع لنهاية ١٩٨٠م وأن ٧٥ ٨٠٪ من اجمالي المديونية في مواجهة البلدان الرأسمالية المتقدمة ٥٠٪ منها ديون في مواجهة القطاع الخاص في هذه البلدان و ٤٪ في مواجهة دول الأوبك و ١٢٪ في مواجهة المؤسسات الدولية.

ونظراً لازدياد صعوبة شروط الاقتراض زادت مدفوعات خدمة الديون (الربا) بأسرع من زيادة الديون نفسها.

وقد مثلت النفقة الجارية للدين (الربا) ٤٠٪ من خدمة الدين في ١٩٧٩م وخصصت الـ (٦٠٪) من المدفوعات لاستهلاك الدين، وعادة ما يمол هذا الأخير بقروض جديدة، وقد بلغ اجمالي المدفوع. (ربا) ١٠,٩ مليار دولار في ١٩٧١م ٧٢ مليار في

١٩٧٩م ٨٨ ملياراً كان متوقعاً دفعها في ١٩٨٠م.^(١)

وهكذا. تبقى البلدان المتخلفة ومن بينها الدول الاسلامية بين فكيّ الدول الصناعية بحكم الديون، تفرض عليها اختياراتها وسياساتها، وكدليل لأثر التبعية الاقتصادية على ثقافة المجتمعات نسوق المثال التالي حيث: فتحت البلدان العربية أبوابها واسعة لوسائل الاتصال الغربية، ففي مصر وصلت الواردات من الولايات المتحدة الى قمتها في عام ١٩٧٨م عندما بلغ عدد الأفلام الأمريكية ١٧٨ فيلماً، أي ٣,٩ بالمائة مما عرضه التلفزيون من مواد أجنبية، وحتى في الستينيات فقد كانت نسبة البرامج الأمريكية مرتفعة أيضاً والى حد أقل من تلك التي أتت من أوروبا الغربية، وكان من أسباب ذلك وجود قناة ثالثة مخصصة للمجتمع الدبلوماسي وسكان البلاد الأجانب والسياح. وامتدت ساعات الارسل على نحو مبالغ فيه، وخصصت قنوات للمشاهدين الأجانب في البحرين والكويت وقطر والامارات العربية المتحدة.

وأدخلت قنوات مماثلة في البلدان التي ظلت أسيرة للثقافات الأجنبية حتى بعد حصولها على الاستقلال بفترة طويلة، مثل تونس ولبنان، ففي لبنان قامت شركة تلفزيون لبنان بتشغيل قناة باللغة الفرنسية، للمحافظة على النفوذ الفرنسي في البلاد، وكانت القناة

١ - محمد دويدار. الاقتصاد الرأسمالي الدولي في أزمنة ص: ١٠٥ - ١٠٦ مرجع سابق.

بالفعل كما لو أنها ساعد هيئة التلفزيون الفرنسية ذاتها، فهي تتلقى سبع ساعات من البرامج بلا مقابل من الهيئة كل أسبوع، ولا يسمح للاعلانات بقطعها.

أما فيما يتعلق بتونس فقد أقيمت عام ١٩٦٠م محطات تقوية في العاصمة التونسية لنقل برامج هيئة التلفزيون الإيطالية بلغتها الأصلية، وذلك قبل ادخال التلفزيون الوطني بست سنوات، وتجري في الوقت الحالي دراسة مدى صواب امتداد البث الإيطالي لتغطية كل التراب التونسي وفي الوقت ذاته افتتحت قناة تلفزيونية ثانية لبث البرامج الفرنسية سواء ما أنتج منها في فرنسا أو ما أنتج في تونس نفسها.^(١)

وبيين الجدول التالي مصادر البرامج المستوردة في المنطقة العربية بناء على مسح لمدة أسبوعين ٣١ يناير - ١٣ فبراير ١٩٨٣م في خمس بلدان عربية هي: الجزائر، مصر، سوريا، تونس، اليمن الديمقراطية.^(٢)

١ - حمدي قنديل. سائل الاتصال والتكامل العربي. مجلة المستقبل العربي التي يصدرها مركز دراسات الوحدة العربية. العدد ١٠٧ سنة ١٩٨٨م. ص:

٤٩ - ٥٠

٢ - المصدر نفسه. ص: ٥٩

النسبة المئوية	الدقائق	المصدر
		<u>الدول غير العربية</u>
٣٢,٠٥	٦,٥٨٤	الولايات المتحدة الأمريكية
١٢,٨٠	٢,٦٢٩	فرنسا
٦,٧٠	١,٣٧٨	بريطانيا
٥,٩٣	١,٢١٢	اليابان
٥,٤٥	١,١٣٨	المانيا الفيدرالية
٥,٤٥	٥٤٤	الاتحاد السوفيتي
٠,٧٠	١٤٣	تشيكسلوفاكيا
٠,٥٨	١٢٠	سويسرا
٠,٥٥	١١٤	اسبانيا
٠,٤٣	٨٨	ايطاليا
٠,٢٦	٥٤	رومانيا
١,٢٦	٢٥٩	مصادر أخرى
		<u>الدول العربية:</u>
١٠,٢٢	٢,١٠٠	الامارات العربية المتحدة
٥,٩٧	١,٢٢٧	مصر
٤,١٨	٨٥٩	الكويت
١,٧٥	٣٦٠	مركز الخليج للانتاج المشترك
١,٦٩	٣٤٧	لبنان
٠,٩٧	٢٠٠	الجمهورية العربية الليبية
٠,٥٩	١٢٢	تونس
٠,٣٢	٦٥	سوريا

البطالة هنا هي التعطل عن العمل. وتحدث عند عدم التوازن بين عروض العمل، وطلبات العمل في دائرة أجر محدد.^(١) وسوف نقصر هنا على بيان كيف أن مشكلة الفقر تسبب البطالة لليد العاملة في الدول الاسلامية وغيرها من الدول الفقيرة.

أ- من المعلوم أنه في الدول الفقيرة، لا يتمكن الفقراء من استهلاك كافة السلع المعروضة وخاصة الصناعية منها، اذ هم يقتصرون على الحد الأدنى من الغذاء، والكساء، والخدمات، ولا يطمحون أن تتحول أسرهم أو مناطقهم الى مجتمعات استهلاكية، تنفذ فيها السلع بكميات هائلة، بما فيها السلع الكمالية، وذلك لضيق ذات اليد، وصعوبة الحصول على الأجور المرتفعة التي تمكن من الصرف المريح.

ومن هنا. فإن المنتجين لتلك السلع يضطرون الى خزن سلعهم انتظاراً لاشتداد الطلب عليها، أو بيعها في غير تلك الأسواق كما يلجأون الى تقليل كميات الانتاج الجديد، وربما ايقافه نهائياً حتى تتبين لهم أوضاع السوق وفرص استمرار

١ - أنظر: مدني عبدالقادر علاقي. تنمية القوى البشرية ص: ٣١ الطبعة الثانية. دار الشروق. جدة. المملكة العربية السعودية. ١٣٩٦هـ
١٩٧٦م. شوقي دنيا. الاسلام والتنمية الاقتصادية ص: ١٢٨ وما يليها الطبعة الأولى. دارالفكر العربي. ١٩٧٩م.

الاستثمار فيه، ويؤدي كل ذلك الى الاستغناء عن العمال فترة طويلة أو قصيرة، فتنشأ اذن البطالة نتيجة لذلك كله (١)

ب - تشهد الدول الفقيرة ازدياداً في سكانها بصفة سريعة التصاعد، حتى أنه يطلق على حالتها تلك مصطلح «الانفجار السكاني» وذلك مقابل محدودية مناطقها الزراعية وثباتها، وقلة أدوات الانتاج وتقدمها، وضعف الامكانيات المادية الاستثمارية في هذا الميدان الزراعي، وفي غيره من الميادين التجارية والصناعية ان النافذة الوحيدة التي يمكن أن تفتح بصيصاً من الأمل هي ميدان الخدمات، وهو في العادة يكسو تضخماً هائلاً وعلى أية حال لا يمكنه أن يستوعب كل الطاقات المرشحة للعمل كل عام.

انه اذن في الامكان القول بأن فرص التوسع الوظيفي في الدول التي تلك حالها محدودة جداً، ان لم تكن منعدمة فتحدث البطالة المكشوفة: كثيرون يبحثون عن العمل ولا يجدونه (٢) مما يسبب لهم الضيق والبؤس والحرمان وازدياد فقرهم.

ج - ان الدول الفقيرة لا تستطيع عادة أن تنظم تخطيطها التعليمي والتدريب، لما يحتاجه من كفاية ادارية، ونفقات مالية، ومن

١ - أنظر: أحمد شلبي. الاشتراكية ص: ٤٨ ٤٩. الطبعة الثانية. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ١٩٦٨م.

٢ - أنظر: رؤوف شلبي. العمل الاقتصادي في وجهة نظر الاسلام. ص: ١٣٠ دارالاعتصام. القاهرة. ١٣٩٧هـ. ١٩٧٩م.

ثمة لا تستطيع التحكم في عدد طلبة التخصص الثانوي أو الجامعي أو ضبط اعداد الخريجين في ميادين العمل المناسبة لخطة التنمية الآ قليلاً، فتحدث لديها البطالة الاحتكاكية وهي: «الآ يجد بعض العمال الأعمال التي تناسبهم، رغم توافر أعمال أخرى لعمال ذوي مواصفات أو مؤهلات لا تتوافر في هؤلاء العمال.»^(١)

د - بسبب مشكلة الفقر لا تتمكن الدول المتخلفة من توفير ظروف دراسية راقية لأبنائها، وتمكينهم من مواصلة تخصصاتهم العالية، ذلك فضلاً عن توعيتهم بقوانين العمل والعمال، من حيث الحقوق والواجبات على كل من طرفي عقد العمل.

وهذا الوضع يتبع حالة الجهل والامية التي تقدم الحديث عنها.^(٢) والتي تجعل العامل غير واع بحقوقه كاملة، ومن ثمة عرضة لرغبات صاحب العمل الجانحة أحياناً مثل استنقاص أجره، أو اضافة ساعات عمل اضافي عليه بأجر زهيد، أو حتى بأجر المثل، أو بطرده من عمله، وبالسبب الأخير تنشأ البطالة اذ بسبب عدم ادراك حقوقه، لا يتمكن العامل من استرجاع عمله، ويفقد مصدر زرقه وتضيع عنه مستحقاته، وينضم الى قائمة العاطلين يقاسمهم الهموم والبؤس.

١ - أنظر محمد عبدالمنعم عفر. الاقتصاد الاسلامي. الاقتصاد الكلي. الجزء الرابع ص: ١٠٩ الطبعة الأولى. دارالبيان العربي. جده ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

٢ - أنظر ص: ١٥٠ - ١٥٨

تلك هي أبرز آثار مشكلة الفقر في سوق تشغيل العمالة البشرية، نتبين من خلالها كيف أن الفقر يجعل البطالة بمثابة الهاجس المخيف للعمال العاملين مما يجعلهم في قلق واضطراب دائمين، ويجعل البطالة سبباً للتعاسة والشقاء بألوانه للعمال العاطلين. ونشير في الأخير الى هذه الملحوظة:

تنتشر ظاهرة البطالة بدورها في المجتمع الغربي الصناعي، ولكن ليس بسبب الفقر وانما بسبب النظام الرأسمالي، ولولا تدخل صناديق التأمين والضمان الاجتماعي لحدثت آثار مدمرة لتلك الظاهرة أكثر مما يحدث في أوروبا الغربية وأمريكا فعلاً.

المبحث الرابع آثارها السياسية

تتداخل آثار مشكلة الفقر في الأقطار الاسلامية محلياً وعالمياً وتتسبب على المستوى السياسي - المراد الحديث عنه هنا - في اضطراب سياسي داخلي يعطل حركة النمو المتواضعة، ويأتي على المؤسسات العاملة في المجالين العام والخاص، ومن ثم يزيد في ارباك المؤسسات السياسية ويضعها في موقف صعب أمام خياراتها السياسية والثقافية والاقتصادية. اذ تمتحن في مصداقيتها ليس تجاه هيئة مسئولة واعية، وانما تجاه جموع بشرية هائجة تشكو الفقر والحاجة ونقصان المواد الأساسية للمعيشة أو ارتفاعها المشط.

وهنا إما أن تختفي تلك القيادة من مسرح السياسة وتدخل

البلاد بعدها في دوامة الصراعات الحزبية البغيضة، وإما أن تتشبث بموقعها وتعتمد الى القمع والارهاب، وفي كلتا الحالتين تتضخم مصارف غير لازمة، وتظهر مصارف جديدة، وتهمل على أية حال المشكلة الاجتماعية وتعمق حالة الفقر، وتنشأ بأظافرها في جسم الشعب المسكين.

ومن جانب آخر تهرع تلك الدول الى المؤسسات المالية الخاصة تستدين منها بلا روية بفوائض محففة حرام. وبعد سنوات ولما يحين موعد السداد تجد نفسها، لا هي استثمرت قروضها استثماراً ناجحاً وجنت أرباحها، ولا هي قادرة على السداد لمدينها، فتبدأ المساومات والتضيقات، وجر البلاد الى الاستجابة لشروط الولاء والتبعية السياسية والاقتصادية والثقافية. وفيما يلي نعرض لأبرز تلك الآثار السياسية:

١ - الاستبداد:

لقد خلق الانسان ليكون حراً، وهذه قاعدة في جميع الأنظمة على المستوى النظري - على الأقل - أما على المستوى العملي فإن تنفيذها والعمل بها يتراوح بين النقص والابرام، وفق معطيات متعددة ومتشابكة في كل عصر

ومن أبرز العوامل التي تهدد حرية الانسان واستقلاله وتعرضه للاستبداد مشكلة الفقر:

أ - فالفقر - في أوسع معانيه - هو الذي مكن للاستعمار في بقاع كثيرة

من رقاب أبناء البلاد وجعلهم هدفاً للتهجير، والابادة، أو
الادماج في العنصر الغازي، وتمكين الأخير من التحكم في
أرضهم وفي معيشتهم وفي ثقافتهم، وفي مصيرهم السياسي
والاجتماعي. وأكثر من ذلك اذ يعمل الطرف المتسلط على
سلبهم حتى حقوقهم الانسانية، فيعاملهم معاملة الكلاب بل أحط
من ذلك. وهي - كما لا يخفى - سياسة التمييز العنصري المبنية
على الكراهية والحقد والاستبداد.

ب - والفقر هو الذي يحجز الفئات التي تعاني من مشكلته عن
الوصول الى حقوقها كاملة، وفي المقابل يهيء الفرص لتسلط
الأغنياء - غير المتقين - على مواطنيهم بالتضييق عليهم، وكبت
رغباتهم في الحرية حرية العمل، وحرية التخصص الدراسي،
وحرية النشاط الفكري والاجتماعي.

فأصحاب رؤوس الأموال لا يقنعون بالدخل المحترم
والمعيشة المناسبة، وانما يسعون بنفوذهم المالي، حتى يمتد
تأثيرهم الى رجال الحكم ليكونوا معهم طبقة مستبدة غاية
الاستبداد، كيف وهي بيدها المال والسلطان؟

وبذلك يتمكن هؤلاء من تسخير الدولة وأجهزة الدعاية
والاعلام لمصالحهم المستغلة المستبدة، ويغدو الفقراء مسلوبي
الارادة والفعل، يزرعون تحت نير القانون الجائر، والاعلام
الموجه، والنظام الذي لا يتمشى ورغباتهم واحتياجاتهم،
وآمالهم وآلامهم.

ج - والفقر هو الذي يدفع العمال - وفيهم أحياناً ذوو التخصصات

العالية الى قبول المهن الوضيعة أو الخطيرة، والرضى بالأجور المتدنية، رغم صعوبة ظروف العمل غالباً، من حيث البيئة الصحية الفاسدة، أو عدد الساعات الكبير، أو المعاملة السيئة، أو الأخطار المحدقة مثل الحرق، أو التسمم، أو الاختناق، أو السقوط. وكلها لا محالة مظاهر استغلالية لحاجة الفقراء الى كسب ما يدفع عنهم الجوع، والعري، والحر، والبرد وحياة الشظف والحرمان.

إن في تلك المظاهر نوع استبداد يحول دون تحقيق العدالة والمساواة والكرامة للعاملين، ويزداد الأمر خطورة اذا ما اضطر العامل الى اشراك أسرته: (زوجته، أطفاله)، في البحث عن الرزق، وتمكن أرباب العمل من التحكم في الأسرة، كل بطريقته، فإن النتيجة ستكون فتاكة بكيان الأسرة وبالتربية، وبمستقبل المجتمع بأسره، حيث يتمهد السبيل للانحراف والفساد، والجرائم، واختلال الأمن. ونحو ذلك مما لا يقف عند حد.

إن ذلك الاستبداد من جانب أصحاب رؤوس الأموال، يستغله عادة رجال السياسة، اذ هو يساعدهم على قمع ثورة الفقراء، ومنع تعريضهم الأمن الى الانخرام، وردهم عن المطالبة بحقوقهم النقابية والسياسية. لأنهم كلما فكروا في ذلك تذكروا فقرهم، وحرمانهم، وتذكروا ما يمكن أن ينتظرهم من حسم، أو طردهم، أو اعتقال، وربما أذى شديد حتى القتل، فينكفئون على أنفسهم، يتجرعون مرارة الحرمان المزوجة بقهر الاستبداد، وكل ذلك مشاهد

ومعلوم من واقع كثير من البلاد الاسلامية الفقيرة.

٢ - الفوضى السياسية:

للفوضى السياسية عدة عوامل متداخلة محلية وعالمية، يصعب في الغالب فصلها عن بعضها البعض بشكل قاطع. وذلك لتقارب البلدان في هذا العصر، ولارتباطها فيما بينها اقتصادياً وسياسياً، وربما ثقافياً واجتماعياً.

ولكن على وجه الاجمال يمكن رصد الفوضى السياسية الناشئة عن الفقر في الدول الاسلامية التي تعاني من مشكلته في امرين اثنين:

أ - الاضطراب في الاختيار السياسي:

من المعلوم أن في العالم المعاصر عديداً من المدارس والمذاهب السياسية، التي تدعي لنفسها أنها أحق وأكثر كفاية في تحقيق العدل، والمساواة، والحرية، والعيش السعيد لبني الانسان.

وأمام ذلك الوضع، تجد الدول الفقيرة نفسها في حيرة من أمر الاختيار، فتجرب أولاً هذا المذهب الرأسمالي - مثلاً - سنين طوالياً فتصيبها ويلاته: الفردية، والاحتكار، وسوء توزيع الثروة، والسيطرة الخارجية. ^(١) ومن ثم تجد نفسها - ليس فقط - لم تعالج

١ - أنظر: أحمد شلبي. الاشتراكية ص: ٤٣ وما يليها. عيوب الرأسمالية.

الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية القاهرة: ١٩٦٨م. يوسف كمال.

الاسلام والمذاهب الاقتصادية المعاصرة. ص: ٣٥ وما يليها. مرجع

سابق.

مشكلاتها الاقتصادية والسياسية. بل زادت عمقاً واستفحالاً، مما يدعوها للنكوص على عقبيها، والاقلاع عن النظام الرأسمالي، الى تبني المذهب الاشتراكي، أملاً أن تجد في نظرياته وسياساته، دواء لجراحاتها وآلامها، ولكن تتكرر اصابتها بعاهات النظم الوضعية بشكل جديد، وبلون مغاير، اذ يتحول عندها مبدأ الصراع الطبقي الى مولد للحقد والفرقة في المجتمع، وتتحول الدعوة الى العدالة الاجتماعية سعياً لإلغاء العدل بين الناس، ويتحول شعار الحرية الفردية الى افناء للفرد وسحق له، ويتحول نظام الحكم الى طريق للتحكم والاستبداد.^(١)، ومن جديد تجد نفسها تراوح مكانها، فلا هي حلت مشكلة الفقر، ولا هي حققت الاستقرار السياسي.

إن تلك الفوضى السياسية - كما هو واقع الحال في أكثر دول العالم الاسلامي - سبب كبير للانقلابات العسكرية، والصراعات الحزبية، والمزايدات المذهبية التي تعاني منها تلك الدول بشكل دوري تقريباً، حتى أن ما يسمى بالحركات السياسية التصحيحية تقوم فيها الواحدة تلو الأخرى، لغرض تصحيح بعضها البعض، وتدقيق الاختيار، وترشيد المسار، ورعاية المصلحة العامة وهلم جرا من الخطوات السياسية الاجرائية التي لا تأتي بالأمن، ولا بالخير العميم. وانما بالاضطراب والفوضى.

١ - أنظر: محمد البهي. تهاوت الفكر المادي التاريخي بين النظرية والتطبيق. ص: ٣١ ومايليها. مرجع سابق.

ب - الصراعات الداخلية :

كان تلك الصراعات محتومة على أكثر الدول المتخلفة وبشكل عنيف ومستمر فهي اما تعاني من صراعات بين القيادات السياسية المدنية، قصد الوصول الى السلطة وتطبيق آرائها السياسية والاقتصادية بشأن علاج الفقر، والتخلف والبطالة، والديون الخارجية. ونحوها.

واما تعاني من صراعات بين القيادات العسكرية ذاتها، أو بين هذه وبين تلك، مع ما يصحب ذلك من اتهامات بالتقصير، والتراجع واستغلال النفوذ، والاستجابة للضغوط الخارجية ثم اطاحة البعض بالبعض الآخر

يحدث ذلك - في الغالب - تحت شعار: توفير أكبر قدر ممكن من الأمن، والاستقرار، والعيش الكريم، والحرية، والمساواة، والعدل. ولكن الأمر يؤول في الحقيقة الى تحزب بغيض، وابتزاز رهيب، يفتقر فيه الغني، ويسحق فيه الفقير، وتضطرب فيه أحوال الاقتصاد والمعيشة، وتهتز فيه برامج التربية والتعليم، وتتضرر فيه أوضاع المجتمع. ويغدو الفقر قاسماً مشتركاً بين الجميع أكثر من ذي قبل.

٣ - السيطرة الأجنبية :

نقصد بالسيطرة الأجنبية هنا في المجال السياسي، انتزاع إحدى الدول الغنية حق اتخاذ القرار السياسي من دولة أخرى فقيرة، بصفة

كاملة (الاستعمار المباشر) أو بصفة جزئية (هيمنة معنوية خارجية) وهو وضع مشهود ونتائجه ربما تكون معلومة بدورها، في العالم المعاصر، ولكننا نجتزئ منها هذه الملامح المتعلقة بمشكلة الفقر ومدى تسببها في السيطرة الأجنبية.

أ - الدول الفقيرة - مالكة المواد الخام لا تملك القرار السياسي المستقل بخصوص كمية صادراتها وأسعار بيعها في الأسواق العالمية، بحيث أنها كلما أرادت أن تضع لنفسها سياسة استقلالية مخصوصة، وجدت نفسها مكبله عن أي اجراء استقلالي:

فأسعار موادها التي كانت تعول عليها، تهبط الى حد كبير، ربما يصل الى عدم تغطية تكلفة الاستخراج والشحن، والكميات المعدة للتصدير التي كانت تأمل أن تضاعفها يخف عنها الطلب وربما انصرف عنها تماماً، والأسواق الجديدة التي كانت تسعى لدخولها وفتحها أمامها، تغلق في وجهها، أو تكون هي بدورها قد أصابها الكساد. زد على ذلك ارتفاع تكلفة الشحن، والتأمين، والضرائب الجمركية والدعاية.

وهكذا. اما أن تنكفئ تلك الدول على نفسها وتتجرع مرارة الحرمان واما أن تقبل بقانون تقسيم العمل وأعراف التجارة الدولية، وتتعلق ببصيص من الأمل لرفع معدلات نموها، ولكن دون أن تدرك درجة الاكتفاء الذاتي العام، وتلتحق بمصاف الدول الصناعية الغنية أبداً، ودون أن تقضي بالتالي على مشكلة الفقر داخلياً.

ب - لا تملك تلك الدول أيضاً حرية التصرف المطلقة في عدد من القروض الخارجية التي تحصل عليها. فلا تمر تلك القروض دون تدخل الدائنين في مسار سياسة الدولة المدينة واختياراتها، مما يكون نافذة للتبعية والمساومة والخضوع للشروط المجحفة.

فالبنك الدولي - مثلاً - من شروطه للاقراض:

- ١ - أن تكون قروض البنك موجهة لمشروعات محددة.
- ٢ - أن تكون تلك المشروعات هي أصلح المشروعات.
- ٣ - تستخدم قروض البنك فقط في مواجهة مصروفات النقد الأجنبي للمشروعات.

وقد أدت تلك الشروط لدخول البنك في دراسات مستفيضة لاقتصاديات الدول الفقيرة التي تلجأ إليها للاقتراض، مما أدى لدخوله في نزاع مفتوح بعد ذلك مع تلك الدول، يؤدي في الغالب الى فرض نوع من السيطرة والتحكم - بحكم الحاجة - كما أن البنك لا يوقف تدخله بمجرد منح القرض بعد توفر شروطه، بل يستمر في الاشراف على كفيات صرف القرض، واستثماره، وتمويل شراء اللوازم الضرورية لذلك، بحجة ضمان امكانية تسديده في أجله.

وفي الأخير يعمد البنك في حالات كثيرة الى تقديم النصح والارشاد للدولة المقترضة لاتباع سياسة مالية معينة، قد لا تكون مقبولة لتلك الدولة^(١) مما يزيد في اضطراب أحوالها الاقتصادية،

١ - أنظر: فؤاد هاشم عوض. التجارة الخارجية والدخل القومي. ص: ٣٤٦ - ٣٤٨ مرجع سابق.

ويضعف مشكلة الفقر فيها. وليس ذلك الشأن خاصاً بالبنك الدولي، بل يشاطره فيه صندوق النقد الدولي أيضاً وقد تقدم التمثيل عن تدخل الأخير بمصر^(١) ونقتبس منه مايلي:

في احدى مراحل علاقة مصر بصندوق النقد الدولي عام ١٩٧٨م كانت مصر مدينة بـ (٨٠٠٠ مليون دولار). وقد علمت بتوجيهاته للخروج من أزمته، ولتقليل نسبة عجز موازنتها التجارية. فماذا كانت النتيجة؟

لقد أصبح دينها الخارجي بعد ذلك بثلاث سنوات فقط أكثر من ١٨٠٠٠ مليون دولار، أي زاد بأكثر من الضعفين، وهكذا - في أكثر الأحوال - أصبح الاقتراض الأجنبي مطية للتدخل الخارجي والسيطرة الأجنبية، مما يزيد في مضاعفة معاناة تلك الدول من التخلف والحرمان.

ج - لا تملك الدول الفقيرة كذلك القرار السياسي المستقل بنقل التقنية الحديثة اليها، أو حتى الاستفادة غير المشروطة منها، سواء بالدراسة النظرية أو بالتدريب العملي لأن الدول الصناعية - كما يتهمها المتخصصون -^(٢) تعارض نقل التقنية الى تلك الدول وترفض تصنيعها، لتعارض ذلك مع مصالحها السياسية والاقتصادية

بل ان الدول الصناعية تسعى لتعميق تخصص الدول الفقيرة في انتاج المواد الأولية، والاحتفاظ بها كسوق مفتوحة لترويج انتاجها

١ - أنظر ص: ١٧٨

٢ - أنظر: وجدي محمود حسين. العلاقات الاقتصادية الدولية ص: ٢٦٧
دارالجامعات المصرية الاسكندرية بدون.

الصناعي ، وهو الأمر الذي أدى من جهة أخرى الى ازدياد فقر أعداد كبيرة من سكان تلك الدول لما قضت - أو كادت تقضي - الصناعات الحديثة والمتطورة على صناعتهم الحرفية التقليدية فغدوا عاطلين أو شبه عاطلين عن العمل ، وتحولوا عبأ على دولهم بعد ما كانوا يسهمون في دخلها القومي اسهاماً وافراً.

وأيضاً فإن الدول الصناعية لا تيسر لأبناء الدول الفقيرة سوى العمل البعيد عن أسرار العمليات الصناعية، وذلك كلما تهيأ للمنحدرين من تلك الدول أن يلتحقوا بأقسام الشركات الصناعية الكبرى، والمصانع المتخصصة، والمختبرات المشهورة، ونحوها من المراكز الفنية الحديثة، فيقضون في أعمالهم ربما ما يزيد على عقدين، دون أن يدروا شيئاً عن جمع المعلومات والتصميم والادارة وخطط التدريب.

وبذلك لا يمكن لهم أن ينقلوا شيئاً ذا بال الى مواطنيهم،^(١) وفي الأخير نذكر انتصاب الشركات المتخصصة متعددة الجنسيات في عدد لا بأس من الدول الفقيرة، وهو مؤشر عن النظرة الاحتكارية التي ينظر بها الغرب الصناعي لتلك الدول فعوض أن يعينها في مشروعاتها التنموية الصناعية، ويأخذ بيدها في طريق اكتساب الخبرات التقنية، تجده يقطع عليها الطريق، وينصب في عقر دارها شركاته العالمية:

١ - أنظر: حسين عمر. التنمية والتخطيط الاقتصادي. ص: ٦١ الطبعة الثانية. دارالشروق. جده: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

تستنزف موادها الخام وتستغل يدها العاملة، وتبقى على فقرها التقني.

هكذا اذن تحكم آثار مشكلة الفقر الاجتماعية، والثقافية والاقتصادية، والسياسية طوق الفقر مجدداً على الدول الإسلامية فلا تجد لها منها فكاكاً مهما سلكت من سبل، ونهجت من خطط إلا اذا توجهت الى الاسلام.

قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً﴾^(١)

١ سورة طه الآية: ١٢٤

الباب الثاني
توجيهات الاسلام وأحكامه
في علاج مشكلة الفقر

الفقر في ميزان الاسلام

بعث رسول الله (ﷺ) البشرية تعاني من تخلف حضاري كبير على جميع الأصعدة، فجاءها بالهدى من عند ربها تعالى يهديها الى معالجة أدوائها، ويقودها الى الحياة الكريمة حساً ومعنى، جاء الإسلام منظماً لسائر أوجه الحياة الانسانية دون استثناء بجانب دون آخر، فلم يهمل الجانب الاقتصادي على حساب الجانب العقدي، ولا الجانب الاجتماعي على حساب الجانب العبادي، ولا غيرها على حساب أخرى، بل يرد جميعها الى الله للاستمداد منه التوجيه الحكيم. يقول جل وعلا:

﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾^(١)

ويقول سبحانه:

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾^(٢)

وفي هذا الاطار الشمولي الرباني يتنزل نظام الاسلام الاقتصادي وعلى وجه التحديد علاجه لمشكلة الفقر وباستعراض النصوص القرآنية والحديثية نتبين أن صفة الفقر تلزم الانسان كلما تفاوت عن غيره في امتلاك الماديات والأدبيات.

لكن شقاً من ذلك التفاوت قد اعترف به الاسلام وأقره،

١ - سورة الأعراف. الآية: ٥٤

٢ - سورة الأنعام. الآية: ٣٨

وجعله سنة جارية بين خلقه لا تبديل لها ولا تحويل، فسيبقى الأقل
مثلاً - ولو كان غنياً - ممن هو أكثر منه أموالاً فقيراً.^(١)
وليس بالضرورة أن يكون الفقر حينئذ مشكلة أو مذموماً قال
تعالى ﴿أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً
سخرياً﴾.^(٢)

وينسحب وصف الفقر كلما كان هناك أي نوع من أنواع
التفاوت الحسي أو المعنوي بين الناس وليس بالضرورة أن يكون الفقر
حينئذ مشكلة أو مذموماً أما بينهم وبين الخالق سبحانه فالفقر لهم أمر
ذاتي لا ينفكون عنه أبداً.

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد﴾^(٣)

وقال تعالى:

﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء﴾^(٤)
أما الشق الآخر وهو التفاوت في ضرورات المعيشة، فلم
يسكت عنه الاسلام بل حفلت الآيات والأحاديث بوصف ضوابطه
العلاجية العامة، وبعض جزئياتها الثابتة، وقد حد له الفقهاء حداً
يصير من لم يتجاوزه فقيراً مستحقاً لمصرف الزكاة، وان لم تف بالحاجة

١ - راجع: عبدالكريم الخطيب. السياسة المالية في الاسلام. ص: ٣٠.

٢ - سورة الزخرف. الآية: ٣٢

٣ - سورة فاطر. الآية: ١٥

٤ - سورة محمد. الآية: ٣٨

فمن أموال اخوانه الخاصة تكافلاً منهم وذلك الحد هو: (. وجود ما تحصل به الكفاية على الدوام من كسب أو تجارة أو عقار أو نحو ذلك ولو ملك (الانسان) من العروض أو الحبوب، أو السائمة أو العقار ما لا تحصل الكفاية لم يكن غنياً وان ملك نصاباً).^(١)
 فهل مدح الاسلام الفقر على تلك الصورة أم ذمه؟
 وما الذي اتخذ له علاج أسبابه وتلافي آثاره؟

أ - دلت دعوة الاسلام الى الانفاق الواجب أو التطوعي على الفقراء على أن تلك الصفة المتلبسة بهم - وهي الفقر - غير ممدوحة ولا مرغوبة، بل المطلوب ازالتها أو التخفيف من حدتها على الأقل.
 قال تعالى:

﴿فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾^(٢)

﴿وان تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾^(٣)

﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين. الآية﴾^(٤)

وربما نستطيع أن نقول ان الاسلام قد تجاوز تلك المرحلة الى ذم الفقر صراحة، والتعوذ بالله تعالى منه على العموم:

١ - ذلك الظاهر من مذهب الامام أحمد بن حنبل. راجع: موفق الدين عبدالله ابن أحمد بن محمد بن قدامه: المغني. ويلية الشرح الكبير. الجزء الثاني. ص: ٥٢٣.

٢ - سورة الحج. الآية: ٢٨

٣ - سورة البقرة. الآية: ٢٧١

٤ - سورة التوبة الآية: ٦٠

فهو قد جعله من موعدة الشيطان الرجيم قال تعالى:
﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾^(١)

وقرنه بالكفر:

قال (ﷺ) «اللهم ان أعوذ بك من الكفر والفقر .»^(٢)
جعله من مظاهر الابتلاء:

قال (ﷺ) في حديث أي الناس أشد بلاء؟ (. ثم الصالحون، ان
كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها .)^(٣)
جعله عقوبة الهية:

قال تعالى:

ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم
يذكرون^(٤)

﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً
من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
كانوا يصنعون﴾.^(٥)

١ - سورة البقرة. الآية: ٢٦٨ .

٢ - رواه النسائي . أبو عبد الرحمن بن شعيب النسائي . سنن النسائي بشرح
جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي . الجزء الثامن . ص؛
٢٦٢ . كتاب الاستعاذة . باب الاستعاذة من الفقر .

٣ - رواه ابن ماجه . محمد بن يزيد بن ماجه القزويني . سنن ابن ماجه . تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي الجزء الثاني ص: ١٣٣٥ ح ٤٠٢٤ كتاب الفتن .
باب الصبر على البلاء .

٤ - سورة الأعراف . الآية: ١٣٠

٥ - سورة النحل . الآية: ١١٢

كل ذلك يدفعنا الى اعتبار الفقر صفة مذمومة لكن دون أن تستلزم ذم صاحبها على الاطلاق، فقد يكون الفقر مراداً من المولى سبحانه لمصلحة خاصة كمنع بعض الأفراد من الطغيان والفساد. أما ما ورد في مدح الفقر فهو إما ضعيف أو محمول على غير ظاهره.

فحديث «اللهم أحييني مسكيناً وأميتني مسكيناً»^(١) ضعيف، وعلى تقدير ثبوته فالمراد به ألا يجاوز به الكفاف.^(٢) وقوله (ﷺ) في الصحيح «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء..»^(٣)

«لا يوجب فضل الفقير على الغني وإنما معناه ان الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء فأخبر عن ذلك - كما تقول أكثر أهل الدنيا الفقراء - أخباراً عن الحال وليس الفقر أدخلهم الجنة وإنما دخلوا بصلاحتهم مع الفقر، فإن الفقير اذا لم يكن صالحاً لا يفضل»^(٤).

١ - رواه الترمذي . أبويعلي محمد عبدالرحمن المباركفوري . تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان الجزء السابع ص: ١٩ ح ٢٤٥٧

٢ - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . فتح الباري لشرح صحيح الامام البخاري . الجزء الحادي عشر ص: ٢٧٤

٣ - رواه البخاري . أحمد بن علي بن حجر . فتح الباري . الجزء الحادي عشر ص: ٢٧٣ ح ٦٤٤٩ كتاب الرقاق باب فضل الفقر

٤ - المصدر نفسه . الجزء الحادي عشر . ص: ٢٧٩

اذن فالفقر ليس ممدوحاً على الاطلاق كما ان الغنى ليس مذموماً بإطلاق، وانما يمدحان او يذمان بحسب ما يعرض لصاحبيهما من الصبر والشكر، والتوكل، ولكن دون تعمد البطالة المؤدية الى الفقر وترك الأخذ بأسباب المعيشة الكريمة قصداً وايضاً دون التشبث بأسباب الغنى الحرام، أو المؤدية الى الترف والسفه ان التوسط هو مراد الاسلام لا محالة، لكن نعم المال الصالح للرجل الصالح ^(١)

ب - أما ما وضعه الاسلام من أسباب علاجية مباشرة لمشكلة الفقر، فيطول شرحها ونقتصر على ذكر رؤوسها في هذا المدخل، أملاً في تناولها بالتفصيل في الفصول القرية التالية. ^(٢)

فمن تلك الأسباب:

- ١ - الحث على الاكتساب.
- ٢ - النهي عن التواكل والكسل والمسألة
- ٣ - فتح ضروب واسعة للاكتساب.
- ٤ - وجوب انفاق بعض المال الخاص، بمقادير وشروط معلومة، وفي أوجه محدودة في مقدمتها ﴿للفقراء والمساكين﴾.
- ٥ - أناط بولي أمر المسلمين الاجتهاد في صرف بعض أموال بيوت المال حسب المصالح المقدرة ومنها سد خلة من لا يملكون كفايتهم من ضرورات العيش.

١ - رواه مسلم.

٢ - الفصول هي: الاسلام والاكتساب ص: ٢٠٨ الاسلام والانفاق ص:

٢٤٦ الاسلام والتكافل ص: ٣٠٢

٦ - حض الناس على التكافل فيما بينهم تطوعاً من عند أنفسهم .
٧ - اذا عجز بيت المال ، واستنفد ما هو أيسر من السبل - فلولي الأمر
أن يوظف نسباً من فضل أموال الأغنياء فيصرفها للفقراء .
وهكذا لم يقدر الاسلام الفقر، ولم يجعل اتباعه عشاق فقر
وبؤس وانما أوكل اليهم عمارة الأرض ، وأمرهم أن يكونوا في أعلى
مستوى من القوة المادية والمعنوية

الفصل الأول

الاسلام والاكتساب

المبحث الأول

قيمة الاكتساب في الاسلام

أولاً: تعريف الإكتساب:

الاكتساب من كسبت شيئاً واكتسبته^(١) وهو يدل على ابتغاء وطلب واصابة.^(٢)

ومنه قوله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله وما كسب﴾^(٣)
«والكسب ما يتحراه الانسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ككسب المال». ^(٤) فالقصد بالاكتساب هنا العمل المباح النافع للمسلم وعياله.

ثانياً: حث الاسلام على الاكتساب:

ان أهم شيء تقوم عليه هذه الحياة هو العمل، فلا يمكن أن تقوم حياة بغير عمل، كما لا يمكن أن تنتظم حياة بدون عمل طيب

١ - اسماعيل بن حماد الجوهري تاج اللغة وصحاح العربية. مادة الكسب.

٢ - أحمد بن فارس القزويني. معجم مقاييس اللغة. مادة كسب.

٣ - سورة المسد. الآية: ٢

٤ - أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني. المفردات في

غريب القرآن ص: ٤٣٠.

متقن، ومن أجل ذلك خلق الله الانسان وفي طبيعته حب العمل والسعي، لكي يعيش ويعمر الأرض ويستغل خيراتها ويستخرج كنوزها، ومكوناتها، ومع حب الانسان للعمل والسعي بطبيعته ألا أن هناك أيضاً فيه حب الخلود للراحة والبعد عن عناء العمل.

ولقد جاء الاسلام من عند الحكيم الخبير بتشريعاته وتوجيهاته التي تضع الحوافز لكل عمل خير يباشره الانسان مهما يكن صغيراً، ونفضل العمل مهما يكن شأنه على البطالة والكسل والعيش عالة على حساب الآخرين.

ولو نظرنا نظرة عميقة للنصوص الشرعية التي تحكم سير الناس وتنظم حياتهم لوجدنا أن الاسلام لا يفرق بين عبادة خالصة كالصلاة وبين عمل للحياة وكسب العيش من حيث تقرير ثواب عليه، فكل عمل طيب متقن يقوم به انسان سواء كان خاصاً بالعبادة الخالصة ام كان عبادة عن طريق كسب العيش واثراء الحياة بالانتاج يضع الله النتائج الطبيعية له في الدنيا ويضع أمامنا الجزاء عليه في الآخرة كحافز يحمل الانسان على اجادة عمله واتقانه واخلاص النية فيه مهما يكن نوع هذا العمل ومجاله. ولهذا نجد آيات القرآن الكريم لا تفرق بين العقيدة السليمة في الله وبين العمل الصالح وتضع الجزاء عليهما معاً جزءاً واحداً:

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾. (١)

١ - سورة الكهف. الآية: ٣٠.

والعمل الصالح كما يعني كل عمل صالح في العبادة يعني ايضاً كل عمل صالح في كل مجالات الحياة كالزراعة أو الصناعة أو غيرهما، ومع الايمان والعمل الصالح وعد من الله تعالى بحسن النتائج في الدنيا، أما في الآخرة فقد قال تعالى عقب ذلك مباشرة^(١) ﴿أولئك لهم جنات تجري من تحتهم الأنهار﴾^(٢)

والعمل هو الطريق المشروع للاكتساب لذا فقد حث الاسلام على الاكتساب وشجع عليه، ويتجلى ذلك في ما حفلت به مصادره الشرعية من نصوص:

أ - القرآن:

جاء في كتاب الله تعالى آيات كثيرة تحث على الاكتساب وترغب فيه منها قوله تعالى:

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾^(٣).

وقوله تعالى:

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه

١ سورة الكهف. الآية: ٣١

٢ أنظر: عبدالمنعم النمر الى الشباب في الدين والحياة ص؛ ٧٠ - ٧٢
سلسلة البحوث الاسلامية العدد ٧٦ رمضان ١٣٩٤هـ.

٣ - سورة الجمعة. الآية: ١٠

واليه النشور ﴿١﴾

وقوله تعالى:

﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾. (٢)

وقوله تعالى:

﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ (٣)

والاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى يدل على

الوجوب. (٤)

وقوله تعالى:

﴿وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون*

ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون﴾ (٥)

وقوله تعالى:

﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فإذا أفضيتم من

عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم

من قبله لمن الضالين﴾. (٦)

١ - سورة الملك. الآية: ١٥

٢ - سورة المزمل. الآية: ٢٠

٣ - سورة هود. الآية: ٦١

٤ - محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي الجامع لأحكام القرآن. الجزء التاسع.

ص: ٥٦.

٥ - سورة يس. الأيتان: ٣٤، ٣٥.

٦ - سورة البقرة. الآية: ١٩٨

وجاء في سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس^(١) رضي الله عنهما

قال:

«كانت عكاظ^(٢) ومجنة^(٣) وذوالمجاز^(٤) أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت:

﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ في مواسم الحج، قرأ ابن عباس كذا^(٥) وقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾^(٦)

١ - ابن عباس. هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ابن عم الرسول عليه الصلاة والسلام، ولد بالشعب بمكة، كانت سنة ١٣ سنة لما توفي الرسول (ﷺ)، كان طلابه للعلم بحراً ترجحاً للقرآن روى ١٦٦٠ حديثاً. توفي بالطائف سنة ٦٨هـ. أنظر: ابن حجر الإصابة الجزء الرابع ص: ١٤١

٢ - عكاظ. أعظم أسواق العرب في الجاهلية. وهو بين مكة والطائف وإلى الأخيرة أقرب. يستمر عشرين يوماً من أول ذي القعدة. أنظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان. الجزء الخامس. ص: ٥٩.

٣ - مجنة سوق للعرب كان في الجاهلية بمر الظهران بأسفل مكة. أنظر: المصدر نفسه

٤ - ذوالمجاز سوق خلف عرفة على فرسخ منها. كانت تقوم فيه العرب ثمانية أيام في الجاهلية من أول ذي الحجة أنظر: المصدر نفسه الجزء الخامس. ص: ٥٥.

٥ - رواه البخاري. ابن حجر فتح الباري. بشرح صحيح الامام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري. الجزء الثامن. ص: ١٨٦ ح ٤٥١٩ كتاب التفسير. باب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم. مرجع سابق.

٦ - سورة البقرة. الآية: ٢٦٧

قال الطبري: «يعني بذلك جل ثناؤه: زكوا من طيبات ما كسبتم بتصرفكم إما بتجارة وإما بصناعة من الذهب والفضة»^(١) والآيات الحاضرة على العمل والكسب كثيرة.

ب - السنة:

لقد حث بدورها كذلك على الاكتساب وأشادت به ومن ذلك: قوله (ﷺ) «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»^(٢).

وقد سئل (ﷺ) أي الكسب أطيب؟ فقال:

«عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»^(٣).

وقد بَوَّب البخاري^(٤) في صحيحه^(٥) لطائفة من تلك الأحاديث فقال:

١ - محمد بن جرير الطبري. جامع البيان في تأويل آي القرآن. الجزء الثالث. ص: ٨٠.

٢ - رواه البخاري. ابن حجر فتح الباري الجزء الرابع. ص: ٣٠٣ ح ٢٠٧٢ كتاب البيوع. باب كسب الرجل من عمل يده. مرجع سابق.

٣ - رواه الحاكم. أبو عبدالله الحاكم النيسابوري. المستدرک على الصحيحين. الجزء الثاني. ص: ١٠ كتاب البيوع.

٤ - هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم أبو عبدالله الجعفي البخاري أمير المؤمنين في الحديث ١٩٤ - ٢٥٦هـ لهم حفظ الحديث كما قال عن نفسه فعنى به عناية فائقة حفظاً ورحلة وتأليفاً، له الصحيح، والتاريخ الكبير وغيرهما: راجع: أحمد بن حجر هدي الساري مقدمة فتح الباري. ص: ٤٧٧. ٤٩٣.

٥ - الجامع الصحيح المسند من حديث الرسول (ﷺ) وسننه وأيامه

باب كسب الرجل وعمله بيده. (١)

ج - مقاصد الشريعة:

يمكن أن نضيف الى نصوص الكتاب والسنة السالفة ما استنبطه العلماء من مقاصد الشريعة الاسلامية حيث أن المتأمل في مقاصدها يرى حرصها الأكيد على بناء الانسان المكتسب المكتفى باكتسابه، كما يرى تحريضها على بذل الجهد في تحصيل الرزق والتعب فيه، وتتجلى هذه المقاصد من خلال النقاط التالية:

- عد الاسلام القيام بالحاجات والصنائع التي تحتاجها الأمة من فروض الكفاية، لأن قيام الدنيا بتلك الأسباب، وقيام الدين يتوقف على أمر الدنيا، فلو امتنع الخلق منها وتركوها أثموا، وكانوا ساعين في اهلاك أنفسهم. (٢)

- ان هدف الاسلام هو تكوين مجتمع يتمتع باقتصاد قوي ولا يتم ذلك إلا بالاكتساب والسعي في تحصيل الأرزاق وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. (٣)

١ - أحمد بن حجر فتح الباري . الجزء الرابع . ص: ٣٠٣ كتاب البيوع . الباب الخامس عشر مرجع سابق .

٢ - راجع: أبوالبقاء محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي . شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير . في أصول فقه السادة الحنابلة تحقيق محمد حامد الفقي . ص: ١١٦ ١١٧

٣ - هذه قاعدة من قواعد أصول الفقه: أنظر: أبوالحسن علي بن محمد الأمدي . الإحكام في أصول الأحكام . الجزء الأول . ص: ١٥٢ أبوالحسن علاء الدين ابن اللحام . القواعد والفوائد الأصولية ص: ٩٤

- النهي عن اضاءة المال المكتسب^(١) فمن مقاصد الشريعة الكلية^(٢) المحافظة على المال ومن المحافظة عليه تنميته واستثماره.
- لا يمكن أن تستمر ايرادات الزكاة وتزداد إلا بالاكتساب فإذا قعد المسلم القادر على ذلك نقصت حصيلة الزكاة، مما يؤدي الى الاضرار بالفئات التي تصرف لها الزكاة، وفي مقدمتهم الفقراء.
- إن الزكاة واجبة في المال اذا بلغ النصاب مع توافر الشروط الأخرى^(٣) وفي ذلك حث للمالك على الاكتساب بأن يستغل أمواله ويستثمرها.

د - عند علماء الاسلام:

قال محمد بن الحسن الشيباني^(٤) في كتابه «الاكتساب في الرزق

١ - في الحديث. ان الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال. رواه البخاري. ابن حجر: فتح الباري الجزء الثالث ص: ٣٤٠ ح ١٤٧٧ كتاب الزكاة باب قول الله تعالى ﴿لا يسألون الناس الحافاً﴾. مرجع سابق.

٢ - المقاصد الكلية للشريعة هي: حفظ الدين، والنفس والمال، والعرض والنسل. أنظر: أبو اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبي. الموافقات الجزء الأول. ص: ١٠

٣ - كما سيأتي في الفصل الثاني. ص: ٢٤٦ - ٣٠١

٤ - محمد بن الحسن الشيباني. فقيه مجتهد محدث، ولد بواسط حوالي ١٣٥هـ، ونشأ بالكوفة جالس أباحنيفة النعمان سنين. وتفقه على أبي يوسف. تولى قضاء الرقة، وتوفي بالري عام ١٨٩هـ. له الجامع الصغير. الاحتجاج على مالك. أنظر: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. الجزء الثاني. ص: ١٧٢

- ١٨٢

المستطاب» (الكسب مباح على الاطلاق . بل هو فرض عند الحاجة) .

وقال أيضاً: المذهب عند جمهور الفقهاء من أهل السنة والجماعة أن الكسب بقدر ما لا بد منه فريضة «وقال في مكان آخر .» ثم الكسب على مراتب: فمقدار ما لا بد لكل أحد منه، يعني ما يقيم به صلبه يفترض على كل أحد اكتسابه عيناً لأنه لا يتوصل الى اقامة الفرائض إلا به، وما يتوصل به الى اقامة الفرائض يكون فرضاً.^(١)

وقال القابسي^(٢) في الحاوي القدسي . كسب الحلال بقدر الكفاية من الفرائض . والكسب أنواع: بقدر الكفاية لنفسه وعياله وقضاء ديونه وهو مفروض، ولمواساة الفقراء ومجازاة الاحسان وصلة الأرحام وهو مستحب، وأنه أفضل من التخلي لنوافل العبادات البدنية، كالصلاة والصوم والحج، وللتجميل والتزين لاظهار نعم الله عليه وهو مباح.^(٣)

وقال الغزالي^(٤): ان الله تعالى أمر بالإتفاق على العيال من

١ - محمد بن الحسن الشيباني . الاكتساب في الرزق المستطاب . ص: ١٨ و ٢٤

و ٣٢

٢ القابسي . أحمد بن محمد بن نوح الغزنوي الحنفي . فقيه تولى القضاء وتوفي في حدود ٦٠٠هـ . له الحاوي القدسي في فروع الفقه الحنفي . أنظر: حاجي خليف . كشف الظنون ص: ٦٢٧

٣ - الحاوي القدسي ص: ١٥٩ - ١٦٠ عن عبد السلام العبادي . الملكية في

الشرعية الاسلامية . ص: ٢٢

٤ الغزالي . أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي . حجة الاسلام المشهور ولد ٤٥٠ بطوس بخراسان، ارتحل في طلب العلم . ودرس بنظامية =

الزوجات والأولاد والمعتدات، ولا يتمكن من الانفاق عليهم إلا بتحصيل المال بالكسب، وما يتوصل به الى أداء الواجب يكون واجباً.^(١)

وفي الروض النضير: التكسب للنفس والأولاد من أهم الواجبات وان الله تعالى استغنى بما ركب فينا من حب المال والحرص عليه من التصريح بإيجابه كإيجاب الصلاة والحج والزكاة، وذلك لما في تحصيله من التحرز عن أذية الناس بالسؤال وتحمل متهم التي هي من أعظم المحظورات ولما في جمع المال من حفظ الورع عن أموال الناس.^(٢)

هذا وقد حث الاسلام على تعاطي طرق الكسب الحلال.
ومن تلك الطرق:

أ - الفلاحة:^(٣)

وهي الحراثة

وقد حث على ممارستها النبي (ﷺ) بقوله:

= بغداد، أقبل على العبادة والسياحة توفي ببلده عام ٥٠٥هـ. له تصانيف

كثيرة منها: احياء علوم الدين، الوجيز المستصفي. أنظر: عبدالحى بن

العماد الحنبلي. شذرات الذهب. الجزء الرابع ص: ١٠ - ٣٠.

١ - احياء علوم الدين. الجزء الثاني. ص: ٧٨ ٧٩

٢ - الحسين بن أحمد السياغي الحيمي. الروض النضير شرح مجموع الفقه

الكبير الجزء الثالث ص: ٢٠٧ - ٢٠٨

٣ - اسماعيل الجوهري. الصحاح. مادة فلح. مرجع سابق.

ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه انسان أو دابة إلا كان له صدقة. (١)

وتشجيعاً للناس على زراعة الأرض وفلاحتها جعلت شريعة الاسلام من يحيا أرضاً لا تنتج زرعاً مالكاً لها، لقوله (ﷺ):
«من أحيا أرضاً فهي له». (٢)

ب - التجارة:

وقد عنون لها الفقهاء في كتبهم بالبيع، والبيع كما عرفه صاحب زاد المستنقع هو «مبادلة مال ولو في الذمة، أو منفعة مباحة كتمر بمثل أحدهما على التأيد غير ربا وقرض». (٣)
وقال ابن خلدون في تعريف التجارة: هي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء. (٤)
وقد أشاد النبي (ﷺ) بالتاجر المسلم المكتسب حيث قال:

١ - رواه البخاري. ابن حجر. فتح الباري. الجزء العاشر ص: ٤٣٨. ح ٦٠١٢ كتاب الأدب. باب رحمة الناس والبهايم. مرجع سابق.

٢ - رواه الترمذي. أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي المعافري عارضة الأحوذني. الجزء السادس ص: ١٤٩ أبواب الأحكام باب ما ذكر في احياء ارض الموت. وقال حسن صحيح.

٣ - عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي. حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع. لموسى بن أحمد الحجاوي. الجزء الرابع ص: ٤٢٦ - ٤٢٧

٤ - عبدالرحمن بن خلدون. المقدمة ص: ٣٩٤.

«التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء»^(١).

ج - الصناعة:

وهي عمل الشيء صنعاً^(٢).

ومنه قوله تعالى:

﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم﴾^(٣)

وقد حث الاسلام على تعاطي الصناعة وتنمية المهارات فيها. فقال سبحانه في صناعة السفن: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾^(٤) وقال في صناعة الكساء: ﴿أن اعمل سابغات وقدر في السرد﴾^(٥)

ومعنى سرد الدروع احكامها، وان يكون نظام حلقها ولاء غير

مختلف^(٦)

١ - رواه الترمذي . أبوبكر بن العربي . عارضة الأحوذى . الجزء الخامس . ص :

٢١٣ أبواب البيوع . باب ما جاء في التجار وتسمية النبي (ﷺ) ايهم .

وقال حسن مرجع سابق .

٢ - أحمد بن فارس . معجم مقاييس اللغة مادة صنع مرجع سابق .

٣ - سورة الأنبياء . الآية : ٨٠ .

٤ - سورة هود . الآية : ٣٧

٥ - سورة سبأ . الآية : ١١

٦ - محمد بن علي الشوكاني . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم

التفسير . الجزء الرابع ص : ٣١٦

ان الاسلام جعل للعامل حقوقاً تصونه وترعاه وتشجعه على
 الاكتساب والمثابرة عليه، حيث قال (ﷺ) قال الله تعالى «ثلاثة أنا
 خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل
 ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»^(١)
 وقال (ﷺ): «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»^(٢)
 ومن العوامل التي تحث المسلم على الاكتساب انتقال مكتسباته
 بعد وفاته الى ذريته وأقاربه^(٣) وبذلك يسهم بعد موته في غناهم وسد
 حاجاتهم ويكون لهم قدوة حسنة في الانطلاق الى الكسب والعمل
 وتحصيل الرزق الحلال ولو تركه بعده لورثته.

وكل ذلك يؤكد حرص الشريعة الاسلامية على بيان أهمية
 الاكتساب، والحث عليه، والترغيب فيه رغم صعوبته، قال ابن
 عبدالسلام فالمصالح الخالصة عزيزة الوجود، فإن المآكل والمشرب
 والملابس والمناخ، والمرائب، والمسكن لا تحصل الا بنصب مقترن
 بها، أو سابق، أو لاحق. وأن السعي في تحصيل هذه الأشياء، كلها

١ - رواه البخاري. ابن حجر فتح الباري. الجزء الرابع. ص: ٤٧٧ ح

٢٢٧٠، كتاب الاجارة باب اثم من منع أجر الأجير مرجع سابق.

٢ - رواه ابن ماجه محمد بن يزيد بن ماجه القزويني. سنن ابن ماجه. الجزء

الثاني ص: ٨١٧ ح ٢٤٤٣ كتاب الرهون باب أجور الأجراء. وقال: محمد

ناصر الدين الألباني. صحيح: الجامع الصغير وزيادته الجزء الأول ص:

٣٤٩ حسن.

٣ - لقوله (ﷺ) «فأیما مؤمن مات وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا..» رواه

البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الخامس ص: ٦١ ح ٢٣٩٩

كتاب الاستقراض. باب الصلاة على من ترك ديناً. (مرجع سابق.

شاق على معظم الخلق لا ينال الآ بكد وتعب^(١) والاسلام في حثه على الاكتساب ينطلق من المقصد العام للشريعة.

وهو حفظ نظام الأمة واستدامة صلاحه بصلاح المهيمس عليه وهو نوع الانسان ويشمل صلاح عقله، وصلاح عمله وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه^(٢)

د - الإجابة عن بعض النصوص المتعارضة ظاهراً:

تبينا أن الاسلام قد حث على الاكتساب ورغب فيه، غير أن هذا التقرير يرد عليه ما جاء في بعض الأحاديث التي ظاهرها يعارض بعض النصوص المتقدمة وسأحاول هنا ذكرها والاجابة عنها.

١ - ما جاء ظاهره يذم الفلاحة:

عن أبي امامة الباهلي^(٣) رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) رأى سكة^(٤) وشيئاً من آلة الحرث فقال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل

١ عزالدين بن عبدالسلام. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. الجزء الأول ص: ٧

٢ - محمد الطاهر بن عاشور. مقاصد الشريعة الاسلامية ص: ٦٣

٣ - أبو امامة الباهلي. صدي بن عجلان. صحابي. شهد حجة الوداع. سكن الشام وتوفي بها عام ٨٦هـ. أنظر: أحمد بن حجر تهذيب التهذيب الجزء الرابع ص: ٢٠ أحمد بن حجر الاصابة الجزء الخامس ص: ٣٣ مرجع سابق.

٤ - السكة: الحديدية التي يحرث بها الأرض. جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفيقي. لسان العرب. مادة سكك.

هذا بيت قوم الآ أدخله الله الذل». (١)

يجاب عن هذا الحديث بأن المقصود هو الاستكثار وتجاوز الحد الذي أمر به كما ذكر ذلك البخاري في صحيحه وترجم عليه «باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع أو تجاوز الحد الذي أمر به». (٢) وقال الداودي:

«هذا لمن يقرب من العدو فإنه إذا اشتغل بالحرث لا يشتغل بالفروسية ويتأسد عليه العدو، وأما غيرهم فالغرس محمود لهم. ومن هو بالثغور المتقاربة للعدو لا يشتغل بالحرث، فعلى المسلمين أن يمدوهم بما يحتاجون إليه» (٣)

وهكذا. إذا أقبل المسلمون على الزراعة شغلوا عن العدو، وفي ترك جهاده ذل. (٤)

٢ - ما جاء في التجارة:
قال تعالى:

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾. (٥)

١ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الخامس ص: ٤ ح ٣٢٣١ كتاب الحرث والمزارعة. باب ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع أو مجاوزة الحد الذي أمر به. مرجع سابق.

٢ المصدر نفسه. وانظر عبدالرحمن بن خلدون. المقدمة ص: ٣٩٤. مرجع سابق.

٣ - بدرالدين محمود بن أحمد العيني. عمدة القاري لشرح صحيح البخاري الجزء الثاني عشر ص: ١٥٦-١٥٧

٤ - أنظر: المصدر نفسه

٥ - سورة الجمعة الآية: ١١

والواضح أنه لا تعارض في ذلك مع الحث على التجارة:
فالتاجر المذموم هو الذي ينصرف الى التجارة ويترك العبادة، فالبيع
محرم بعد آذان الجمعة.^(١)

والتاجر المذموم كما في حديثه (ﷺ) «ان التجار يبعثون يوم
القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق»^(٢)

هو الذي لا يتقي الله في تجارته، ولا يصدق أما التاجر البار
فسأنه كالتاجر القائل في الحديث: «اني ابيع الناس في الدنيا
وأجازيهم، فأنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة».^(٣)

وبذلك يندفع التعارض ويتم الجمع، وتحتفظ الدعوة الى
العمل والاكْتساب بأصالتها في الشريعة الإسلامية، لتحقق للفرد
والمجتمع الاحتياجات الضرورية وما يتبعها مما تستقيم به الحياة
الاجتماعية وتنهأ.

١ - أنظر: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم . حاشية الروض المربع . الجزء الرابع
ص: ٣٧١ . مرجع سابق .

٢ رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح . أبوبكر بن العربي . عارضة
الأحوذي الجزء الخامس ص: ٢١٤ أبواب البيوع باب ما جاء في التجارة
وتسمية النبي (ﷺ) اياهم . مرجع سابق .

٣ - رواه البخاري . أحمد بن حجر فتح الباري الجزء السادس ص ٤٩٤ ح
٣٤٥١ كتاب أحاديث الأنبياء . باب ما ذكر عن بني اسرائيل . مرجع
سابق .

ثالثاً: قيمة الاكتساب:

أ - قيمته الفردية:

إن للاكتساب قيمة كبيرة على مستوى الفرد المكتسب وذلك من حيث:

١ - انه عمل صالح يثاب عليه والاحساس بذلك من شأنه أن يولد في المسلم دفعا قويا للعمل والانتاج.

٢ - انه تحقيق للخلافة في الأرض، والتي من متطلباتها السعي في الأرض وإعمارها والاستفادة من خيراتها

قال تعالى: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾^(١)، وقال ابن خلدون: «يد الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف»^(٢).

٣ - ان السعي للتمتع بما أباح الله التمتع به من الثمرات مطلوب ومرغوب فيه.

قال الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾^(٣) وقال أيضاً:
﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾^(٤).

١ - سورة الأنعام. الآية: ١٦٥

٢ - ابن خلدون. المقدمة ص: ٣٨٠ مرجع سابق.

٣ - سورة البقرة. الآية: ١٧٢

٤ - سورة الأعراف. الآية: ٣٢

ب - قيمته الاجتماعية:

ان الاكتساب لا يقتصر دوره الايجابي على الصعيد الفردي فحسب بل يتعداه الى المستوى الاجتماعي وذلك باعتبار:

- ١ - ان الاسلام حين يخاطب الفرد بأحكام التكليف لا ينزع به نحو التفرد والانعزال المقيت المؤدي الى الأثرة. بل يوجه أحاسيسه وتفكيره وتدييره «اكتسابه» نحو الجماعة التي يعيش فيها، لتم العلاقة التبادلية بينه وبينها بما يحقق الخير للجميع^(١)
- ٢ - ان استخلاف الله للانسان عام في بني البشر ولا يختص بفريق ومن ثم فهم مخاطبون جميعاً بالندب الى الاكتساب.

٣ - ان العمال في نظر الاسلام ليسوا فقط أولئك الموظفين المعدودين، بل ان المجتمع بأكمله خلية عاملة تسعى للاكتساب وتجد فيه، فقد دخل أبو مسلم الخولاني^(٢) على معاوية بن أبي سفيان. فقال: فقال: السلام عليك أيها الأجير. فقالوا: قل أيها الأمير. فقال: فقال: السلام عليك أيها الأجير فقالوا: قل: الأمير فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول فقال؛ انما أنت أجير استأجرك

١ - أبو مسلم الخولاني. عبدالله بن ثوب. رحل يطلب النبي (ﷺ) فمات عليه الصلاة والسلام قبل أن يدركه، من كبار التابعين وأحد النساك العباد. أحمد بن حجر تهذيب التهذيب الجزء الثاني عشر ص: ٢٣٥ مرجع سابق.

٢ معاوية بن أبي سفيان. صخر بن حرب بن أمية أمير المؤمنين. ولد قبل البعثة بخمس. أسلم عام الفتح وتوفي سنة ٦٠هـ. أحمد بن حجر الإصابة الجزء التاسع ص: ٢٣١ مرجع سابق.

٣ - عبدالرحمن بن خلدون. المقدمة ص: ٣٨. مرجع سابق.

رب هذه الغنم لرعايتها، فإن أنت هنأت^(١) جرباها^(٢) وداويت مرضاها، وحبست أولاها على أخراها وفأك سيدك أجرك، وإن أنت لم تهناً جرباها، ولم تداو مرضاها، ولم تحبس أولاها على أخراها عاقبك سيدها.^(٣)

وقد تأصل حب العمل عند المسلمين، الرعاة منهم والدعاة والعامّة حتى أنهم صاروا لا يجدون غضاضة في اكتساب حاجتهم وحاجة عيالهم من الأعمال اليدوية المباحة التي تبدو صغيرة ووضيعة، وفوق ذلك لم يتخرج الكثيرون منهم أن تصبح مسميات مهتهم كصناعة القدور، وخصف النعال، أسماء شهرة لهم.^(٤)

المبحث الثاني

النهي عن التواكل والكسل والمسألة

لقد أناط الاسلام مدارج الارتقاء المادي والروحي بالعمل المخلص سواء بشعائر العبادة أو بالضرب في الأرض. فلم يأل في

١ - هنا يهتؤ الابل. طلاها بالهاء. وهو القطران. مجد الدين محمد بن يعقوب

الفيروز آبادي. القاموس المحيط. مادة هني

٢ - الجرب. هو المرض المشهور يصيب الإبل فيحدث لها بثوراً على سطح الجلد. أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي. المصباح المنير. مادة جرب.

٣ - أحمد بن عبدالحليم بن تيمية. السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية

صفحة ١٢

٤ - أنظر: لبيب السعيد. دراسة اسلامية في العمل والعمال. ص: ١٨

الحث على القيام بالأعمال المتقنة بالمديح والوعد والاثابة ومضاعفة
الجزاء، والتكفير عن النسيان والخطأ. في آيات كثيرة منها قوله
تعالى:

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من
رزقه﴾^(١)

وذلك يحمل دلالة عظيمة على وجوب السعي والبحث عن
الرزق وعدم الاستسلام للتواكل والكسل والمسألة واضرابها من
صنوف البطالة، ان هذا الدين جاء بمفهوم جديد يقرر أن الكسب
بالمجهود الذاتي أمر مشرف، ولا ينبغي أن يهمل، وأن التهاون فيه
والاعتماد على الغير في المعاش والنفقات والاستسلام لليأس أو هوى
النفس أمر جد مذموم الآ لمعذور لا يملك حيلة

فعلى المرء اذن أن يسعى في طلب الرزق حتى ولو كان هذا
الرزق مكفولاً له في شجرة تعلوه، فإن التمر لم يساقط على مريم الآ
حين هزت اليها جذع النخلة، مما يدعو الى القول بوجوب الحركة
والسعي الى العمل.

ولا يتعارض ذلك مع قوله تعالى: ﴿كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقاً﴾^(٢) حيث كانت آئنذ لا تحمل مسئولية
ولدها، فلما ولدت وأصبحت مسئولة، أمرها ببذل الجهد في الحياة
طلباً للرزق مع أنه كان مكفولاً لها

١ - سورة الملك. الآية: ٢١٥

٢ - سورة آل عمران. الآية: ٣٧.

أولاً: النهي عن التواكل:

يعد التواكل من أبرز الآفات الاجتماعية التي تثقل كاهل العناصر العاملة في الأمة، وتضعف مردودها العام. فلو نشط للاكتساب القادرون عليه كل في محيطه دونما تردد أو نكوص لخف العب، وتوزع الحمل، وأسرعت عجلة الاقتصاد في حركتها مما يحقق للأمة ميزة الاكتفاء والاستغناء.

لذا فقد حارب الاسلام التواكل وعده من الصفات الذميمة التي لا تليق بالمسلم قال (ﷺ):

«ما منكم من أحد الا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة». فقال رجل من القوم ألا نتكل يارسول الله؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر ثم قرأ: «فأما من أعطى واتقى» (١) (٢)

وورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي قوماً لا يعملون فقال: ما أنتم قالوا: متوكلون: قال: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة (٣)

وهو الذي نهى الفقراء عن أن يقعدوا عن العمل اتكالاً على الصدقات حين قال: «يامعشر الفقراء: استبقوا الخيرات، لا تكونوا

١ - سورة الليل. الآية: ٥.

٢ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الحادي عشر ص: ٤٩٤ ح ٦٦٠٥ كتاب القدر. باب «وكان الله قدراً مقدوراً». مرجع سابق.

٣ - أنظر: مصطفى السباعي. اشتراكية الاسلام.

عياًلاً على المسلمين»^(١) وقالت عائشة رضي الله عنها^(٢) كان أصحاب رسول الله عليه وسلم عمال أنفسهم..^(٣)

ثانياً: النهي عن الكسل:

ومن الصفات المذمومة أيضاً: الكسل وقد استعاذ منه النبي ﷺ في دعائه، فقال:

﴿اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل.﴾^(٤)

هذا وقد حرص الاسلام على تربية الانسان النشيط المتحرك الذي لا يعرف الكسل، وذلك من خلال حثه على العمل والاكتساب انطلاقاً من اعتباره فرداً في مجتمع عامل، وحذراً من فساد المجتمع واضطرابه، فعندما يحجم البعض عن العمل كسلاً منهم، فإنهم يضعون بذلك منافع كبيرة للمجتمع ويدفعونه الى التوقف عن الانتاج فتتحسر نهضته، ويختل توازنه مما يكون سبباً لتربص الأعداء به.

١ - المصدر السابق نفسه

٢ - عائشة بنت أبي بكر الصديق. أم المؤمنين. الذكية العالمة. روت عن النبي ﷺ (٢٢١٠ حديثاً، توفيت عام ٥٨هـ. أحمد بن حجر الاصابة الجزء الثالث عشر ص: ٣٨. مرجع سابق.

٣ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري. الجزء الرابع. ص: ٢٠٣ ح ٢٠٧١ كتاب البيوع. باب كسب الرجل وعمله بيده.

٤ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء السادس. ص: ٣٦ ح ٢٨٢٣ كتاب الجهاد. باب ما يتعوذ من الجبن. مرجع سابق.

ان الفراغ لا يؤدي إلا الى المفسدة لأنه يدفع صاحبه الى البحث عن القوت الحرام كالسرقة، والغصب، أو يدفعه الى سؤال الناس. وامعائاً في محاربة الكسل وأسبابه فقد حث النبي (ﷺ) على الاقتصاد في الأكل^(١) وعدم الافراط في النوم^(٢) وغير ذلك من الأسباب المؤدية الى الكسل والفتور

ثالثاً: النهي عن المسألة:

لقد توافرت نصوص عدة على ذم الكسب بطريق السؤال والنهي عنه ففي الحديث أن رسول الله (ﷺ) قال: وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: «اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة والسفلى هي السائلة»^(٣).

وكان يوجه السائلين الى العمل ومن ذلك قوله:

١ روى ابن ماجه في سننه ١١١١/١ ح ٣٣٤٩ قوله (ﷺ) «حسب الأدمي لقيمات يقمن صلبه». كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع. وروى البخاري في صحيحه قوله (ﷺ) طعام الاثنيْن كافي الثلاثة أحمد بن حجر. فتح الباري. الجزء التاسع ص: ٥٣٥ ح ٥٣٩٢. كتاب الأطعمة. باب طعام الواحد يكفي الاثنيْن. مرجع سابق.

٢ قال الله تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾. «سورة الذاريات، الآية: ١٧ وروى مسلم في صحيحه قوله (ﷺ) قم يا نومان الجزء الثالث. ص: ١٧٧ كتاب الجهاد والسير. باب غزوة الأحزاب.

٣- رواه مالك. جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، ما جاء في التعفف عن المسألة الجزء الثالث. ص: ١٥٨

«لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه، فيستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى».^(١)

والأحاديث في ذلك كثيرة تدل على منع السؤال، فإن كان السائل قادراً وجب عليه أن يعمل وإن كان عاجزاً وجب على الدولة اعالته.

ولقد حارب الاسلام المسألة لما لها من آثار سلبية على السائل نفسه، ومنها رضاه بالذل، وعوده عن العمل، فضلاً عن أنها لا تحقق له كفايته غالباً، وربما آل حاله الى مقت الحياة، وكره الناس، والانحراف في تيار الاجرام. أما اجتماعياً فإن المسألة توسع دائرة التفكك العائلي، وتفقد التربية ووسائطها دورها الايجابي، وتفتح أبواباً للجريمة وتعلم خصالاً أخرى رذيلة، اضافة الى تشويهها حقيقة المجتمع الاسلامي المتكافل. ولذلك كان لابد أن تتدخل الدولة الاسلامية كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام لإزالة هذه الظاهرة وذلك بتوجيه القادرين الى العمل واطاحة مجالته لهم، وباحتضان العاجزين واغنائهم.^(٢)

١ رواه الترمذي وصححه أبو بكر بن العربي. عارضة الأحوذى. الجزء الثالث. ص: ١٩٣ أبواب الزكاة. باب ما جاء في النهي عن المسألة. مرجع سابق.

٢ - أنظر: الفصل الثالث «الاسلام والتكافل الاجتماعي» ص: ٣٠٢

تلك ألوان من توجيهات الاسلام وتدابيره في منع الظواهر السلبية من النشوء والسريان في المجتمع، ليصفو المجال اللهم العالية كي تجد في أعمالها، وتنابر على اكتسابها حتى تستغني بمنفعها وتسهم في كفالة المعوزين وعلاج مشكلة الفقر

المبحث الثالث

مجالات الاكتساب وضوابطه

لقد أفسح الاسلام في ضروب الاكتساب التي يمكن للمسلم أن يأتيها، فلم يجدها بحد معين أو لون مخصوص، وإنما وضع لها صفات وضوابط، كلما انطبقت على أي ضرب من المناشط الاقتصادية كان ذلك الضرب مجالاً طيباً للاكتساب ييسر عليه الاسلام جناحه، ويندب الناس لاستغلاله، وأما اذا تناقض أي ضرب ولو جرى في عرف الناس واستساغوه، أو سموه بغير اسمه مع تلك الحدود، فإنه لا يعد مجالاً اسلامياً للارتزاق البتة، يجب على المسلم أن يتنكبه ولا يلتفت اليه، بل يحذر منه حذره من الموت، ولو كان فيه غناه السريع وراحته المحققة فيما يزعم.

أولاً: مجالات الاكتساب:

انه لا بد أن نؤكد منذ البداية أن المجال الأمثل للاكتساب والمصدر الطبيعي له هو العمل المشروع، ولذلك كانت دعوة الاسلام اليه دعوة قوية صريحة كما تقدم.

قال الله تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾^(١)

قال ابن خلدون:

فالكسب انما يكون بالسعي في الاقتناء، والقصد الى التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل، ولو في تناوله وابتغائه^(٢) هذا ومجالات الاكتساب المشروعة كثيرة نذكر منها أبرزها:

١ - ملكية الأشياء المباحة:

المباح في الشريعة ما رفع الحرج عن فعله وتركه^(٣) وهو مجال واسع أبقاه الله سبحانه وتعالى على أصله، ليسهل على الناس القيام بشئونهم بلا مشقة، ومن ذلك امتلاك ما خلقه الله تعالى لهم، مما في السماوات والأرض وليس في حوزة أحد منهم. «لأن الأشياء المباحة قبل حيازتها ووضع اليد عليها، لم تكن مملوكة لأحد ولم يكن ثمة ملك واقع عليها، وبالإستيلاء تثبت الملكية لوضع اليد.^(٤)»

١ - سورة التوبة الآية: ١٠٥

٢ - المقدمة ص: ٣٨١ مرجع سابق.

٣ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. المستصفى من علم الأصول الجزء الأول.

ص: ٧٥. محمد بن صالح العثيمين: كتاب الأصول من علم الأصول ص: ٩

٤ محمد أبوزهرة. الملكية ونظرية العقد. ص ١١٠

ويتنوع هذا الضرب من الاكتساب، بتنوع الأشياء نفسها المكتسبة عن طريقه ولذلك نجد أن من أنواعه على سبيل التمثيل: أ - احياء الموات، وصفته معتبرة بالعرف فيما يراد له الاحياء من الأراضي الكائنة خارج البلد وليست في حوزة أحد. (١)

ب - الصيد في الجو والبر والبحر للممتنع من الحيوان ولا مالك له، ورغم أن الصيد البري من الحيوانات والطيور لم يعد ذلك المجال المنتشر للاكتساب نتيجة قوانين الحماية البيئية، فإن الصيد البحري أصبح يحتل مكاناً مرموقاً في اقتصاديات أغلب الدول ومكسباً تقعات منه ومن مداخيله مالا يحصى من العائلات.

ج - الأعشاب وحجارة الجبال، وحطبها. ونحوها مما لا مالك لها للمرء أن يمتلكها، ويتاجر بها فيكسب لنفسه مالا يسد به خصاصته، مثلاً كما مر من قوله (ﷺ): «لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره، فيتصدق منه، فيستغني به عن الناس. الحديث». (٢)

٢ - عقود التجارة:

لقد أفسح الاسلام مجال الاكتساب الفردي بالبيع والشراء المشروعين. وأفسح أيضاً مجال الاكتساب الجماعي وذلك عن طريق انشاء العقود بين أفراد المجتمع مما من شأنه أن ينمي الثروات الفردية

١ - علي بن محمد بن حبيب الماورد. الأحكام السلطانية ص: ١٧٧

٢ . سبق تخريجه. ص: ٢٣١

ويحقق التكامل بين المجهودات .

والعقود مجال هام وخصب للاكتساب، وفرصة لانصهار المال الخاص في غيره، وبذلك يمكن القيام بالمشروعات الكبيرة ذات العائدات الضخمة، وقد أجمع العلماء على أن الشركة الصحيحة أن يخرج كل واحد من الشريكين مالا مثل مال صاحبه: دنانير أو دراهم، ثم يخلطان ذلك حتى يصير مالا واحداً لا يتميز، على أن يبيعا ويشتريا ما رأيا من التجارات على أن ما كان فيه من فضل فلهما، وما كان من نقص فعليهما، فإذا فعلا ذلك صحت الشركة (١)

وقد تكلم العلماء في أنواع الشركات وذكروا منها: شركة العنان والمضاربة والوجوه، والمفاوضة وغيرها، كما ذكروا شروط صحتها وذلك كله مفصل في كتب الفقه

٣ - العمل بأجر:

وهو عمل سائغ بين الناس، ومتعارف عليه بينهم منذ القدم، حيث ان احتياج بعضهم الى مهارات بعض وخبراتهم أمر مؤكد. وسبيله الاجارة على مال معلوم مكتسب مقابل خدمة معينة قال تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿ان خير من استأجرت القوي الأمين﴾ (٢)

١ - أبو بكر بن محمد بن ابراهيم بن المنذر. الاجماع. ص: ١٢٢ .

٢ - سورة القصص. الآية: ٢٦

وكان بعض الصحابة يؤجر نفسه في السوق فيحمل المتاع ونحوه على مد من طعام.^(١)

ومن ضمنه الوظيفة العمومية، وأصلها ما فرضه المولى سبحانه الى عمال جباية الزكاة وتوزيعها من نصيب فيها، ولا غضاضة في العمل بأجر ولو كان يحمل على ظهره، والمهم هو الكسب الحلال لمحاربة الفقر وعدم الركون الى الكسل والتواكل.

٤ - الاجارة:

تعد الاجارة أحد أبواب الكسب المهمة، وصورها كثيرة جداً يجمعها أنها «عقد على منفعة مباحة معلومة من عين معينة أو موصوفة في الذمة، مدة معلومة^(٢) فيدخل فيها عمل الانسان بأجر سواء لمدة معينة، أو عمل معين، وقد تحدثت عنه قبلاً^(٣) والمقصود هنا اجارة الدور، والمزارع والمراكب ونحوها، وهي ولاشك مصدر ثري من

١ - قال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا أمر

بالصدقة، انطلق أحدنا الى السوق فيحامل فيصيب المد .

رواه البخاري، أحمد بن حجر: فتح الباري . ج ٤ . ص : ٤٥٠ . ح : ٢٢٧٣ ، كتاب الاجارة - باب من أجر نفسه ليحمل على ظهره ثم تصدق به، وأجر الحمال . مرجع سابق .

٢ - عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم . حاشية الروض المربع . ج : ٥ . مرجع

سابق . ص : ٢٩٣

٣ - أنظر الصفحة السابقة .

مصادر الاكتساب وان كان اجور تلك المنافع تتسم بالمرونة، فلا تكون بالضرورة مرتفعة دائماً، وانما تتحدد بحسب ظروف العرض والطلب بما يسمح رغم ذلك من تحقيق اكتساب لا بأس به

٥ - الإرث:

والشرط في ذلك هو الوفاة، فإذا توفي المسلم انتقلت تركته الى ورثته والموصى لهم منها، ولا يحتاج دخول الميراث في ملك الوارث الى قبول منه، وكذلك لا يحتاج الوصية الى قبول، بل الشرط عدم الرد فيها، بل ان الميراث يدخل في ملك الوارث جبراً عنه من غير اختياره وارادته. (١) واذا تأملت في أنصبة الورثة التي حددتها الشريعة الاسلامية تلاحظ الحكمة في تفتيت الثروة وتوزيعها على الأكثر قرابة، ومن مجالات الاكتساب المشروعة أيضاً الغزو في سبيل الله وينشأ عنه ملكية السلب وملك الغنيمة وغيرها.

ثانياً: ضوابط الاكتساب:

تعد قاعدة «الأصل في الأشياء الإباحة» ركناً عظيماً في نظام المعاملات الاسلامية بما فيه من سبل اكتساب الرزق، حيث باستقراء أصول الشريعة نعلم أن الأصل فيها الإباحة وعدم الحظر، فلا يحظر

١ - محمد أبوزهرة. الملكية ونظرية العقد. ص: ١١١ مرجع سابق.

منها إلا ما حظره الله سبحانه^(١) لذلك فكل كسب هو مباح ما لم يرد النص على تحريمه، لكن الاسلام وهو يدعو للعمل وكسب المال فإنه لا يريد أن يصبح المال وجمعه أكبرهم الناس فيستعبدهم، ويسلكوا كل طريق للوصول اليه، فإن شهوة المال اذا تحكمت في النفس البشرية سلكت في سبيل الحصول عليه كل طريق، وسببت الكثير من المشكلات الخلقية والاجتماعية والاقتصادية كذلك حرص الاسلام على شد الناس لقيم فوق القيم المادية البحتة، فإذا كان من الواجب على المسلم أن يعمل ويكسب فإنه يجب عليه ألا تستعبده الدنيا وألا يسير وراءها غير ملتفت لفضيلة أو خلق أو دين.^(٢)

لذا فقد حرمت الشريعة الاسلامية كسب المال عن كل طرق الظلم والاستغلال والاضرار بالناس فمنعت طرقاً للاكتساب لاشتمالها على ذلك مثل:

١ - التجارة في المحرم:

لقد توافرت النصوص على تحريم المتاجرة في الخمر والخنزير وامتهان الكهانة، واضرابها من صنوف المحرمات لما تسببه من الفساد الخلقى والأمراض البدنية والتفكك الاجتماعي لذا فقد نهى

١ - عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى المعروف بابن بدران الدمشقي . المدخل الى

مذهب الامام أحمد بن حنبل . ص: ٦٤

٢ - عبدالسلام العبادي . الملكية في الشريعة الاسلامية . القسم الثاني . ص:

٢٥ - ٢٦ بتصرف .

رسول الله (ﷺ) عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان^(١) الكاهن^(٢).

ويستتبع ذلك لا محالة، بل أشد منه تحريماً المتاجرة في المخدرات والمفترقات بأنواعها.

٢ - العقود المحرمة:

نهى الاسلام عن جملة من العقود لما يترتب عليها من مفساد ومخالفات، كالبيع بعد النداء للجمعة، وبيع الرجل على بيع أخيه، وغيرها^(٣) وكل عقد مشتمل على الربا لقوله تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾^(٤).

وكذلك يدخل في العقود المحرمة، كل ملكية تكسب بطريق عقد باطل، كان يختل فيه شرط من شروط العقد، كما هو مفصل في الموسوعات الفقهية المشهورة.^(٥)

١ - الحلوان. أجرة الكاهن. مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط مرجع سابق. مادة الحلو.

٢ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الرابع. ص: ٤٢٦. ح. ٢٢٣٧ كتاب البيوع باب ثمن الكلب (مرجع سابق).

٣ - أنظر: البيوع المحرمة عبدالرحمن بن محمد بن القاسم. حاشية الروض المربع. الجزء الرابع ص: ٣٧١ مرجع سابق.

٤ - سورة البقرة. الآية: ٢٧٥

٥ - موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامه المقدسي. المغني مرجع سابق. الجزء الرابع. باب الربا والصرف. الجزء الرابع ص: ٧٤ باب بيع الأصول والثمار الجزء الرابع ص: ١٤٩ باب المصراة.

٣ - أخذ المال بغير الحق :

وذلك مثل السرقة والسلب، والنهب والرشوة، الاحتكار والقمار واستغلال النفوذ، والغبن وغيرها. وأما الضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية حفاظاً على المكتسبات فمنها:

أ - تحريم الاسراف والتبذير :

وهو من الأهمية بمكان لحفظ وصيانة ثروة الفرد والمجتمع، وقد قرن الله سبحانه المسرفين والمبذرين بالشياطين للتشنيع عليهم وانكار صنيعهم حتى لا يعودوا اليه : قال تعالى : ﴿ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾^(١) وقال أيضاً : ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين﴾^(٢).

وكما يمنع الاسلام الاسراف والتبذير كذلك هو يمنع غل اليد والتقتير فاليد المغلولة كاليد المسرفة كلتاهما لا يقبلهما الاسلام لما في ذلك من ضرر عائد على الفرد وعلى الجماعة. ^(٣) يقول تعالى : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾^(٤).

١ - سورة الاسراء. الآية : ٢٧

٢ - سورة الأعراف. الآية : ٣١

٣ - سيد قطب. العدالة الاجتماعية في الاسلام. ص : ١٣٨

٤ - سورة الاسراء. الآية : ٢٩

ب - تحريم كنز المال:

ان دفن المال في الخزائن يحجب منفعته على الآخرين، ولا يستفيد منه الكانز نفسه، وانما ينال به اثمًا كما يسبب ضائقة في المجتمع الاسلامي بأسره ولذلك توعد الله سبحانه الكانزين بعذاب أليم ﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكتزون﴾^(١)

وروى مسلم في صحيحه قول أبي ذر رضي الله عنه: «بشر الكانزين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم».^(٢)

وما ذلك الوعيد الشديد والتغليظ في العقاب إلا لأن الاسلام دين العمل والانفاق، وترويح المنافع وتبادلها، والتمتع بها وتركيتها

ج - وجوب الوفاء بالالتزامات:

إذا أمضيت العقود، وعرفت الشروط، وتحققت صحتها، وجب الوفاء بها بمقتضى نصوصها، وأداء للواجب واعترافاً بحقوق الآخرين. حيث ان نقص الالتزامات يحدث اضطراباً في الحياة

١ - سورة التوبة الآية: ٣٥ -

٢ - رواه مسلم. أبوالحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم. الجامع الصحيح. الجزء الثالث. ص: ٧٧ كتاب الزكاة. باب في الكنازين للأموال والتغليظ عليهم.

الاقتصادية ويلحق أضراراً جسيمة بمكاسب الأفراد، ولذلك جاء الأمر به في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً﴾^(٢).

هذه هي اجمالاً مجالات الاكتساب وضوابطه، ويظهر فيها بوضوح حكمة الاسلام في المحافظة على حقوق الأفراد مع احترام حقوق المجتمع.

ولا يفوتني أن أشير هنا الى ما يمكن أن تقوم به الدولة الاسلامية من حماية حق الاكتساب للجميع منعاً للاضرار بالناس مثل تحديد أسعار بعض السلع^(٣) ومنع تلقي الركبان^(٤) ونحوها، مما يساعد على تكافؤ الفرص في اكتساب الرزق الطيب.

١ - سورة المائدة. الآية: الأولى.

٢ - سورة الاسراء. الآية: ٣٤

٣ - اختلف العلماء في حكم التسعير والأولى ما ذهب اليه ابن القيم حين يقول:

وجماع الأمر أن مصلحة الناس اذا لم تتم الآ بالتسعير سعر عليهم تسعير

عدل، لا وكس ولا شطط. شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر المعروف

بابن قيم الجوزية الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ص: ٢٦٤

٤ - قال (ﷺ): «ولا تلقوا السلع حتى يهبط بها الى السوق». رواه البخاري.

أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الرابع ص: ٣٧٣ ح ٢١٦٥ كتاب

البيوع. باب النهي عن تلقي الركبان وأن يبعه مردود لأن صاحبه عاص آثم

اذا كان به عالماً، وهو خداع في البيع والخداع لا يجوز مرجع سابق.

المبحث الرابع

آثار الاكتساب في علاج مشكلة الفقر

إن للاكتساب دوراً مؤثراً في علاج مشكلة الفقر، ولذلك حث الاسلام عليه وأمر به ويظهر هذا الدور من خلال:

١ - تحقيق الاكتفاء الذاتي للمكتسب:

لأن الاكتساب يغنيه عن الحاجة الى غيره، ويجعله قادراً على اعادة نفسه وعياله وقد تقدم ذكر توجيه الرسول (ﷺ) السائلين الى العمل^(١) حتى لا يحتاج أي فرد في المجتمع الاسلامي، الى أن يمد يده ويريق ماء وجهه، أو يقبع منتظراً الصدقات أنى جاءت أو يلجأ الى طرق غير مشروعة للاكتساب. وفي استغناء المكتسب أيضاً توفير للمال والجهد على الدولة الاسلامية حتى تنصرف الى تأسيس المشاريع الاقتصادية الكبرى، وتنميتها بما يعود بالفائدة على الجميع.

٢ - اسهام المكتسب في مساعدة غيره:

لأنه اذا حصل على كفايته شارك في اعانة فقراء المسلمين، لاسيما ذوي أرحامه وجيرانه ايثاراً من عند نفسه، أما اذا نمت ثروته فإنه يخرج زكاته التي من شأنها أن تساعد في الخروج من حالة الفاقة

١ - راجع ص: ٢٣٠

والاحتياج - وهذا من التكافل الاجتماعي الذي سيأتي الحديث عنه^(١)

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «أما أهل عرصة^(٢) أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله»^(٣)

٣ - استقامة سلوك المكتسب:

ان الفقر يؤدي خاصة لدى النفوس الضعيفة الى الاكتساب عن طريق الحرام كالسرقة، والاعتصاب، والبغاء وغيرها واذا فسد سلوك الفرد في المجتمع انتشرت الجريمة وانعدم الأمن فتتعطل التجارات وينتشر الظلم وتضعف الحركة الاقتصادية عموماً قال ابن خلدون: ان العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها، واكتسابها، لما يروونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهى بها س أيديهم، واذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك.^(٤) فأما اذا سعى الفرد الى الاكتساب، وشغل به نفسه، وحصل على قوته فقد عف نفسه عن المحرمات.

١ - أنظر: الفصل الثالث «الاسلام والتكافل الاجتماعي» ص: ٣٠٣

٢ - العرصة: كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء. الفيروز آبادي. القاموس المحيط. مادة العرص مرجع سابق.

٣ - رواه أحمد في المسند. الجزء الثامن. ص: ١٩٨

٤ - المقدمة ص: ٢٨٦ مرجع سابق.

٤ - تحقيق استقلال الأمة فيما تحتاج اليه :

وهذه من المسائل الخطيرة التي تواجهها الدولة الاسلامية، لأن أغلب العلاقات القائمة بين الدول علاقات مصلحة، فإذا احتاجت الدولة الاسلامية الى معونة الدولة الأخرى وخاصة الكبرى منها، فإن عليها مقابل ذلك أن تقدم تنازلات وتسهيلات قد تضر بالمجتمع الاسلامي، وبناء على ذلك فلا بد للدولة الاسلامية أن تشجع الاكتساب، وتساعد الأفراد على العمل، لتحقيق ما يحتاجونه فلا يبقى المجتمع الاسلامي عرضة للضغوط والابتزاز

فالمجتمع الاسلامي مطالب اذن باكتشاف الموارد الاقتصادية وتصنيعها. ومطالب بتطوير الزراعة حتى يوفر ما يحتاجه من الحبوب والفواكه. ومطالب بإيجاد حركة تجارية قادرة على توفير السلع بأسعار مناسبة الى غير ذلك من الحاجات والمطالب. وبذلك تستطيع الدولة الاسلامية القضاء على الفقر، والخروج من مأزقه الخطير بحيث اذا تعاملت مع غيرها كان تعاملها قائماً على الاحترام والندية، وعدم تعريض المكاسب الذاتية الى الخطر والبعد عن المساومة على المبادئ

الفصل الثاني

الاسلام والانفاق

قبل أن نتكلم عن الانفاق من حيث مصادره وآثاره، يجب أن نتكلم أولاً عن الأسس التي يقوم عليها الانفاق في الاسلام، فكما حمل الاسلام على الفقر في حثه على الاكتساب، فإنه حمل عليه أيضاً لما حض على انفاق المال وتوزيعه بعدل وحكمة، امعاناً في اجثاث غائلته وطلباً لحياة اجتماعية كريمة، لقد أقام هذا الدين مبدأ الانفاق على أسس عقدية كفيلة بأن تسهم في بناء حضارة نامية معطاء، وأهم تلك الأسس ما يأتي:

١ - إن الانسان خليفة في المال وليس بمالك له:

قال تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾^(١).

وقال أيضاً: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾^(٢).

فكل ما يقع في يد الانسان وديعة من عند المالك الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى الذي عرفه سبيل انفاق ذلك المال وضوابطه، ورهن سعادته في الدنيا ونجاته في الآخرة بالاستجابة لها ومراعاتها فما عليه إلا أن يتقيد بها كما يتقيد الوكيل بتعليمات موكله

١ - سورة النور. الآية: ٣٣.

٢ - سورة الحديد. الآية: ٧.

٢ - ان الانفاق يكون طلباً لمرضاة الله تعالى وحده:

قال تعالى: ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾^(١)

ولا ينبغي أن يقصد الانسان بإنفاقه المحمدة الشخصية ولا أن يصحب الانفاق من ولا أذى، فإن ذلك يحبط أجر الانفاق، ويفقر صاحبه، ويتلف ثروته، ويزرع الحقد بين الناس:

٣ - الانفاق من الكسب الطيب:

كذلك يجب أن ينفق الانسان من الكسب الطيب وذلك لأن الله غني حميد، فكما هو قادر على اغناء الفقير من عنده، قادر على التضييق على الغني المسك لأطايب المال المنفق لأردته قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾^(٢).

فليس للمؤمن أن يفعل ذلك، ولا أن ينفق من مورد غير مشروع كالميسر، والخمور والمراهنات، والفوائد على القروض، بل ألا يتكسب منها أصلاً

٤ - الاعتدال في الانفاق:

دعت الشريعة المالك الى أن يحس الانتفاع والتصرف في

١ - سورة الروم. الآية: ٣٩

٢ سورة البقرة. الآية: ٢٦٧

أمواله فلا يضيعها، ولا يتلفها ولا ينفقها فيما لا نفع فيه، فالشريعة وهي تقرر للانسان امتلاك الأموال من أجل أن ينتفع بها ويشبع حاجاته المختلفة، ويقيم مصالحه المتعددة فقد دعتة الى أن يفعل ذلك باعتدال وتوسط بعيداً عن السرف والتقتير، وجاءت النصوص الشرعية تبين وتوجه، يقول الله تعالى: ﴿والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾^(١).

وأخرج أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بألفاظ متقاربة قال: قال رسول الله (ﷺ) (كلوا وتصدقوا والبسوا في غير اسراف ولا مخيلة).^(٢)

وإذا كان الاعتدال في الانفاق مطلوباً في أموال الأفراد فكذلك هو مطلوب في أموال العامة للدولة بل انه هنا أكد، وولي الأمر ووكلاؤه انما هم أمناء عليها ينفقونها فيما جعلت له متوخين الاعتدال والتوسط متجنبين السرف والتبذير.

وقال تعالى: ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾^(٣)

١ - سورة الفرقان. الآية: ٦٧

٢ فيض القدير الجزء الخامس. ص: ٤٦.

٣ سورة الإسراء. الآيتان ٢٦، ٢٧

٥ - الرشد والأمانة فيمن يتولى الانفاق:

الرشد ضد السفه: وقد ذهب بعض العلماء الى أن رشد الانسان في التصرف في الأموال هو اصلاحه لماله وانماؤه له وعدم تبذيره.

والسفه في التصرف في الأموال فسره بعضهم بأنه السرف والتبذير أي تفريق المال على وجه الاسراف يعني بغير ملاحظة النفع الدنيوي والديني.

أو هو اسراف المال واتلافه وتضييعه على خلاف مقتضى العقل أو الشرع ولو في الخير.^(١)

والسفيه هو المبذر لماله إما لانفاقه في شهواته واما لقلة معرفته بمصالحه، والرشيد هو الضابط لماله المحسن في التصرف فيه ولما كان المال من الأهمية بمكان في تدليل كثير من المشكلات وقضاء عدد كبير من الحوائج، فقد وجب فيه احسان الاختيار في حق من يقوم بإنفاقه، ابتداء من الأسر الصغيرة، ثم الشركات والمؤسسات المتنوعة، ثم الحكومات والدول، بحيث انه كلما تمت سראعة شروط الدين، والأمانة واليقظة في اختيار المسؤولين عن الانفاق وصرف المال في وجوهه المقررة الآ وأثمر ثماره المرجوة.

أما اذا أسند الأمر الى غير أهله، فإن النتيجة المؤكدة هي

١ أنظر: كشاف الاصطلاح الفنون. الجزء الأول. ص: ٧٢٤، ٧٢٥

عمليات الاختلاس المتكررة التي تنكب خاصة أصحاب الحقوق، ثم الأمة جمعاء، بالفقر والحرمان.

قال تعالى: ﴿ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾^(١).

٦ - الانفاق يكون في محله المشروع للمحتاجين من المسلمين وأهل ذمتهم:

قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة﴾^(٣).
وفي هذا الصدد أيضاً نجد في كتاب الخراج لأبي يوسف:

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم، وعليه سائل يسأل شيخ كبير، ضرير البصر، فضرب عضده من خلفه وقال: من

١ - سورة النساء. الآية: ٥.

٢. أذكر هنا الدليل على ذلك، أما تفصيل أوجه الانفاق المشروعة فسيكون في ثنايا المباحث التالية من هذا الفصل «وجه الانفاق ومصارفه».

٣ - سورة البقرة. الآية: ١٧٧

أي أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودي، قال: فما ألك إلى ما أرى؟
قال: أسأل الجزية والحاجة، والسن.

فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله، فرضخ له بشيء من
المنزل^(١)، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: انظر هذا وضرباه
فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيته ثم نخذه عند الهرم: ﴿إنما
الصدقات للفقراء والمساكين﴾ والفقراء هم المسلمون، وهذا من
المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه^(٢)

٧ - إذا انخفضت الإيرادات وساءت الأحوال نتيجة الكوارث مثلاً:

فإن المولى الغني سبحانه خاطب المؤمنين أن يبذلوا من فضله
الذي آتاهم، ما يسدون به خلة إخوانهم إيثراً من عند أنفسهم.
قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾^(٣).
وعلى ضوء تلك الأسس توجه الدولة الإسلامية سياستها في
الانفاق العام^(٤) ويهمننا منها تلك التي تعالج مشكلة الفقر بين
المسلمين.

١ - رضخ له أعطاه غير كثير. مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط مادة
رضخ. مرجع سابق.

٢ - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم. كتاب الخراج. ص: ١٢٦

٣ - سورة الحشر الآية: ٩

٤ - ليس أمر معالجة مشكلة الفقر بالانفاق مقتصراً على الدولة وحدها كما هو
معلوم بل للأفراد المتطوعين دور مهم في ذلك، وهو ما خصصت له الفصل
الثالث من هذا الباب.

فالذي يكفيه اكتسابه منهم لا تتولى الدولة الانفاق عليه، بل هو يتولى من جانبه المشاركة في تمويل حاجاتها طواعية واختياراً من ماله الخاص، بعد أداء المفروض عليه لله تعالى، أما الذي لا يكفيه اكتسابه، ولم يسعفه اخوانه، أو الذي تلم به ضوابط الاحتياج، ولم يتطوع المسلمون لاقالة عثرته، أو الذي تستخدمه الدولة فإن بيت مال المسلمين يقف بجانبه، فيسد حاجته ويمنع عنه مهانة المسألة ويذب عنه غوائل الفقر والحرمان.

وعلى تلك الأسس أيضاً يقوم التكافل والتضامن المادي بين المسلمين بأوجهه المختلفة، سواء منه الانفاق المفروض أو الانفاق التطوعي الاختياري، ولقد حفلت الشريعة الاسلامية ببيان مصارف بيت المال سواء منها ما تكفل الله سبحانه بتحديددها، أو تلك التي اجتهد الصحابة وأهل العلم من بعدهم في استنباطها وتقريرها. وتلك المصارف جميعها يمكن أن تجمع في أربعة أقسام كما في المباحث الآتية:

المبحث الأول

مصادر الانفاق ومصارفه

المطلب الأول:

مال الزكاة ومصارفه:

لقد أدرك الاسلام منذ البداية أن مشكلة الفقر لن يحلها الاحسان، ولن تداركها الاجراءات الاصلاحية التي تستهدف تسكين الآلام أو تخفيف الحرمان بل لابد من حل جذري.

وم هنا كانت نقطة البداية في الاقتصاد الاسلامي بالإضافة الى الحث على العمل واتقانه، ورفعته الى مرتبة العبادة مما يزيد الانتاج، ما قرره من ضمان حد الكفاية لكل مواطن ولم يكتف الاسلام بمجرد تقرير المبدأ وإنما قرر في نفس الوقت وسيلة تطبيقه فأنشأ لذلك مؤسسة متخصصة هي مؤسسة الزكاة ولم يكتف الاسلام بل جعل فريضة الزكاة بالنسبة للمسلم الركن الثالث من أركان الاسلام بحيث لا يتم اسلام المسلم الا بأدائها^(١) وشدد الاسلام من أداء تلك الفريضة فإذا امتنع من تجب عليه حمل عليها وأخذت منه بالقوة، ومن جحد وجوبها فهو مرتد يجب قتاله، وهي فريضة لا تسقط عن من تجب عليه بحال.^(٢)

وقد حرص الاسلام أن تكون للزكاة مؤسسة مستقلة في مواردها ومصارفها والعاملين عليها لا يجوز أن يصرف منها في غير أوجه الصرف التي حددها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز

أ - تعريف الزكاة:

لغة: يقال: زكا، يزكو، زكاء، نما، وزكا الرجل صلح فهو زكي، والزكاة: صفوة الشيء، وما أخرجته من مالك لتطهره به^(٣)

١ - الدكتور محمد شوقي الفنجري. الاسلام والمشكلة الاقتصادية، ص: ١٧٢، ص: ١٧٣

٢ - البهي الخولي. الثروة في الاسلام ص: ١٩٥ - ١٩٦ وينظر الدكتور عبدالله ابن محمد الطيار الزكاة ص: ٤٢ - ٥٠.

٣ - مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط. مادة زكا مرجع سابق.

وشرعاً: حق واجب في مال خاص لطائفة مخصصة، في وقت مخصوص. (١) وهي أحد أركان الاسلام الخمسة.

قال (ﷺ): «بني الاسلام على خمس: شهادة ألا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان». (٢)

ب - حكمها:

الزكاة واجبة، وقد فرضها الشارع في القرآن والسنة، قال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (٣)

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾. (٤) . وقال تعالى: ﴿وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾. (٥)

وقال النبي (ﷺ): «بني الاسلام على خمس: على أن يوحد الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصيام رمضان والحج». (٦)

١ - عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم. حاشية الروض المربع الجزء الثالث ١٦٤ مرجع سابق.

٢ - رواه البخاري. أحمد بن حجر. فتح الباري الجزء الأول. ص: ٣٩ ح ٨. كتاب الايمان باب دعاؤكم ايمانكم.

٣ - سورة النور الآية: ٥٦

٤ - سورة المزمل. الآية: ٢٠

٥ - سورة البينة الآية: ٥.

٦ - رواه مسلم. مسلم بن الحجاج بن مسلم. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. الجزء الأول ص: ٣٤.

وقال (ﷺ): «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم». (١) وقد أجمع علماء المسلمين في كل الأعصار على وجوبها، واتفق الصحابة على قتال مانعيها. (٢) وتواتر العلم بها لدى جميع المسلمين، وصارت من المعلوم من الدين بالضرورة.

ج - ما تجب فيه:

تجب الزكاة في:

- ١ - سائمة بهيمة الأنعام.
- ٢ - الخارج من الأرض.
- ٣ - الائتمان.
- ٤ - عروض التجارة.

وذلك بخمسة شروط هي:

- ١ - الحرية
- ٢ - الاسلام
- ٣ - ملك النصاب
- ٤ - تمام الملك
- ٥ - مضي الحول في غير الحبوب والثمار (٣)

١ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الثالث. ص: ٢٦١ ح ١٣٩٥هـ. كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة.

٢ - ابن قدامة المغني الجزء الثاني. ص: ٤٢٧، الكاساني. بدائع الصنائع الجزء الثاني. ص: ١١

٣ - راجع تفصيل كل ذلك مثلاً في: موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي. المغني ويلي الشرح الكبير ٤٣٣/١ وما بعدها. وكتب الفقه الأخرى.

هذا ولقد أدرج لفيف من محدثي العلماء^(١) على رأس الموسعين في الأموال التي تجب فيها الزكاة^(٢) كافة أنواع الدخول الحديثة من عائدات المستغلات^(٣) كالعمارات ونحوها، ومن كسب المهن الحرة والأسهم، والسندات ضمن الأموال التي تجب فيها الزكاة على خلاف بينهم في النظر إليها^(٤)

١ - هم . محمد أبو زهرة، عبد الوهاب خلاف، عبد الرحمن حسن، أنظر: حلقة

الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية، الدورة الثالثة ص: ٢٣٠

٢ - قال هؤلاء كما قال ابن العربي في قول الله عز وجل ﴿خذ من أموالهم

صدقة﴾ . هذا عام في كل مال على اختلاف أصنافه، وتباين أسمائه،

واختلاف أغراضه، فمن أراد أن يخصه في شيء - فعليه الدليل .

راجع: أبو بكر بن العربي - عارضة الأحوذى لشرح صحيح الترمذي

الجزء الثالث ص: ١٠٤، في حين قال المضيقيون: لم يسمع به في الصدر

الأول الذين هم خير القرون . راجع: صديق بن حسن البخاري: الروضة

الندية الجزء الأول ص ١٩٤، قال الصنعاني: الأصل المقطوع به حرمة مال

المسلم ولا يخرج عنه إلا بدليل قاطع، وهذا المذكور لا يرفع الأصل،

وأيضاً فالأصل براءة الذمة وهذان الأصلان لم يرفعهما دليل يقاومها فليس

محل الاحتياط الآت ترك الأخذ من الذرة وغيرها مما لم يأت به إلا مجرد العموم

الذي قد ثبت تخصيصه، راجع: الصنعاني . سبل السلام الجزء الثاني .

ص: ٢٥٨

٣ - المراد بالمستغلات الأموال التي لا تجب الزكاة في عينها، ولم تتخذ للتجارة

ولكنها تتخذ للنهائ كإيجار العمارات مثلاً .

٤ قال فريق تعامل معاملة عروض التجارة، فتقوم كل حول فإذا بلغت نصاباً

يؤخذ منها ربع عشر قيمتها، وقال فريق تعامل كالنقدين في النسبة، فيؤخذ

من إيراداتها إذا بلغ نصاب ربع العشر، وقال فريق ثالث تعامل معاملة

الخارج من الأرض فيؤخذ من إيراداتها إذا بلغ نصاباً، ودون انتظار الحلول،

وهذا التوسع هو الذي تؤيده لأن أبرز علل الزكاة النهاء^(١)، وهي متوافرة في تلك الأصناف، فإذا حال الحول، أو جاء يوم حصاد الزرع، وجني الثمار، كلف ولي الأمر جهاز دولته من ولاية، وعمال، ورسول لإحصائها وجمعها من أهلها، ولو في أقاصي البلاد تنفيذاً لأمر الله تعالى لرسوله (ﷺ) حيث قال: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾^(٢)

فيجمعون طبقاً لأحكام الشريعة^(٣) الأموال الظاهرة: الحبوب والثمار والسائمة ولو على كره من أصحابها^(٤)، أما الأموال الباطنة: النقدان وعروض التجارة فموكول اخراجها الى عقيدة أصحابها سواء

= العشر أو نصفه، راجع: يوسف القرضاوي. فقه الزكاة الجزء الأول ص: ٤٦٦ ومايلها.

١ - النهاء في اللغة الزيادة، والمقصود به شرعاً: الزيادة الحقيقية بالتوالد مثلاً أو القابلية للزيادة. راجع: محمد أمين بن عابدين. حاشية ابن عابدين. الجزء الثاني. ص: ٢٥٦

٢ - سورة التوبة الآية: ١٠٣

٣ - من تلك الأحكام. ألا يؤخذ أفضل المال ولا أرداه وإنما أوسطه، راجع: أبو عبيد القاسم بن سلام. الأموال. ص: ٣٨٩، ٤٠٢ مرجع سابق.

٤ - بدليل ما رواه أحمد بن شعيب النسائي. سنن النسائي. الجزء الخامس. ص: ١٦ كتاب الزكاة باب عقوبة مانع الزكاة، من قوله (ﷺ) في الزكاة: «.. من أعطاه مؤتجراً فله أجرها، ومن أبى فإننا آخذوها». صححه الحاكم، وقاتل أبو بكر والصحابة مانعي الزكاة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كما هو مشتهر معلوم.

دفعوها الى الجباة أو بذلوها في وجوها بأنفسهم.^(١)

وبعد أن يستقر مجموع ذلك المال المحصل في بيت مال الزكاة يرده ولي الأمر الى مستحقه دون أن يجتهد رأيه فيه، قال (ﷺ): «ان الله تعالى لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات، حتى حكم فيها هو، فجزأها ثمانية أجزاء».^(٢) وتلك المصارف الثمانية هي الواردة في قوله تعالى: ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾.^(٣)

والتأمل في تلك الفئات على الاجمال يجد أن قسماً منها محتاج للمواساة فعلاً، وذلك لما حاق به من ظروف الحرمان، فلا يترك ينهشه الاحتياج، ويظفي جذوة نشاطه وعطائه، وربما يقوده الى اقتراف الجنح والجنائيات، فيعطي من الزكاة اعانة له وترسيخاً لمشاعر التكافل واقامة لمجتمع كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

أما القسم الآخر فلمنفعة للمسلمين فيه حاصلة أو مرجوة يعطى من مال الزكاة، تثبتاً لتلك المنفعة، وأملاً في اتقان

١ - علي بن محمد بن حبيب الماوردي. الأحكام السلطانية ص: ١١٣ مرجع سابق.

٢ - رواه أبو داود. سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود. الجزء الثاني. ص: ٣٨١. ح ١٦٣٠ كتاب الزكاة. باب من يعطي من الصدقة وحدّ الغنى.

٣ - سورة التوبة. الآية: ٦٠

عمله (الجبائية) أو اغراء له في الدين، أو تكريماً لصنيعه الاجتماعي الخير، (كالتدوين لاصلاح ذات البين) وكل ذلك حفظاً لكرامته عن ذلك السؤال، أما على التفصيل فكما يلي:

١ - الفقراء:

والفقر هو المحتاج، سواء كان لا شيء له، من مال وكسب، أو من له مال أو كسب لا يفي بكفايته،^(١) فيصرف له من الزكاة، أما من كان غنياً، وهو المالك لكفايته^(٢) فلا حظ له فيها وقال «ﷺ» لا تحل صدقة لغني.^(٣)

وكذلك الفقير اذا كان متبطلاً رغم قدرته على الكسب وتوافر

١ - الخلاف طويل بين الفقهاء في الفقير والمسكين. هل هما صنف واحد أم صنفان؟ وأيها أسوأ حالاً؟ وأميل الى الرأي القائل بأنهما صنفان، وأن الفقراء أشد حاجة من المساكين، لأن الله تعالى بدأ بهم وانما يبدأ بالأهم فالأهم. راجع: عبدالرحمن بن محمد بن القاسم. حاشية الروض. المربع. الجزء الثالث. ص: ٣٠٩ - ٣١١ مرجع سابق.

٢ - قال الميموني: ذكرت أبا عبدالله أحمد بن حنبل. فقلت: قد تكون للرجل الابل والغنم تجب فيها الزكاة وهو فقير، ويكون له أربعون شاة، وتكون له الضيعة لا تكفيه،. فيعطي من الصدقة؟ قال: «نعم» وذكر قول عمر «اعطوهم وان راحت عليهم من الابل كذا وكذا...».

راجع: عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامه المغني الجزء الثاني ص: ٥٣٥. مرجع سابق.

٣ - رواه الترمذي. أبو بكر العربي. عارضة الأحوزي لشرح صحيح الترمذي. الجزء الثالث. ص: ١٥٠ في الزكاة باب من لا تحل له الصدقة، وقال حسن: مرجع سابق.

العمل المباح، الملائم لمثله، والذي لو عمله لدر عليه ما يكفيه وعياله، قال (ﷺ) لرجلين أتياه يسألانه من الصدقة فوجدهما جلدتين: ان شئتما أعطيتكما، ولا حظَّ فيها لغني، ولا لقوي مكتسب. (١)

فإذا أعطي هذان من مال الزكاة ضاع حق أهلها الذين انعقدت حكمة وجوبها وهم الفقراء، وكذلك لا يعطاها المتفرغ للعبادة مع قدرته على الاكتساب لقصر نفعه على نفسه ولتركه الأمر بابتغاء فضل الله في مناكب الأرض، هذا في حين يعطاها المتفرغ للعلم النافع المحتاج إليها لأن نفعه لمجمع الأمة

٢ - المساكين: (٢)

وهم الصنف الثاني ممن يصرف لهم من مال الزكاة والمسكين صنو الفقير في عدم امتلاك كفايته وكفاية من يعولهم، فهؤلاء: الفقراء والمساكين، يعطون ما يكفيهم، وهو أمر لا يمكن تحديده على الاطلاق، حيث ان الكفاية تختلف من بيئة لأخرى، ومن عصر لآخر، والأصلح في ذلك أن يجتهد الموزع للصدقة رأيه، ويسدد في

١ - رواه أبوداود. سليمان بن الأشعث السجستاني. سنن أبي داود الجزء الثاني ص: ٢٨٥ ح ١٦٣٣، كتاب الزكاة باب من يعطى من الصدقة وحد الغني مرجع سابق.

٢ - تقدمت الإشارة الى اختلاف الفقهاء في الفرق بين الفقير والمسكين في ص: ٣٢٦، راجع عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن القاسم. حاشية الروض المربع الجزء الثالث. ص: ٣٠٩ ٣١١. مرجع سابق.

العطاء ويحتاط من حرمانه حقهم، وأغلب الظن أن أدنى مستوى لائق للمعيشة بين المسلمين يقتصر على:

- ١ - الطعام
- ٢ - الشراب .
- ٣ - الكساء
- ٤ - المسكن .
- ٥ - النظافة
- ٦ - التعليم .
- ٧ - العلاج .

لكل عائلة على ما يليق بمثل حالها ويحفظ كرامتها وقد تظهر حاجات أخرى تدخل ضمن حدود كفاية المعيل وأسرته:

قال في المجموع: المعتبر. المطعم، والملبس، والمسكن، وسائر ما لا بد له منه، على ما يليق بحالة بغير اسراف ولا اقتار، لنفس الشخص ولمن هو في نفقته. (١)

وعلى أية حال فمذاهب العلماء في القدر المعطى مترددة بين التقليل - قوت اليوم والليلة - وبين التوسع كفاية العمر (٢) لكن الذي يسهم حقيقة - وبصفة فعالة - في علاج مشكلة الفقر لدى هذه الفئة، هو أن يكونوا من مبلغ معتدل من المال - اذا سمحت بذلك ووقت أموال الزكاة، يمكنهم استغلاله في زراعة، أو تجارة، ونحوهما، فيغنيهم عن الفقر العمر كله، وان لم يكن فيعطون اعانات منتظمة

١ - يحيى بن شرف النووي. المجموع الجزء السادس ص: ١٩١، وراجع: موفق الدين أبو محمد بن قدامة. المغني. الجزء الأول ص: ٥٢٣ - ٥٢٦ مرجع سابق.

٢ - أنظر: المصدر الأخير نفسه، وراجع أبو حامد محمد بن محمد الغزالي. احياء علوم الدين الجزء الأول ص: ٢٢٥ مرجع سابق.

حتى يزول فقرهم ويستطيعون الاكتساب والانفاق على أنفسهم، لا أن يعطوا درهماً تسكن جوعهم وحرمانهم لأيام، أو لأشهر قلائل ثم يعودون لما كانوا عليه من العجز والعسر

وفي قصة عمر رضي الله عنه مع إحدى النساء المسلمات الفقيرات لدلالة على أن الفقر لا يقطع عنقه إلا بإغناء المحتاج.

بينما عمر نصف النهار قائل في شجرة وإذا أعرابية فتوسمت الناس، فجاءته فقالت اني امرأة مسكينة، ولي بنون، وان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان بعث محمد بن مسلمة^(١) ساعياً، فلم يعطنا فلعلك يرحمك الله، أن تشفع لنا إليه قال: فصاح بيرفاً (خادمة) ان أدع لي محمد بن مسلمة فقالت: انه أنجح لحاجتي أن تقوم معي إليه، فقال: انه سيفعل ان شاء الله، فجاءه يرفاً فقال: أجب: فجاء فقال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين، فاستحيت المرأة فقال عمر: والله ما آلو أن اختار خياركم، كيف أنت قائل اذا سألك الله عز وجل عن هذه؟ فدمعت عينا محمد ثم قال عمر: ان الله بعث إلينا نبيه (ﷺ) فصدقناه واتبعناه فعمل بما أمره الله به، فجعل الصدقة لأهلها من المساكين، حتى قبضه الله على ذلك، ثم استخلف الله أبا بكر، فعمل بسنته حتى قبضه الله، ثم استخلفني فلم آل أن اختار خياركم، أن بعثت فأد إليها صدقة العام، وعام أول. وما أدري لعلي لا أبعثتكم. ثم دعا لها بجمل، فأعطاها دقيقتاً وزيتاً

١ محمد بن مسلمة بن سلمة الأوسي الأنصاري. صحابي. ولد قبل البعثة، استخلفه النبي (ﷺ) على المدينة في بعض غزواته، اعتزل الفتنة، أحمد بن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة الجزء السادس ص: ٢٣، مرجع سابق.

وقال: خذي هذا حتى تلحقينا بخير^(١) فانا نريدها، فأتته بخير، فدعا لها بجملين آخرين، وقال: خذي هذا فإن فيه بلاغاً حتى يأتيك محمد بن مسلمة، فقد أمرته أن يعطيك حقه للعام وعام أول^(٢).
 ٣ - العاملون عليها:

وهم الأمناء القائمون على جبايتها، وقسمتها، وتوزيعها ضمن جهاز اداري متعدد الاختصاصات، متكامل المهمات، فهؤلاء يعطون منها - ولو كانوا أغنياء - لقاء وظائفهم من غير تقتير ولا اسراف، لثلا يستغلوا شيئاً ولو قليلاً تافهاً لأنفسهم من مال الزكاة، أو يكتموه، أو يقبلوا هدية فيه، سواء تهاونوا مع المهدي لهم أو لم يتهاونوا^(٣) فعن أبي حميد الساعدي^(٤) قال: استعمل النبي (ﷺ) رجلاً

١ - خيبر. قرية على ثمانية برد من المدينة باتجاه الشام، بها مياه ومزارع وحصون، فتحها النبي (ﷺ) عام ٥٧هـ. وعامل أهلها ثم أجلاهم عمر بن الخطاب وقسم أراضيها على من له بها سهم. ياقوت الحموي. معجم البلدان الجزء الثاني. ص: ٤٠٩ مرجع سابق.

٢ - أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال ص: ٥٩٨ - ٥٩٩ مرجع سابق.
 ٣ - يدخل في مصرف العاملين على الزكاة، رواتب موظفي ديوان الزكاة الذين تعينهم الدولة في هذا العصر بشرط أن يكون الواحد منهم مكلفاً، مسلماً، أميناً قادراً على العمل. سواء كان جابياً أو حافظاً، أو كاتباً أو قاسماً. بل جميع ما يحتاج اليه فيها لدخولهم في مسمى العاملين عليها، راجع: عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن القاسم. حاشية الروض المربع. الجزء الثالث ص: ٣١٢ - ٣١٣ مرجع سابق.

٤ - أبو حميد الساعدي. عبدالرحمن بن سعد. صحابي شهد أحداً، توفي في آخر خلافة معاوية. راجع: أحمد بن حجر الاصابة الجزء السابع. ص: ٩٤ مرجع سابق.

من بني أسد^(١) يقال له ابن الأتبية^(٢) على صدقة فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، فقام النبي (ﷺ) على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: مابال العامل نبعثه فيأتي فيقول: هذا لك وهذا لي، فهلاً جلس في بيت أبيه فينظر أيهدى له أم لا؟

والذي نفسي بيده، لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، ان كان بغيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر. (٥) (٣)

وفي ذلك حفظ وأي حفظ لحقوق المحرومين من الفقراء والمساكين حتى تصل اليهم كاملة وافية كما أراد الله سبحانه، وأيضاً فيه تربية لكل موظف ان يعف عن أخذ الهدية في نطاق عمله الوظيفي، مما يبث الثقة في صدور الجميع.

١ - بنو أسد. فتح الهمة وسكون السين المهملة أحمد بن حجر فتح الباري. الجزء ١١٣ ص: ١٦٤ مرجع سابق.

٢ ابن الأتبية: هكذا بالهمزة في هذه الرواية. وفي روايات أخرى باللام المضمومة وهو: عبدالله، واللتبية أمه، صحابي راجع احمد بن حجر فتح الباري الجزء ١١٣ ص: ١٦٤ مرجع سابق. الاصابة. الجزء الرابع. ص: ٢٢٠ مرجع سابق.

(*) تيعر: من اليعار وهو صوت الشاة الشديد، راجع: أحمد بن حجر فتح الباري. الجزء الثالث عشر ص: ١٦٦. مرجع سابق.

٣ - رواه البخاري. أحمد بن حجر. فتح الباري. الجزء الثالث عشر ص: ١٦٤ ح ٧١٧٤ كتاب الأحكام باب هدايا العمال. مرجع سابق.

٤ - المؤلفه قلوبهم:

وهم ممن يتألف لمعونة المسلمين، أو لكف أذاه عنهم، أو لترغيبه في الاسلام، أو لترغيب قومه فيه ^(١) وبحث شأنهم في غير بحثنا هذا أولى، إلا من جهة أن اعطاءهم من مال الزكاة يحثهم ويغريهم بالاسهام في علاج مشكلة الفقر، لما يدفعون زكاتهم المفروضة، أو لما يطوعون للاحسان للفقراء والمحتاجين.

٥ - في الرقاب:

وذلك بأن يعان المكاتب ^(٢) من مال الزكاة على تسديد ما التزم به أو بعضه، اذا عجز عن الأداء لتحرير رقبته، أو بأن يشتري من مال الزكاة العبيد والاماء فيعتقوا سواء فعل ذلك ولي الأمر، أو صاحب المال من زكاة ماله ^(٣) ومن باب أولى أن يصرف من هذا السهم قسط لتحرير أسرى المسلمين من عدوهم ^(٤) وفي تحرير الرقاب والأسرى

١ - علي بن محمد بن حبيب الماوردي . الأحكام السلطانية ص : ١٢٣ ، مرجع سابق .

٢ - المكاتب . هو العبد يطلب من سيده عتقه على مال يؤديه اليه ، أنظر : أبو الفداء اسماعيل بن كثير . تفسير القرآن العظيم . الجزء الخامس . ٩٥

٣ - خالف في استعمال هذا السهم للمكاتبين وعتق الرقاب معاً بعض العلماء لكن الصحيح جمعهم فيه كما قال أبو بكر بن العربي . أحكام القرآن الجزء الثاني . ص : ٩٦٨

٤ - عبدالرحمن بن محمد بن قاسم . حاشية الروض المربع . الجزء الثالث . ص : ٣١٦ مرجع سابق .

تمكين لهم من الاكتساب لأنفسهم، وفي فك الأسرى خاصة عودة لأعمالهم، مما يجعلهم عناصر نماء في المجتمع الاسلامي ومساهمين في علاج مشكلته الاقتصادية: الفقر

٦ - الغارمون:

الذين عليهم ديون وهم نوعان:

- أ - من غرم لمصلحة نفسه في طاعة، أو أمر مباح، وهو فقير لا يقدر على الأداء كله أو بعضه فإنه يعطى ما يكفي لتسديد دينه. ^(١) وفي ذلك انهاض له ليتدارك خلته ويستأنف عيشه الكريم.
- ب - ومن غرم لمصلحة ذات البين، ومثله من أعمال البر الجارية كمستشفى لعلاج الفقراء أو مدرسة لتعليمهم. ^(٢) فهؤلاء يعطون من الزكاة قدر ديونهم، ولو مع غناهم، تأييداً لمسلكتهم الخيرة واشاعة لمثل أخلاقهم، ومواقفهم النبيلة بين المسلمين.

٧ - في سبيل الله:

والمراد به على الغالب ^(٣) الجهاد:

١ - المصدر نفسه. الجزء الثالث. ص: ٣١٨ ٣١٩.

٢ - انظر: علي بن محمد بن حبيب الماوردي. الأحكام السلطانية. ص: ٢٣ مرجع سابق.

٣ - قلت ذلك لقول بعض العلماء بأن المراد به سائر القربات. انظر: عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم. حاشية الروض المربع الجزء الثالث. ص: ٣١٩ وما بعدها. مرجع سابق. وانظر: أبوبكر بن مسعود الكاساني. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. الجزء الثاني ص: ٤٥.

قال الطبري^(١) في تفسير قوله تعالى ﴿وفي سبيل الله﴾ يعني وفي النفقة في نصرة دين الله، وطريقته وشريعته التي شرعها لعباده بقتال أعدائه وذلك هو غزو الكفار.^(٢)

فيصرف هذا السهم للغزاة والمرابطين، لتجهيزهم بالمؤن والعتاد، وما يلزمهم قدر حاجتهم.^(٣)

٨ - ابن السبيل:

وهو المسافر المنقطع عن أهله وماله اذا لم يكن معه شيء، أو أصيبت نفقته، أو فقدت، سواء كان سفره ابتغاء للرزق، أو طلباً للعلم، أو حجاً الى بيت الله الحرام ونحو ذلك. فله في الزكاة سهم ليجتاز الى بلغته ومعه ما يكفيه في سفره.^(٤)

ولعل وصف ابن السبيل في هذا العصر ينطبق على اللاجئين من المسلمين الذين شردهم أعداء الاسلام من الكفرة والعلمانيين،

١ الطبري. هو محمد بن جرير أبو جعفر. ٢٢٤ ٣١٠هـ، مؤرخ ومفسر ومجتهد، توفي في بغداد. من مؤلفاته: تاريخ الأمم والملوك وتهذيب الآثار وجامع البيان. راجع: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. تاريخ وجامع البيان. الجزء الثاني. ص: ١٦٢ - ١٧٠

٢ - محمد بن جرير الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الجزء الرابع عشر ص: ٣١٩ مرجع سابق.

٣ - أنظر: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامه المغني. ويليهِ الشرح الكبير. الجزء الثاني. ص: ٧٠٠ - ٧٠١ مرجع سابق.

٤ - أنظر: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامه المغني الجزء الثالث. ص: ٧٠٢ ٧٠٣. مرجع سابق.

فحرموا من أموالهم وديارهم، واجتمع عليهم التشرد والفقر، وعلى أي حال ففي أي الوصفين «ابن السبيل» أو «الفقراء والمساكين» اعتبرناهم أقرب فهم من مستحقي الزكاة يعطون منها كفايتهم التي تسد عنهم منافذ الفاقة والبؤس.^(١)

تلك هي المصارف الثمانية المحددة لأموال الزكاة، تصرف إليهم وحدهم كل بلد على حدة إلا إذا اكتفوا، كما قال (ﷺ) فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم^(٢) وذلك لحرمة الجوار، وقرب دارهم من دار الأغنياء.^(٣) ولأن المقصود إغناؤهم.^(٤)

وان صرفها الساعي كلها عليهم، ولم يعد بشيء منها إلى بيت المال، فإن نقل منها بعضاً وفيهم محتاجون إليها، ردت إليهم لاستحقاقهم لها دون غيرهم، فقد حملت زكاة من الري^(٥) إلى

١ - من ذلك ما أفتى به الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، حيث حسن نقل زكاة الفطر إلى اللاجئين وأولاد المجاهدين لشدة حاجتهم وضرورتهم. وذلك في ١٦ رمضان ١٤٠٧هـ.

٢ - رواه البخاري. أحمد بن حنبل. فتح الباري. الجزء الثالث. ص: ٣٥٧ ح ١٤٩٦ كتاب الزكاة باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء حيث كانوا. مرجع سابق.

٣ - أبو عبيد القاسم بن سلام. الأموال ص: ٥٩٥. مرجع سابق.

٤ - موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المغني. الجزء الثاني. ص: ٥٣١. مرجع سابق.

٥ - الري. مدينة مشهورة من أمهات البلاد، وإعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، وإلى قزوین سبعة

الكوفة^(١) فردها عمر بن عبدالعزيز^(٢) الى الري.^(٣)

فإن كفتهم جميعاً أو استغنوا عنها لكفايتهم، أو طلب ولي الأمر نقلها لمصلحة شرعية أوكد كآخرين أعسر حالاً نقلت لمحاربة الفقر وقضاء ضرورة المسلمين.

قال ابن تيمية «يجوز نقل الزكاة وما في حكمها لمصلحة شرعية».^(٤) ، ومن ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى واليه على مصر عمرو بن العاص^(٥) عام الرمادة وهو عام المجاعة

= وعشرون فرسخاً. انظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان. الجزء الثالث. ص: ١١٦ مرجع سابق.

١ الكوفة. مصر مشهور بأرض بابل من سواد العراق، خطها سعد بن أبي وقاص بعد معركة القادسية المصدر نفسه الجزء الرابع ص: ٤٩٠.
٢- عمر بن عبدالعزيز بن مروان الأموي. أمير المؤمنين. ولد سنة ٦١هـ وبويع بالخلافة ٩٩هـ وتوفي ١٠١هـ وهو الامام العادل المشهورة سيرته. انظر: أبوالفداء اسماعيل بن كثير البدايةوالنهاية الجزء التاسع. ص: ١٩٤ - ١٨٥، ١٩٢ - ٢١٨

٣- أبويعيد القاسم بن سلام. الأموال ص: ٥٩٥. مرجع سابق.

٤- أحمد بن تيمية. الاختيارات الفقهية ص: ١٧٨

٥- عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي. أسلم قبل الفتح، أمير مجاهد، وأحد دهاء العرب في الاسلام. انظر: أحمد بن حجر الاصابة الجزء الرابع ص: ٦٥٠ مرجع سابق.

المشهور^(١) يقول: يا غوثاه، يا غوثاه للعرب، جهز لي عيراً، يكون أولها عندي، وآخرها عندك، تحمل الدقيق في العباء^(٢) فكان عمر يقسم ذلك بين الفقراء على ما يرى ويوكل على ذلك رجلاً^(٣).
 أما إذا لم تكفهم، أو أفقر أهل بلد من المسلمين بمجاعة، أو حريق، أو فيضان. وعجزوا عن علاج كارثتهم من أموال زكاتهم، أسعفوا من بيت مال الزكاة لأن المسلمين مهما تعددت شعوبهم: «كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٤).

المطلب الثاني:

انفاق مال الخمس والفيء

يشتمل مال الخمس: خمس الغنيمة، والحق به خمس الركاظ والمعادن.

١ - عام الرمادة. كان عام ١٨هـ. وسمي كذلك لأن الأرض اسودت من قلة المطر حتى عاد لونها شبيهاً بالرماد، وقيل: لأنها تسفي الرياح تراباً كالرماد. أنظر: أبو الفداء اسماعيل بن كثير. البداية والنهاية. الجزء السابع. ص: ٩٠ مرجع سابق.

٢ - العباء: جمع عباءة وهي ضرب من الأكسية. أنظر: مجد الدين الفيروزآبادي. القاموس المحيط مادة العباية. مرجع سابق. وانظر: أحمد ابن محمد المقرئ الفيومي. المصباح المنير. مادة عباءة مرجع سابق.
 ٣ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. المستدرک على الصحيحين. الجزء الأول. ص: ١٠٥ مرجع سابق. وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
 ٤ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري. الجزء الأول ص: ٤٣٨. ح ٦٠١١ كتاب الأدب. باب رحمة الناس والبهائم. مرجع سابق.

أ - خمس الغنيمة :

١ - تعريف الغنيمة :

الغنيمة في اللغة: الفوز بالشيء^(١) وفي الشرع: المال الذي يظفر به المسلمون من الكفار بالقتال، ويأخذونه عنوة وقهراً^(٢).

٢ - انفاق مالها:

لقد تولى المولى سبحانه قسمة الغنائم كما تولى قسمة الصدقات وبيتها كما في قوله تعالى: ﴿واعملوا انما غنمتم من شيء - فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾.

فمال الغنيمة يقسم على خمسة أقسام: قال في كتاب الأموال:

- أربعة منها للجيش المقاتل.

- وخمس واحد مقسم على أربعة:

- ربع لله ولرسوله ولذي قرباه (ﷺ).

- ربع لليتامى.

- ربع للمساكين.

- ربع لابن السبيل^(٣).

وهذا التقسيم لا محالة يسهم أيما اسهام في علاج الفقر ومطاردة

١ - مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط. مادة غنم. مرجع سابق.

٢ - أحمد بن تيمية. السياسة الشرعية ص: ٣٢ مرجع سابق.

٣ - سورة الأنفال. الآية: ٤١.

٤ - أبو عبيد القاسم بن سلام. الأموال ص: ١٣ - ١٤ . ٣٢٥. مرجع سابق.

آثاره من جهات عدة، فالأربعة أخماس سواء صرفت للخارجين في سبيل الله الغائمين لها دون أن يشاركهم فيها أحد من غيرهم، أو صرفت لهم ولمصالح الجيش عامة^(١) فإنها تسد حاجة الجند المقاتلين ويرزق منها عيالهم القاعدون وتمنع عنهم جميعاً الفقر والحرمان وتشد أزهرهم ولو إلى حين، أما الخمس الباقي فمنه:

- ربع لله ولرسوله وهو ربع واحد، كان (ﷺ) يحمل منه ويعطي، ويضعه حيث يشاء، ويصنع به ما يشاء.^(٢)

وهو يصرف بعد موته (ﷺ) في مصالح المسلمين عامة.^(٣) ولا ريب أن منها علاج ما قد ينوبهم من مشكلات اقتصادية وفي مقدمتها الفقر، حيث رده الخلفاء إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل.^(٤)

- وربع لذوي قربي رسول الله (ﷺ) وهم بنو هاشم، وبنو عبدالمطلب خاصة، صرفه إليهم رسول الله (ﷺ) للذكر مثل حظ الأنثيين لأنهم لا حق لهم في الصدقة.^(٥)

١ - أبوالحسن علي بن محمد الماوردي. الأحكام السلطانية ص: ١٢٧ مرجع سابق.

٢ - أبوعبيدة القاسم بن سلام. الأموال ص: ٣٢٦ مرجع سابق.

٣ - أبوالحسن الماوردي. الأحكام السلطانية. ص: ١٢٧ مرجع سابق.

٤ - يعقوب بن ابراهيم أبويوسف. كتاب الخراج ص: ١٩ مرجع سابق.

٥ - المصدر نفسه ص: ٢٠ أنظر: أبوالحسن الماوردي. الأحكام السلطانية.

ص: ١٢٧ مرجع سابق.

وبعد موته عليه الصلاة والسلام صرفه الخلفاء في مصالح المسلمين^(١) كسابقه .

- وربع لليتامى واليتيم هو من مات أبوه قبل بلوغه^(٢) سواء كان غلاماً أو جارية، وهو يعطى من الغنيمة اذا كان من ذوي الحاجات سداً لخلته

- وربع للمساكين، وهم الذين لا يجدون كفايتهم، كما تقدم في مساكين الزكاة فيعطون من الغنيمة ليعم التوزيع، ولا يبيت محتاج بين المسلمين.

- وربع لابس السبيل وهو المسافر الذي لا يجد كفايته، فينال سهمه الذي يدفع به الحرمان عن نفسه ريثما يبلغ مقصده أو ماله^(٣). تلك قسمة أموال الغنائم - المنقولة أما العقارات من الأراضي، فلولي أمر المسلمين الاجتهاد في شأنها بما تقضيه المصلحة، فإن عاملها معاملة الأموال، أو جعلها أرض خراج^(٤) فإن نفعها متحقق وأثرها أكيد في محاصرة الفقر، واغناء المحتاجين وقضاء مصالح المسلمين بما تدره من غلات.

١ - يعقوب بن ابراهيم أبويوسف. كتاب الخراج ص: ١٩ مرجع سابق.

أبوعبيد القاسم بن سلام. الأموال ص: ٣٣٢ مرجع سابق.

٢ في الحديث الشريف. لا يتم بعد احتلام. أبوداود سليمان بن الأشعث

السجستاني. سنن أبي داود الجزء الثالث. ص: ٢٩٣ - ٢٩٤ ح ٢٨٧٣

كتاب الوصايا باب ما جاء متى ينقطع اليتيم؟ مرجع سابق.

٣ - أبوالحسن علي بن محمد الماوردي. الأحكام السلطانية ص: ١٢٧، مرجع

سابق.

٤ - يحيى بن آدم القرشي. الخراج ص: ١٩

ب - خمس الركاز والمعدن:

١ - تعريفها:

- الركاز عند أهل الحجاز - كثر الجاهلية ودفنها، لأن صاحبه ركزه في الأرض أي ثبته

- والركاز عند أهل العراق: المعدن، لأن الله تعالى ركزه في الأرض ركزاً. (١)

والأقرب أن الركاز يقع على كل واحد منها «الكنز والمعدن» الآ أن اطلاقه مجاز على الأول، حقيقة في الثاني، لكونها مركوزين في الأرض. (٢)

وقد قيل لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (٣) ان فلاناً قد أصاب معدناً فذهب إليه، فقال: أين الركاز الذي أصبت.

١ - أبوالسعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري . جامع الأصول في أحاديث الرسول (ﷺ) تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط . الجزء الرابع . ص: ٦٢١ ، ويؤيد ذلك المعنى اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي . القاموس المحيط، مادة ركز. (مرجع سابق).

٢ - انظر: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم . حاشية الروض المربع . الجزء الثالث . ص: ٢٣٨ مرجع سابق.

٣ - علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي . ولد قبل البعثة بعشر سنين . وأول من أسلم من الصبيان، وهو أمير المؤمنين، قتل عام ٤٠ هـ . أحمد بن حجر الإصابة الجزء الرابع . ص: ٥٦٤ . مرجع سابق.

وعلق أبو عبيد^(١) فقال: ألا ترى أن علياً قد سمي المعدن ركازاً^(٢).

٢ - انفاقها قديماً وحديثاً:

قال (ﷺ) وفي الركاز الخمس^(٣) فالسنة فيه اذن أن يخمس، فيستخلص خمسة لبيت المال وينفق في مصالح المسلمين المتعددة على اجتهاد من ولي الأمر، ويعطى سائره لمن وجده.

وجرى عمل السلف على ذلك لما كان هذا المورد غير دوري، وإنما يخضع للمفاجأة، أو لوسائل انتاجية محدودة جداً كالنفاس أو القدوم ونحوهما، أما وقد عرفت في هذا العصر المناجم المتعددة، والمحاجر الواسعة، وآبار الزيت الغنية مع ما يتطلبه استغلالها من نفقات طائلة، ووسائل ضخمة متخصصة، وما تدره من خيرات طائلة، كل ذلك يقوي الرأي القائل^(٤) بأن جميع ما يخرج من باطن

-
- ١ - أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي ١٥٠ - ٢٢٢هـ ولد بهراة توفي بمكة المكرمة، وهو محدث حافظ، وفقه، ومقرئ، وله مصنفات في علوم القرآن والحديث واللغة انظر: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد الجزء الثاني عشر ص: ٤٠٣ - ٤١٦. مرجع سابق.
 - ٢ - أبو عبيد القاسم بن سلام. الأموال ص: ٣٤٠ - ٣٤١. مرجع سابق.
 - ٣ - رواه البخاري: أحمد بن حجر فتح الباري. الجزء الثالث. ص: ٣٦٤ ح ١٤٩٩ كتاب الزكاة. باب في الركاز الخمس. مرجع سابق.
 - ٤ - حلقة الدراسات الاجتماعية لجامعة الدول العربية الدورة الثالثة محاضرات الأساتذة. عبدالرحمن حسن. ومحمد أبوزهرة. وعبدالوهاب خلاف. ص: ٢٣٠.

الأرض من المعادن يجب أن يكون عائده ملكاً لبيت المال.
ولعل فيما يستخرج من البحر من الجواهر الكريمة شبيهاً بالمعادن
المستخرجة من الأرض، فقد قال أبو يوسف^(١) فيما يخرج من البحر من
الحلية والعنبر (أي الطيب) الخمس.^(٢)

لذا. فمصلحة المسلمين عامة تقتضي أن توضع تلك
الثروات تحت تصرف ولي أمرهم ويستغلها لفائدتهم، سواء مباشرة
أو أن يؤجر شركة، أو جهة تستغلها لحسابهم، وينفق عوائدها -
بأمانة - في مصالحهم الأوكد فالأوكد، حتى لا تقع في أيد مفسدة
تبذرهما، أو تكون مدعاة للقتال والثورات المدمرة، بل أن تسكت
أفواهاً جائعة، وتملاً بطوناً خاوية، وتكسي أجساداً عارية.

ج - الفقيه:

١ - تعريفه:

- لغة: ما كان شمساً فينسه الظل، والغنيمة والخراج.^(٣)
- شرعاً: ما أخذ بحق بغير قتال من مال مشرك أي كافر وما تركوه

١ أبو يوسف. يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري البغدادي. (١١٣)
١٨٢هـ) فقيه مجتهد مشهور صاحب أبي حنيفة، وروى عنه أحمد بن حنبل
وغيره تولى قضاء بغداد طويلاً، أنظر: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد
الجزء الرابع عشر ص: ٢٤٢ - ٢٦٢ مرجع سابق.

٢ - أنظر: يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف. كتاب الخراج ص: ٧٠ مرجع سابق.
أبو عبيد القاسم بن سلام. الأموال. مرجع سابق، أحمد بن حجر. فتح
الباري الجزء الثالث ص: ٣٦٢ - ٣٦٣. مرجع سابق.

٣ - مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط مادة الفيه. مرجع سابق.

فزعاً منا . سمي بذلك لأنه رجع من المشركين الى المسلمين .^(١)

قال الله تعالى :

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير * ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾^(٢)

٢ - انفاق مال الفيء :

قال جمهور العلماء بأن مال الفيء - المنقول والثابت لا خمس فيه^(٣) وانما يوقف وتصرف ايراداته جميعاً على المسلمین أجمعين، فتجري الأرزاق عليهم الأحوج فالأحوج، وتنفق الأموال على مصالحهم الأهم فالأهم، ويكمل بها ما بأبواب ميزانية الزكاة من نقص، حتى يعم الرخاء، فلا فقر، وتتأكد العدالة التي لا يمكن أن توجد إلا في الاسلام وحده.

١ - عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم . حاشية الروض المربع الجزء الرابع . ص :

٢٨٩ - ٢٩١ مرجع سابق .

٢ - سورة الحشر الآيتان : ٦ ، ٧

٣ - عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن قاسم . حاشية الروض المربع . الجزء الرابع . ص :

٢٩١ - ٢٩٥ مرجع سابق .

قال عمر رضي الله عنه لمن طالبه من الصحابة، بقسمة الفيء
 «قد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء - فلو قسمته لم يبق
 لمن بعدكم شيء، ولئن بقيت ليلغن الراعي بصنعاء^(١) نصيبه من هذا
 الفيء ودمه في وجهه.^(٢)»

المطلب الثالث

انفاق مال الجزية والخراج والصوافي والقطائع وعشور التجارة

أ - مال الجزية :

١ - تعريف الجزية :

لغة: خراج الأرض وما يؤخذ من الذمي.^(٣)
 جاء في اللسان: ما يؤخذ من أهل الذمة.^(٤)
 - شرعاً: الجزية هي: مال يؤخذ من أهل الذمة على وجه الصغار كل
 عام، بدلاً من قتلهم واقامتهم بدارنا.^(٥)

١ - صنعاء. أحسن بلاد اليمن. بينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً، أنظر:
 ياقوت الحموي. معجم البلدان الجزء الثالث. ص: ٤٢٥. مرجع سابق.
 ٢ - يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف. الخراج. ص: ٢٤. مرجع سابق.
 ٣ - مجدالدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط. مادة: الجزاء. مرجع سابق.
 ٤ - جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. لسان العرب مادة: جزی. مرجع
 سابق.

٥ - عبدالرحمن بن محمد بن قاسم. حاشية الروض المربع. الجزء الرابع ص:
 ٣٠٥ - ٣٠٦. مرجع سابق. وانظر: قاسم القونوي. أنيس الفقهاء ص:

٢ - انفاق مال الجزية:

من خلال التعريف الاصطلاحي نتبين أن الجزية لا تشمل (خراج الأرض) كما عبرت عن ذلك قواميس اللغة، وإنما هي مقتصرة على ما يدفعه الرجل الذمي البالغ القادر عليها، وذلك عن نفسه لا عن أرضه.

وقد شرع المولى سبحانه أخذ الجزية منه فقال:

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(١).

فبذلك فالجزية مورد من موارد بيت مال المسلمين تتحصل من أهل الذمة، وتصرف بالاجتهاد - حيث لم يرد تحديد بين في وجوه صرفها لا في كتاب الله ولا في سنة رسوله (ﷺ) - في باين كبيرين هما:

١ - يعال منها ومن غيرها من أموال بيت مال المسلمين من افتقر من أهل الذمة: فقد تضمن كتاب خالد بن الوليد^(٢) الى أهل

١ - سورة التوبة الآية: ٢٩

٢ - خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي . أسلم قبل الفتح ، وهو سيف الله المسلول ، أحد قادة الجهاد في الفتوح . أنظر: أحمد بن حجر الاصابة .

الجزء الثاني . ص: ٢٥١

الحيرة^(١) في عهد أبي بكر^(٢) رضي الله عنه وجعلت لهم «يعني أهل
الذمة المذكورين» أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من
الآفات، أو كان غنياً فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه،
طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار
الهجرة ودار الاسلام.^(٣)

وكذلك أجرى عمر رضي الله عنه مثل ذلك على شيخ منهم
يسأل الناس من بيت مال المسلمين.^(٤)

٢ - يوكل انفاقها الى ولي الأمر، فيضعها فيما يرى من مصالح
المسلمين المتنوعة، اتفق على ذلك أهل العلم^(٥) وطبيعي أن
يلاحظ القائم بالأمر في ذلك أحوال مواطنيه المادية
والاجتماعية، فينفق منها ما يعالج به الفقر والحرمان ويخلصهم
من آفاتهما.

-
- ١ - الحيرة. مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف. انظر:
ياقوت الحموي. معجم البلدان. الجزء الثاني. ص: ٣٢٨ مرجع سابق.
 - ٢ - أبو بكر الصديق. هو عبدالله بن عثمان بن عامر القرشي التميمي، خليفة
رسول الله (ﷺ) ولد بعد عام الفيل بستين توفي ١٣هـ. انظر: أحمد بن
حجر. الاصابة. الجزء الرابع. ص: ١٦٩ مرجع سابق.
 - ٣ - يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف. الخراج: ص: ١٤٤ مرجع سابق.
 - ٤ - المصدر نفس. ص: ١٢٦
 - ٥ - نقل الاتفاق محمد بن أحمد القرطبي ابن رشد الحفيد. بداية المجتهد ونهاية
المقتصد. الجزء الأول. ص: ٤٠٦. ونقل عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.
حاشية الروض المربع الجزء الرابع. ص: ٢٩١ مثله قائلاً ان سائر الأموال
السلطانية لجميع المصالح اتفاقاً.

ب - مال الخراج:

١ - تعريف الخراج:

- كغة: الاتاوة^(١) وما يحصل من غلة الأرض.^(٢)

- شرعاً: ما وضع على رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها.^(٣)

٢ - مصارفه:

أول من فرضه أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه لما رأى عدم قسمة الأرضين التي فتحت قهراً، أو التي صولح أهلها، بين من افتتحها من المسلمين، قال عمر رضي الله عنه كيف أقسمه لكم، وأدع من يأتي بغير قسم؟ فأجمع على تركه وجمع خراجه، واققراره في أيدي أهله، ووضع الخراج على أراضيهم، والجزية على رؤوسهم.^(٤)

وهكذا صار الخراج من أهم الموارد المالية الإسلامية يجبي على الأرض المستغلة بشروط مقدرة.^(٥) ثم ينفق في منافع المسلمين كلهم، على اجتهاد من ولي أمرهم، تحقيقاً لحسن توزيع الثروة بينهم واحتياطاً للأزمات الاقتصادية الطارئة، كما قال عمر رضي الله عنه:

١ - مجد الدين الفيروزآبادي. القاموس المحيط مادة الأتو. مرجع سابق.

٢ - أحمد بن محمد بن علي الفيومي. المصباح المنير. مادة: خرج مرجع سابق.

٣ - أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. الأحكام السلطانية. ص: ١٤٦ مرجع سابق.

٤ - يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف. الخراج. ص: ٣٥ مرجع سابق.

٥ - أبو الحسن الماوردي. الأحكام السلطانية ص: ١٤٨ مرجع سابق.

«أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهم لا يحتجن الى أحد

بعدي». (١)

ج - مال الصوافي (وهي القطائع):

١ - تعريفها:

الصوافي هي الأراضي التي استصفها عمر رضي الله عنه، أي ضمها وجعلها خالصة لبيت مال المسلمين، لأنها أما أصبحت بدون مالك هرب أهلها، أو لقتلهم في الحرب مع انعدام الوارث، وأما كانت تابعة للملوك السابقين وآلهم، وأما غياضاً (٢) ونحوها. (٣) جميع تلك الصوافي جعل عمر رضي الله عنه ثمرتها لبيت المال مباشرة، ولم يقطعها لأحد في حين اقتطعها عثمان (٤) رضي الله عنه، وتوسع في اقتطاعها، أي وزعها على من يتعهدا بالزراعة والغراسة على شرط الاجارة لا التملك (٥) فسميت بالقطائع لأنه رأى أن ذلك أوفر لغلتها، وليت المال، وفعلاً نجح مشروعه رضي الله عنه

-
- ١ - يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف: الخراج. ص: ٣٧. مرجع سابق.
 - ٢ - الغياض جمع غيضة وهي الأجمة، ومجتمع الشجر في مغيض ماء. انظر: مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط مادة. غاض مرجع سابق.
 - ٣ - يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف. الخراج. ص: ٥٧. مرجع سابق.
 - ٤ - عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي. ولد بعد عام الفيل بست سنين. أسلم قديماً قتل وهو أمير المؤمنين عام ٣٥هـ. أحمد بن حجر الاصابة الجزء الرابع. ص: ٤٥٦. مرجع سابق.
 - ٥ - لأنه اشترط أن يأخذ من كل من استلم قطعة حق الفي. انظر: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. الأحكام السلطانية ص: ١٩٣. مرجع سابق.

فتوفرت إيراداتها حتى بلغت خمسين ألف ألف درهم^(١) بعدما كانت سبعة آلاف ألف درهم.^(٢)

٢ - انفاقها:

تنفق مداخليل الصوافي أو القطائع كسابقتها أموال الخراج، فيما يراه ولي الأمر من المصالح العامة لجماعة المسلمين، كرواتب المستخدمين، وتأمين المرافق العامة، والأعطيات وفق ضوابط معينة كالتى وضعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنها، الرجل وتلاده^(٣) في الاسلام، الرجل وقدمه في الاسلام، والرجل وحاجته في الاسلام.

وبارز فيها تقديره مدى احتياج الأفراد وفقدهم ومراعاته في العطاء، ذلك في الأحوال العادية، أما في الظروف الاستثنائية كسنوات القحط والمجاعة ونحوها، فما لا ريب فيه أن يقدم المحتاجون الأول، فالأول لكسر حدود الكساد، والفقير، ودفع عجلة الاقتصاد من جديد نحو الرخاء، كما حدث عام الرمادة.

١ - المصدر نفسه. ص: ١٩٣

٢ - يعقوب بن ابراهيم أبويوسف. الخراج. ص: ٥٧. مرجع سابق.

٣ - التلاد: ما ولد عندك من مالك، ومن ولد بالعجم وحمل سغيرا الى بلاد الاسلام، وكل مال قديم. أنظر: مجدالدين الفيروزآبادي. القاموس المحيط مادة. التالذ.

قال اليعقوبي^(١) أصاب الناس جذب، وقحط، ومجاعة، شديدة، في عام الرمادة وهي سنة ١٨ هـ. وأجرى عمر الأقوات في تلك السنة على عيالات قوم من المسلمين، وأمر أن تكون نفقات أولاد اللقط، ورضاعهم من بيت المال.^(٢)

د - مال عشور التجارة:

١ - تعريفه:

هو ما يدفعه التاجر الحربي أو الذمي، إذا اجتاز بتجارته حدود بلاد المسلمين، دخولاً أو خروجاً بشروط مقدرة.^(٣) فهي عبارة عن ضرائب جمركية يدفعها الأول معاملة بالمثل، والآخر حماية للسوق الإسلامية وتحقيقاً لمصلحة المجتمع.

وأما أعشار أموال المسلمين المتنقلة في دار الاسلام، من بلد الى

١ - اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر وهب بن واضح المعروف

باليقوبي. مؤرخ عباسي. توفي ٢٨٤ هـ. أنظر: ياقوت الحموي. معجم

الأدباء. الجزء الخامس. ص: ١٥٣ - ١٥٤

٢ - أحمد بن أبي يعقوب. الكاتب العباسي المعروف باليقوبي. تاريخ اليعقوبي.

الجزء الثاني. ص: ١٥٠

٣ - عبدالرحمن بن محمد بن القاسم. حاشية الروض المربع الجزء الرابع. :

٣١٨ مرجع سابق. يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف. الخراج. ص: ١٣٢

- ١٣٧ مرجع سابق.

بلد فمحرمه، لا يبيحها شرع ولا يسوغها اجتهاد.^(١)
والعشور المتقدمة موارد وضعها عمر رضي الله عنه وسرى
العمل بجبايتها الى بيت المال.

٢ - انفاقه:

لابد من التفريق بين عشور المسلمين اذ سبيلها الزكاة وتصرف
مصارفها، أما عشور الذميين وأهل الحرب جميعاً فتضم الى أموال
الخراج وتصرف مصرفه.^(٢)

المطلب الرابع

انفاق مال الضوائع وما في حكمها

١ - تعريف الضوائع:

الضوائع هي الموارد التي لا يعرف لها مالك^(٣) ويمكن أن يضاف
اليها ما في حكمها مثل:
- تركة من لا وارث له.

١- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي . الأحكام السلطانية . ص: ٢٠٨ . مرجع سابق
سابق . عبدالرحمن بن محمد بن القاسم . حاشية الروض المربع . الجزء
الرابع . ص: ٣١٩ . مرجع سابق .

٢ - انظر: يعقوب بن ابراهيم أبو يوسف . الخراج . ص: ١٣٤ . مرجع سابق .

٣ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي . الأحكام السلطانية . ص: ٢١٣ . مرجع سابق .

- الأوقاف التي لا متولي لها .

- المال الذي أنكره أصحابه الحقيقيون لشبهة فيه .

- المال الضائع كاللقطة، والودائع، والعواري التي لم يعرف مالكوها .

- المال المصادر من النقائص لعهد من الذميين، أو من عمال الدولة إذا ثبت سوء تصرفهم . ونحوه. ^(١)

٢ - انفاق مالها:

تلك الأموال كلها: العقار منها والمنقول، من حقوق بيت مال الضوائع، تصرف جميعها للفقراء لا يشاركون فيها غيرهم، فيعطون منها نفقتهم، أدويتهم، وتؤدى منها عنهم ديات الخطأ، ويكفن منها موتاهم وسائر ما يلزم، فهو بيت مال الفقراء حقاً وصدقاً. ^(٢)

المطلب الخامس

النفقات الاضطرارية

لقد تحدثت عن النفقات العامة التي تعالج بها الدولة الاسلامية مشكلة الفقر بين مواطنيها في الأحوال التي تكون فيها بيوت المال

١ - انظر: مثلاً عبدالرحمن بن محمد بن قاسم . حاشية الروض المربع . الجزء الرابع . ص؛ ٢٩٠ مرجع سابق . أحمد بن تيمية . السياسة الشرعية ص: ٤٠ - ٤١ مرجع سابق .

٢ - محمد أبوزهرة . بحث له بعنوان الزكاة . مجلد التوجيه التشريعي في الاسلام . الجزء الثاني ص: ٩٨ من بحوث المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الاسلامية ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م . وانظر له أيضاً: التكافل الاجتماعي . ص: ٧٤

عامرة، ومنها ما حدده الله سبحانه، ومنها ما سكت عن بيانه حتى يكون لولاة الأمر حرية التصرف فيه لمقابلة طوارئ الفقر والحرمان والاحتياجات المتجددة للأمة.

أما اذا نفذ ما في بيوت المال من الموجودات، وعجزت الدولة عن تحقيق مصالح المسلمين العامة الأكيدة كدفع مجاعة عنهم أو خطر يهدد البلاد، فإن لولي الأمر تدبير موارد اضافية لينفق منها ما يلزم كفاية الفقراء من الحاجات الأصلية من مطعم، ومشرب وملبس، ومسكن، ورعاية صحية، وتعليم، وما يكفي لسد الحاجات الأخرى، ولا يتركهم فريسة للحرمان يتضورون جوعاً، ويفترشون الأرض، ويلتحفون السماء، أو ينخرهم الجهل وتعشش فيهم الأمراض.

بل يتدارك حالهم بتدابير مؤقتة ولكنها ناجعة، ريثما تستأنف عجلة الاقتصاد دورتها، ويعم الرخاء من جديد، ويعود الانفاق من موارده الاعتيادية.

أما تلك الموارد الاستثنائية التي رخص لولي الأمر أن يلجأ للانفاق منها في مثل هذه الحالة فهي:

١ - تعجيل الزكاة:

ولقد روي فيه قوله (ﷺ) لعمر رضي الله عنه: انا قد أخذنا

زكاة العباس^(١) عام الأول للعام^(٢)، وهو جائز بشروط معينة^(٣) وقد أوجبه بعض المالكية إذا كانت الزكاة ستنتقل الى فقير أشد حاجة^(٤)، وتأسيساً على ذلك فلولي الأمر أن يستعجل من يراه من الأغنياء زكاة أموالهم لذلك الغرض المعلوم.

٢ - نذب المسلمين للتبرع من أموالهم:

وقد تضمنه القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا

١ - العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، ولد قبل رسول الله (ﷺ) بستين، أسلم قبل الفتح وهاجر وهو عم النبي (ﷺ) وقد روى عنه أحاديث. انظر: أحمد بن حجر الاصابة الجزء الثالث ص: ٦٣١ مرجع سابق.

٢ - رواه الترمذي. أبوبكر بن العربي. عارضة الأحوذى الجزء الثالث ص: ١٩٠ في الزكاة. باب ما جاء في تعجيل الزكاة. قال أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث. رواه أحمد في المسند حديث ٨٢٢ على سعيد بن منصور. وهو اسناد صحيح.

٣ - أنظر: موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامه المغني الجزء الثاني. ص: ٥٠٠ - ٥٠٣. مرجع سابق.

٤ - محمد بن أحمد بن عرفه الدسوقي. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير. الجزء الأول. ص: ٤٥٩.

والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون»^(١).

وقال (ﷺ):

«من كان له فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، قال الراوي: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»^(٢).
ومؤدى ذلك مكافحة الفقر من جميع أفراد الأمة، وإقامة مجتمع متكافل يعمل جهده على سد حاجاته الاضطرارية

٣ - بيع بعض أملاك الدولة:

وهو اجراء يقدره ولي الأمر، فيبيع بعض ما تحتفظ به الدولة من أملاك خالصة لها، لقضاء حوائج المسلمين الأكيدة وفي أولها دوغما ريب تحقيق كفايتهم من العيش الملائم لهم.

قال محيي الدين النووي^(٣) للسلطان الظاهر بيبرس^(٤) لما أراد

١ - سورة البقرة. الآية: ١٧٧

٢ - مسلم بن الحجاج النيسابوري. صحيح مسلم. الجزء الثالث ص:

١٣٥٤ ح ١٧٢٨ كتاب اللقطة، باب استحباب المؤسة بفضول المال.

٣ - محيي الدين النووي. يحى بن شرف الدمشقي الشافعي ٦٣١ - ٦٧٧هـ،

المحدث الحافظ الفقيه. له: الأربعون النووية، ورياض الصالحين، انظر:

أبو عبدالله شمس الدين الذهبي. تذكرة الحفاظ الجزء الرابع ص: ١٤٧٠

١٤٧٤هـ.

٤ - الظاهر بيبرس. أحد المماليك تركي الأصل تولى سلطنة مصر ١٢٦٠ =

فرض الضرائب على الشعب:
لا يجل أن يؤخذ من الرعية شيء مادام في بيت المال شيء من نقد، أو
متاع، أو ضياع تباع، أو غير ذلك، وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد
السلطان (يعني ببيرس) متفقون على هذا. (١)

٤ - التوظيف على الأغنياء مقدار الحاجة:

وذلك أمر متفق عليه بين أهل العلم فقد قال القرطبي: (٢)
«اتفق العلماء أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب
صرف الأموال اليها»^(٣) وذكر ابن حزم^(٤) بصراحة أنه:

فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم
ويجبرهم السلطان على ذلك، ان لم تقم الزكاة بهم، ولا في سائر

= ١٢٧٧م وجاهد الصليبيين جهاداً مريراً مشرفاً. انظر: سعيد عبدالفتاح
عاشور الظاهر ببيرس.

١ - نقلته عن يوسف القرضاوي. فقه الزكاة. الجزء الثاني. ص: ١٠٩١ ولم
يذكر مرجعه ولم أعثر عليه

٢ - القرطبي. محمد بن أحمد الأندلسي المالكي أبو عبدالله توفي سنة ٦٧١هـ
مفسر له: الجامع لأحكام القرآن وغيره، انظر: أبو الفلاح عبدالحى بن
العماد الحنبلي. شذرات الذهب الجزء الخامس. ص: ٣٣٥.

٣ - محمد بن أحمد أبو عبدالله القرطبي. الجامع لأحكام القرآن الجزء الثاني ص:

٢٢٣

٤ - ابن حزم. علي بن أحمد الأندلسي القرطبي ٣٨٤ ٤٥٦هـ المحدث الفقيه
الأصولي. له المحلى، والأحكام والفصل. انظر: أبو عبدالله شمس الدين
الذهبي. تذكرة الحفاظ الجزء الثالث ص: ١١٤٦ - ١١٥٥ مرجع سابق.

أموال المسلمين بهم، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه،
ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنهم من المطر،
والصيف، والشمس، وعيون المارة. (١)

فولي الأمر العادل (٢) إذا خلا بيت المال، أو عجز عن الوفاء
بالكفاية للمستحقين، واستنفد ما هو أيسر من السبل (٣) أن يوظف في
الفضل الزائد عن حاجة الأغنياء نسباً يجيئها لفائدة الفقراء. قال
تعالى: ﴿خذ العفو﴾ (٤).

وهو ما يفضل عن حاجة المرء وعياله (٥) وما ذلك إلا لرفع
الحاجة عن الفقراء والمحتاجين وقضاء الحاجات الأخرى للأمة.

٥ - الاقتصار:

وهو أيضاً من التدابير الاضطرارية لعلاج مشكلة الفقر، يلجأ

١ - علي بن أحمد بن حزم. المحلى الجزء السادس. ص: ١٥٦
٢ نص على ذلك الشاطبي فقال: فلإمام اذا كان عدلاً أن يوظف على
الأغنياء. انظر: ابراهيم بن موسى الشاطبي. الاعتصام الجزء الثاني..
ص: ١٢١

٣ - منها ما أفتى به عز الدين بن عبدالسلام السلطان قطز، وهو بيع ما بقصره،
وقصور حاشتيه، من الأكسية المذهبة والآلات النفيسة. قبل فرض
الضرائب على الناس، انظر: جمال الدين يوسف بن تغري بردي: النجوم
الزاهرة. الجزء السابع. ص: ٧٢ - ٧٣.

٤ - سورة الأعراف. الآية: ١٩٩
٥ - أبو الفداء اسماعيل بن كثير تفسير القرآن العظيم. الجزء الثالث. ص:
٢٦٧ مرجع سابق.

اليه ولي الأمر اذا ضاقت به السبل عن فك طوق الفقر، فحق له حينئذ أن يقترض على بيت المال من البنوك الاسلامية أو من الأهالي الأغنياء كفاية ما يدفع به الأزمة عن المسلمين، وقد روي عنه (ﷺ) أنه قال: «انا كنا احتجنا فاستسلفنا العباس صدقة عامين»^(١). ولعل من ذلك ما اقترحه أبو الأعلى المودودي^(٢). من أن للدولة الاسلامية أن تأمر البنوك بإقراضها بدون فوائد جزءاً من ودائع الأفراد لديها.^(٣)

وليحذر الجميع أن يقربوا الربا والاقتراض به فإن الله قد حرمه، قال تعالى: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾^(٤).

فلا يساغ لمؤمن أن يستحله أو أن يستخدمه أو يتساهل في شأنه، والله سبحانه لا يبارك في كل تدبير عصي فيه، والأولى بالدولة الاسلامية أن تعتمد من الخطط ما لا يلجئها الى الاقتراض ابتداءً، كالادخار، والاستثمار مثلاً، فقد كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

١ رواه أحمد بن الحسين البيهقي. السنن الكبرى. والحديث ضعيف السند، ولكن تشهد له وتتابعه أحاديث أخرى في سنن أبي داود الجزء الثاني ص: ٢٧٣ كتاب الزكاة باب في تعجيل الزكاة، وفي سنن الترمذي. عارضة الأحوذى الجزء الثالث. ص: ١٩٠ في الزكاة باب ما جاء في تعجيل الزكاة وغيرها.

٢ - أبو الأعلى المودودي. أحد الدعاة الى الله تعالى، ومؤسس الجماعة الاسلامية بباكستان، وصاحب صحيفة ترجمان القرآن. وذو مصنفات عديدة توفي عام ١٣٩٩هـ.

٣ - أبو الأعلى المودودي. الحكومة الاسلامية. ص: ١٧٢

٤ - سورة البقرة. الآية: ٢٧٥

ينبه الى ذلك فيقول ناصحاً آخذي العطاء:

«فلو أنه إذا خرج عطاء أحد هؤلاء ابتاع منه غنماً فجعلها بسوادهم، فإذا خرج عطاؤه ثانية ابتاع الرأس والرأسين فجعله فيها، فإن بقي أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه، فإني لا أدري ما يكون بعدي، واني لأعم بنصيحتي من طوقني الله أمره، فإن رسول الله (ﷺ) قال:

من مات غاشياً لرعيته لم يرح رايح الجنة». (١)

أما إذا كان ليس من الاقتراض بد فلا أقل من أن تتجنب الدولة المرابين، ونهّازي الأزمات المطالبين بالامتيازات المخلة بمصالح المسلمين، وجميع تلك النفقات الاعتيادي منها أو الاضطراري تستهدف اقامة مجتمع اسلامي متميز بتكافله وتراحمه، فلا غني مترف وأخ له فقير مدقع، ولا بيت للمال عامر ومحتاج معدم، بل في المال قدر مبذول لمكافحة الفقر ومحو آثاره.

١ - هذا النص هو المذكور عند أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي المشهور بالبلاذري. فتوح البلدان. ص: ٤٥٧ - ٤٥٨. ولم أعره عليه بلفظه في كتب التخريج، وأصله كما في صحيح البخاري: «ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الآ حرم الله عليه الجنة» انظر: أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الثالث عشر ص: ١٤٧ ح ٧١٥١ كتاب الأحكام باب من استرعى رعية فلم ينصح. ورواه أيضاً مسلم بن الحجاج. الجامع الصحيح المسمى مسلم الجزء السادس ص: ٩ كتاب الامارة باب فضيلة الامام العادل وذلك بلفظ مقارب.

المبحث الثاني

آثار الانفاق في علاج مشكلة الفقر

ان السياسة المالية في الاسلام لا تكفي بتمويل الدولة بنفقاتها اللازمة، وانما تستهدف المساهمة في اقرار التوازن الاجتماعي والتكافل العام.^(١)

والهدف الرئيسي الذي يرمي الاسلام الى تحقيقه من هذه الفئات هو تحقيق العدالة التوزيعية بوجه خاص، والعدالة الاجتماعية بوجه عام، ومن هنا استهدفت السياسة المالية للدولة الاسلامية التأثير على الانتاج وعلى التوزيع من خلال سياسة انفاقية هادفة.^(٢)

ان الآثار الاقتصادية للانفاق في أي مجتمع لا تأتي منفصلة عن باقي الآثار الاجتماعية والسياسية بل قد تكون للآثار الاقتصادية آثار اجتماعية أو سياسية مقصودة بذاتها أو جاءت عفواً وبدون قصد كأثار جانبية فلا يمكن الفصل التام بين الآثار المختلفة للانفاق.^(٣) وحيث ان بحثي حول مشكلة الفقر وعلاجها فسوف أقصر حديثي على آثار الانفاق في الاسلام في علاج مشكلة الفقر.

١ - انظر: محمد باقر الصدر. اقتصادنا ص: ٢٣٧

٢ - انظر: الدكتور ابراهيم دسوقي أباطة. الاقتصاد الاسلامي مقوماته ومنهجه ص: ١٢١

٣ - انظر: أبحاث وتوصيات المؤتمر الأول للعدالة الضريبية بكلية التجارة. جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٠م نقلاً عن الدكتور عوف محمود الكفراوي. الآثار الاقتصادية والاجتماعية للانفاق العام في الاسلام ص: ٢٦

ان الاسلام عندما جعل من الانفاق وسيلة لمعالجة الفقر عمل على معالجة هذه المشكلة معالجة جذرية فهو يرى أن الاحسان لا يمكن الاعتماد عليه كوسيلة لمكافحة الفقر، فغير كاف أن يشرع واجب ديني يترك للفرد وحده أمر أدائه فيصبح عرضة للتترك والاهمال.

لابد من تشريع يفرض فرضاً وتحدد أركانه وشروطه وتحدد الأموال المطلوبة، والأموال التي تجب فيها وذلك حتى يمكن رسم سياسة ثابتة تقوم على أسس واضحة، ولا بد أن تكون هذه الأموال كافية يعتمد عليها في تخفيف ويلات الفقر وشروره.

ومن هنا. فرض الاسلام الزكاة وجعل أول مصارفها الفقراء والمساكين كما جاء في كتاب الله، وهذا يدل على أن الهدف الأول من الزكاة هو القضاء على الفقر والعوز، ويدل على ذلك أيضاً قول الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ حين بعثه الى اليمن، «وأعلمهم أن الله افترض في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم».

ان فريضة الزكاة وطريقة توزيعها تجعل لكل فرد في الدولة حقاً عليها توفر له الكفاية وفرض العمل وترعاه شيخاً وعاجزاً ومحتاجاً حقاً له عليها لا منة لأحد فيه، ومن هذا فإن الزكاة تحارب أسباب الفقر وتحول دون استفحاله

وتسهم بقية أوجه الانفاق الأخرى أيضاً في معالجة المشكلة كل في بابها.

إن للإنفاق في الاسلام دوراً بالغ الأهمية في علاج مشكلة الفقر

في المجتمع، فهو يعتبر بحق فعلاً في مكافحته لأسباب الإعسار،
وحربه لمظاهر الفاقة، وسعيه لإغناء أفراد المجتمع ليتفرغوا بكاملهم
لدورهم الايجابي في الحياة:

فرسول الله (ﷺ) مالبث بعد الهجرة أن آخى بين المهاجرين
والأنصار، ليكفل هؤلاء أولئك، ويغنوهم عما حرموا منه أموالهم
بمكة^(١) ثم ما لبث أيضاً أن عالج بحزم مشكلة فقر أصحابه
المهاجرين، مقيماً التوازن بينهم وبين اخوانهم الأنصار الذين تبوأوا
الدار من قبلهم، فقسم أموال فيء بني النضير على المهاجرين دون
الأنصار سوى رجلين ذكر له (ﷺ) فقرهما، فشمّلها بالقسمة^(٢)
ان الاسلام - كلما طبق - أثمرت سياسته في الانفاق آثاراً جليلة
في القضاء على الفقر، والتي أبرزها:

١ - كفاية الحاجات البشرية الأساسية:

ان نظام الانفاق الاسلامي يصل حتى الى القطاعات الأكثر
فقراً ولو كانت في أقاصي البادية، فيحقق لها كفايتها من الحاجات
البشرية الأساسية، وكفاية عيالهم، ليؤمن لهم كرامتهم بانتزاع قلق
الاحتياج، وذل السؤال ومرارة اللجوء الى الغير من نفوسهم، ثم
يهيئهم للمشاركة في الحياة العملية بإيجابية والتمتع بالحياة الاسلامية
الهنئية الآمنة.

١ - أبو محمد عبدالملك بن هشام. السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا
واخوانه الجزء الأول. ص: ٥٠٤.

٢ - المصدر نفسه.

٢ - التشجيع على العمل المنتج:

لما كانت الزكاة تعطى للعاجز عن الكسب، فإن القوي المكتسب لا حظ له فيها، بل فرض عليه العمل والتماس الرزق، في خبايا الأرض وأرجائها وكفاية نفسه ومن يعوله، وما ذاك إلا تشجيع له على الاحتراف وترك البطالة، وهما أمران لهما أثرهما البارز في محاربة الفقر ومكافحة آثاره من نواحي غناء العامل نفسه، وتحريك النشاط الاقتصادي، وزيادة فرص العمل، وتوفير مداخيل جديدة.. بل إن الزكاة تدعو أخذها أيضاً للعمل والجد والمثابرة وإثبات وجوده في الحياة عضواً فاعلاً يعطي للمجتمع ويسهم في بنائه، إن كان يقدر، لأنه يشعر حينها يأخذ نصيبه من المال أنه ينبغي ألا يبقى كل عام تمد له يد المعونة، بل يجب أن يكون ممن يعمل وينتج ويكافح ويكابد ليستغني بنفسه وليحقق عائداً لمجتمعه.^(١)

والخراج كذلك أيضاً روعي فيه تشجيع صاحب الأرض على زراعتها وزيادة حاصلاتها، وذلك لما خفف عليه في تقدير انتاجها، فترك له فضل ليشجع على فلحها، وأيضاً لما أخذت في الاعتبار العناية بمرافق الأرض من مال الخراج لزيادة انتاجها، وكذلك لما ألزم صاحب الأرض على دفع خراجها كلما عطلها قصداً منه وفوت على المسلمين تنمية اقتصادهم ومساعدة فقرائهم وما تلك التدابير إلا حث على العمارة وتوجيه للعمل إلى أفضل مستويات انتاجه أملاً في

١ - الدكتور محمد بن عبدالله الطيار. الزكاة ص: ١٨٥ من إصدارات جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٤٠٧هـ.

الاستغناء به عن الفقر والحرمان .

٣ - تكافؤ الفرص في امتلاك وسائل الانتاج :

يظهر من الوهلة الأولى أن نظام الانفاق في الاسلام لا يحقق سوى تكافؤ في الحد الأدنى من الدخل ، بحيث أنه يوزع بعدل ما يحقق الكفاف للجميع مع بقاء التفاوت صارخاً بين الفقراء وبين امكان الوصول الى امتلاك مصدر مستقل للكسب والاستغناء من ثم عن تلقي المساعدة والخروج من دائرة الفقر الى دائرة العيش الكريم .

فليس الانفاق في مرماء البعيد مجرد مساعدات توزع هنا وهناك من حين لآخر، تهدئة مؤقتة لآلام الفقر بحيث يظل المحتاج عالة أو طاقة معطلة وانما هو سعي جاد لإغناء المحتاج عمره كاملاً وذلك بتمليكه ما يستثمر فيغنى .

٤ - تحقيق التنمية الاقتصادية :

ان الانفاق على مستحقه له آثار اقتصادية هامة على الانتاج والاستثمار فمستحقو الانفاق من الفقراء والمساكين سوف ينفقونه في الغالب لقضاء حاجتهم الاستهلاكية سواء كانت سلعاً أو خدمات ، وهذا من شأنه أن يدعم حركة الاستهلاك ، من المعلوم اقتصادياً زيادة الاستهلاك تؤدي الى استثمار جديد ، فهذا الانفاق يؤدي الى ايجاد قوة شرائية ويؤدي الى نماء المال المزكى بزيادة الطلب على منتجاته وخدماته ، ولهذا قال الفقهاء ان الزكاة نماء للمال وبركة ، ولعل هذا

ما تشير اليه الآيات القرآنية^(١) ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾^(٢) ﴿الشیطان يعدكم الفقر ويأمرکم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم﴾^(٣) ﴿يحق الله الربا ويربي الصدقات﴾^(٤) وغيرها.

ان انفاق أموال الزكاة للفقراء والمساكين يستخدم كأداة لمساعدتهم في القيام باستثمارات صغيرة، ولذلك عندما يمنح الفقراء من أرباب المهن والحرف بعض رؤوس الأموال والتي تمكنهم من القيام بمشروعاتهم وبأعمالهم التجارية أو الصناعية والنهوض بها^(٥) فإن ما يصرف لمثل هؤلاء الأفراد قصد معاونتهم وتمكينهم من شق طريقهم له أكبر الأثر في شحذ همهم على العمل والانتاج.

والانفاق من حصيلة الزكاة لسداد ديون الغارمين يعني أن بيت المال يضمن للدائن وفاء دينه وفي هذا دعم للائتمان لأن المقترض في غير معصية للقيام بتجارة أو صناعة أو فلاحية يطمئن الى أنه اذا عجز عن سداد دينه فإن المجتمع ممثلاً في الدولة سوف يؤدي عنه دينه لذلك يتجنب الافلاس وما يؤدي اليه من حرمانه من المساهمة في النشاط الاقتصادي ومن ناحية أخرى فإن المقرض لا يحجم عن الاقراض مادام مطمئناً الى سداد دينه وبذلك تعمل الزكاة على تيسير

١ - الدكتور يوسف القرضاوي. فقه الزكاة. الجزء الثاني. ص: ٨٧٠.

٢ - سورة سبأ. الآية: ٣٩

٣ - سورة البقرة. الآية: ٢٦٨

٤ - سورة البقرة. الآية: ٢٧٦

٥ - انظر: ابراهيم دسوقي أباطه مرجع سابق. ص: ١٢٤

الائتمان وتشجيعه الأمر الذي له أكبر الأثر على تمويل التنمية الاقتصادية^(١)

كما أن للإنفاق على الغارمين بسبب المصالح العامة مع الفقر والغنى - كما ذكر الماوردي - من شأنه أن يشجع المسلمين على البذل في المصالح العامة دون الخوف من الحاجة، فلا تتعطل مصالح ضرورية انتظاراً للإنفاق العام مما يعود بالخير على الاقتصاد العام، ثم ان الإنفاق في الرقاب من شأنه أن يحرقوى عاملة لتساهم في الأعمال الاقتصادية المختلفة بما يعود عليهم وعلى المجتمع بمزيد من الانتاج الذي من شأنه أن يزيد فرص الاستثمار.^(٢)

٥ - وجود مجتمع التكافل والتضامن:

يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون الناس في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذو سلطان كفيلاً في مجتمعه يمدّه بالخير، وأن تكون كل القوى الانسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الأحاد.

والتكافل الاجتماعي في مغزاه ومؤداه أن يحس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات لهذا المجتمع يجب عليه أداؤها، وأن للفرد حقوقاً في هذا المجتمع يجب على القوامين عليه أن يعطوا كل ذي حق حقه وأن يدفع الضرر عن الضعفاء.

١ - انظر: عوف الكفراوي. مرجع سابق. ص: ٣٩.

٢ - المرجع نفسه

ان التكافل الاجتماعي يوجب سد حاجة المحتاجين ممن لا يستطيعون القيام بعمل، ومن هنا فإن المجتمع المتضامن المتكافل هو الذي يكون في حاجة ضعفائه ومحتاجيه حتى ليكاد يقضي على الفقر والعوز

وهكذا بالتقاء توجهات الاسلام وأحكامه في الحث على الاكتساب، وفي الأمر بالانفاق العام تضيق للخناق على الفقر وتشديد للحصار على أخطاره وما بقي إلا أن تكتمل الحلقة بالتكافل الاجتماعي الآتي الحديث عنه مفصلاً.

الفصل الثالث

الاسلام والتكافل الاجتماعي

يعتبر الاسلام المجتمع وحدة متماسكة، ما يصيب بعضه يصيبه كله، وتكون قوته بقوة افراده وشعار المجتمع الذي يريده الاسلام: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان﴾^(١). ولتحقيق هذا التعاون والتكافل تقصى الاسلام كل الفئات التي تحتاج الى عون المجتمع وعنايته فشرع لها من التشريعات ما يحقق لها حياة كريمة فشرع التكافل بين الفرد وأسرته القريبة، ﴿وبالوالدين احساناً﴾^(٢) ﴿ووصينا الانسان بوالديه . . .﴾^(٣) ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(٤) ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾^(٥).

ومن مظاهر التكافل العائلي في الاسلام ذلك التوارث المادي للثروة، هذا النظام الذي شرعه الاسلام مظهراً من مظاهر التكافل بين أفراد الأسرة الواحدة وبين الأجيال المتتابة، وشرع أيضاً التكافل

١ - سورة المائدة. الآية: ٢

٢ - سورة الاسراء. الآية: ٢٣

٣ - سورة لقمان. الآية: ١٤

٤ - سورة الأنفال. الآية: ٧٥

٥ - سورة البقرة. الآية: ٢٣٣

بين الفرد والجماعة وبين الجماعة والفرد، يوجب على كل منهما تباعات ويرتب لكل منهما حقوقاً، والتعاون بين جميع الأفراد واجب لمصلحة الجماعة في حدود البر والمعروف.

والجماعة مسئولة عن أفرادها جميعهم وهي مسئولة عن فقرائهم ومعوزيهم على وجه الخصوص أن تؤمن لهم كفايتهم، بالوسائل التي شرعها الاسلام، واذا بات فرد جائعاً فالأمة كلها تبيت، آثمة مالم تتحاض على اطعامه ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم، ولا تحاضون على طعام المسكين﴾^(١) وفي الحديث «أبما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله»^(٢) و «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له»^(٣).

والأمة المسلمة جسد واحد يحس احساساً واحداً وما يصيب عضواً منه يشتكي له سائر الأعضاء، هكذا صور الرسول عليه الصلاة والسلام التلاحم بين أفراد المجتمع المسلم يقول عليه الصلاة والسلام «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٤) كما رسم عليه الصلاة والسلام للتعاون والتكافل بين المؤمنين صورة

١ - سورة الفجر الآيتان ١٧ ، ١٨

٢ - رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والحاكم.

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي. الجزء الثاني عشر ص: ٣٣

٤ - رواه البخاري. فتح الباري. الجزء العاشر ص: ٣٤٨ ح ٢٠١١

أخرى معبرة دقيقة، «ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(١).

على هذه الأسس ومن هذه المنطلقات شرع الاسلام تشريعاته المحققة للتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع المسلم.

المبحث الأول مفهوم التكافل ودوافعه

أ - مفهومه :

لقد وردت اشتقاقات واستعمالات عدة لمادة - كفل - في لغة العرب، وفي كتاب الله تعالى، وسنة رسوله (ﷺ) نجتزئ منها ما يناسب هذا البحث:

١ - في اللغة:

الكافل هو الذي يعول انساناً وينفق عليه^(٢). جاء في اللسان^(٣) كفله يكفله وكفله اياه والكافل، والكفيل، والضامن.

١ - رواه البخاري. ابن حجر فتح الباري. الجزء الأول ٤٨١ ص: ٥٦٥. كتاب الصلاة باب تشييك الأصابع في المسجد وغيره.

٢ - مجد الدين الفيروز آبادي. القاموس المحيط مادة الكفل. مرجع سابق. أحمد ابن محمد المقرئ الفيومي. المصباح المنير مادة. كفل. مرجع سابق.

٣ - جمال الدين بن منظور. لسان العرب الجزء الحادي عشر مادة كفل.

وجاء في كتاب الله تعالى ﴿وكفلها زكريا﴾^(١).

بمعنى «يسر الله لها زكريا كافلاً»^(٢) أو ألزمه كفالتها، وقدر ذلك عليه، ويسره له^(٣)

﴿فقال هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾^(٤).

وقال سبحانه ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾^(٥)

قال الشوكاني^(٦) أي يحضنها^(٧) والحضانة تقتضي القيام بكل ما يلزمها.

وفي السنة: قال (ﷺ) «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا.»^(٨)

١ - سورة آل عمران. الآية: ٣٧.

٢ - عبدالرحمن بن ناصر السعدي. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الجزء الأول ص: ٣٧٦

٣ - محمد بن أحمد القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. الجزء الرابع. ص: ٧٠

٤ - سورة القصص. الآية: ١٢

٥ - سورة آل عمران. الآية: ٤٤.

٦ - الشوكاني. محمد بن علي الصنعاني ١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ مفسر، محدث فقيه،

أصولي، له إرشاد الفحول، والبدر الطالع، والفوائد المجموعة. انظر:

محمد بن علي الشوكاني. البدر الطالع الجزء الثاني ص: ٢١٤ - ٢٢٥

٧ - محمد بن علي الشوكاني. فتح القدير الجزء الأول ص: ٣٣٩ مرجع سابق.

٨ - رواه البخاري. أحمد بن حجر العسقلاني. فتح الباري الجزء العاشر ص:

٤٣٦. ح ٦٠٠٥ كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيماً، مرجع سابق.

قال ابن حجر^(١) أي القيم بأمره ومصالحه.^(٢)

ومن مجموع تلك الشواهد نتبين أن من معاني التكافل اعالة الانسان لآخر، والقيام به، وضمنان معيشته وضمه اليه.

٢ - وفي الاصطلاح:

عبارة «التكافل الاجتماعي» من العبارات المستخدمة التي لهج بها المصلحون وأداروها على ألسنتهم وأقلامهم من خلال مناداتهم بالعدالة الاجتماعية وتحقيق العدل والمساواة في المجتمع، والتكافل هو تفاعل - على ما تدل عليه اللغة - يقال: تكافل القوم اذا كفل بعضهم بعضاً، فهو كفالة متبادلة يتداعى بها أفراد المجتمع للتعاون في المنشط والمكره على تحقيق مصلحة أو دفع مضرة^(٣).

فالتكافل الاجتماعي في الاسلام في مفهومه العام لا يقتصر على سد حاجة الأفراد أو المجتمع مادياً حيث الغذاء والكساء والسكن من كل ما هو ضروري لقيام الحياة في صورتها المادية، بل يتناول حفظ

-
- ١ - ابن حجر هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ٧٧٣ - ٨٥٢هـ. الحافظ المحقق المشهور. صحب الحافظ العراقي توفي سنة ٨٠٦هـ وتلمذ عليه، ولي القضاء وصنف التصانيف الكثيرة النافعة أنظر: عبدالحى بن العماد الحنبلي. شذرات الذهب الجزء السابع. ص: ٢٧٠ - ٢٧٣ مرجع سابق.
 - ٢ - أحمد بن حجر. فتح الباري. الجزء العاشر ص: ٤٣٦. مرجع سابق.
 - ٣ - البهي الخولي. الثروة في ظل الاسلام. ص: ٢٣٥، ٢٣٦

مقومات الفرد الأساسية في الحياة من حفظ دينه ونفسه وماله ونسله وعقله. (١)

وحيث أن موضوع بحثي حول مشكلة الفقر ومعالجتها فإني سأقتصر من التكافل الاجتماعي على الجانب الذي يتصل به وهو التكافل أو التضامن المادي سواء أريد به:

ما تضمنه الدولة لكل فرد فيها، من مستوى لائق للمعيشة، بحيث إذا حال الفقر أو المرض أو الشيخوخة دون تحقيق هذا المستوى تكفلت الدولة بتحقيقه (٢)

أو ما شرع للمسلمين - على الكفاية - من كفاية بعضهم لبعض في حدود ظروف أو امكانات كل واحد منهم. (٣)

وهو المعبر عنه بالإنفاق التطوعي أو الإنفاق الخاص لإشباع الحاجات العامة (٤)

ولما كنت قد تحدثت عن مسئولية الدولة الإسلامية في تحقيق التكافل الاجتماعي من خلال الأحكام المنزلة أو الاجتهادية، القاضية بتنظيم نفقات بيت المال، على أساس كفاية المحتاجين وتوفير

١ - فتحي الدريني. الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ص: ٢٢٥

٢ - أحمد العسال وزميله. النظام الاقتصادي في الاسلام. ص: ١٠٠

٣ - محمد باقر الصدر اقتصادنا ص: ٦٩٨. وانظر؛ محمد أبو زهرة. التكافل

الاجتماعي في الاسلام ص: ٥ - ٦ عبدالله ناصح علوان. التكافل

الاجتماعي في الاسلام ص: ١٥

٤ - عبدالكريم صادق بركات وزميله. الاقتصاد المالي الاسلامي ص: ٥٩١.

حد الكفاية لهم اذا ما عجزوا عن كفاية أنفسهم من كسبهم الذاتي، المتاح في ظروف العدل والأمان السائدين في المجتمع^(١) فإني الآن وفي هذا الفصل سأفرد الحديث عن الجانب الثاني من التكافل الاجتماعي، وهو الجانب الذي لا يخضع لتشريع الزامي محدد، بل الى عامل التقوى وطلب مرضاة الله سبحانه فحسب، وأصرف اليه معنى التكافل الاجتماعي اذا أطلقته هنا

لذا فالتكافل الاجتماعي هنا هو:

تساند كل أفراد المجتمع وتضامنهم بدافع من حبهم للخير في الدنيا والثواب في الآخرة، بما يقدرون عليه وتسمح به امكاناتهم، لرعاية جانب أو أكثر من احتياجات اخوانهم أو مواطنيهم عامة، الذين ألجأتهم الظروف الى استحقاق المساعدة.

قال تعالى:

﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾. (٢)

وقال سبحانه:

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوي

١ أنظر الفصل الثاني ص: ٢٤٦

٢ - سورة النساء. الآية: ٣٦.

القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴿١﴾.

ب - أسسه: (٢)

لا يخضع التكافل الاجتماعي - كما مر - لسلطة الدولة، حيث لا الزام لها على فعله، ولا عقوبة لها على تركه، بل هو ناشئ - عن الايمان بالله تعالى واليوم الآخر، وما يحدثانه في النفس المؤمنة من خشية ورغبة في تقديم قربات الطاعة لوجه المولى سبحانه طمعاً في مرضاته. قال تعالى:

﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾. (٣)

والتكافل الاجتماعي بين المسلمين نتيجة طبيعية لأصول عامة مستقرة يقوم عليها التشريع الاسلامي. خلقية وتشريعية وهي: (٤)

١ - سورة البقرة. الآية: ١٧٧

٢ - ممن توسع في مفهوم التكافل الاجتماعي وموضوعه، مصطفى السباعي. اشتراكية الاسلام ص: ١١٢ - ١١٦ انظر: عبدالله علوان. التكافل الاجتماعي. ص: ٢٣ وما بعدها.

٣ - سورة الانسان. الآيتان ٨، ٩

٤ - ينظر: فتحي الدريني. الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ص: ٢٢٥ - ٢٢٩ بتصرف.

١ - الرحمة:

وهي الغاية من انزال الشريعة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(١) وفي مفهوم الرحمة يدخل معنى العدل، اذ العدل في التعامل مع الآخرين رحمة، ويدخل معنى الاحسان وهو تجاوز العدل في التعامل الى الفضل.

والرحمة كعامل نفسي تستلزم حب الخير للآخرين.

٢ - الأخوة:

يقرر القرآن الكريم حقيقة الأخوة الايمانية ﴿انما المؤمنون أخوة﴾^(٢). فأصبحتم بنعمته إخواناً. ﴿٣﴾، وهذه الحقيقة يعلمها المؤمن ويشعر بها صلة بينه وبين غيره من المسلمين أفراداً أو جماعة فيحكمها وينزل على مقتضيات هذه الصلة في كل تصرف من تصرفاته ومنها التضامن المادي.

٣ - الولاية والتناصر:

قال تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾^(٤) وهي تقضي التناصر والتضامن في جميع شؤون الحياة بمقتضى الايمان.

١ - سورة الأنبياء. الآية: ١٠٧

٢ - سورة الحجرات. الآية: ١٠

٣ - سورة آل عمران. الآية: ١٠٣

٤ - سورة التوبة الآية: ٧١

٤ - المحبة:

يقول الرسول (ﷺ) ﴿ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ﴾^(١) وهي ثمرة الأخوة، والأخوة ثمرة الإيمان فالمحبة ثمرة الإيمان.

فهذه العوامل الايمانية هي التي ينتج عنها الاحساس بالمسئولية تجاه الآخرين، فينشأ من ذلك التكافل بين المؤمنين فما التكافل الاجتماعي الآ ثمرة هذه الأصول النابعة من تلك القيمة العظمى وهي الايمان بالله سبحانه.

٥ - التعاون على البر والتقوى:

الانسان في الاسلام يرتبط بمجتمعه برباط البر والخير المشترك، اذ هو مأمور بالتعاون مع غيره ممن يعيش معه في مجتمعه في دائرة البر، والبر اسم جامع لكل خير فيشمل التعاون في جميع أوجه الخير في الحياة يقول الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾^(٢) ولقد تضمن الكتاب العزيز، والسنة النبوية ما يدفع المسلمين الى العمل الصالح - ومنه التكافل الاجتماعي - الذي من شأنه اماتة الفقير، واغناء المحتاجين ومن ذلك:

١ - حض المؤمنين على التكافل: قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا

١ - رواه البخاري. ابن حجر فتح الباري الجزء الأول ح ١٣ ص: ٥٦ - ٥٧
كتاب الايمان باب من الايمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

٢ - سورة المائدة. الآية: ٢

أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ﴿١﴾ .
وقال (ﷺ) «تصدقوا»^(١)

وقال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة
والسفلى هي السائلة»^(٢).

٢ - الثناء عليهم لفعالهم التكافل:

قال تعالى: ﴿ويطعمون المال على حبه مسكيناً ويتيماً
وأسيراً، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا
شكوراً﴾^(٣).

وقال تعالى:

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء...﴾^(٤)

٣ - تخويفهم من ترك التكافل:

قال تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي

يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين﴾^(٥).

وقال (ﷺ):

١ - سورة البقرة الآية: ٢٦٧

٢ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الثالث عشر. ص: ٨١.
ح ٨١٢٠. كتاب الفتن باب خروج الناس. مرجع سابق.

٣ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الثالث ص: ٣٩٤ ح
١٤٢٩، كتاب الزكاة. باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى. مرجع سابق.

٤ - سورة الانسان. الآيتان ٨، ٩

٥ - سورة آل عمران. الآية: ١٣٤

٦ - سورة الماعون. الآيتان ١، ٣

«والله لا يؤمن من بات شعبان وجاره جائع الى جنبه». (١)

٤ - حفظ الله سبحانه أجور المؤمنين المتكافلين:

﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً، وما تقدموا لأنفسكم من خير

تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾. (٢)

وقال الله تعالى:

﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً

ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم

يخزنون﴾. (٣)

٥ - وعده سبحانه بمضاعفة أجورهم:

قال الله تعالى:

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة

أنبت سبع سنابل في كل سنبله مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء

والله واسع عليم﴾ (٤)

وقال (ﷺ):

«من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا

١ أخرجه الحاكم والبيهقي . والطبراني والبخاري . قال الحافظ الهيثمي . اسناد

البخاري حسن . وقال عن رواية الطبراني وأبي يعلى . ان رجالها ثقات . نور

الدين علي بن أبي بكر الهيثمي . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الجزء الثامن

ص : ١٦٧

٢ - سورة الزمل . الآية : ٢٠

٣ - سورة البقرة . الآية : ٢٦٢

٤ - سورة البقرة الآية : ٢٦١

الطيب - فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبه كما يربي
أحدكم فُلُوهُ^(١) حتى تكون مثل الجبل». ^(٢)

ولقد أثمرت تلك التربية الايمانية شعوراً فياضاً بالمسئولية تجاه
آلام الفقراء، وسهراً على تحقيق الخير لهم، قال محمد بن اسحاق: ^(٣)
«كان أناس بالمدينة يعيشون ولا يدرون من أين يعيشون، ومن
يعطيهم، فلما مات زين العابدين بن الحسين^(٤) فقدوا ذلك فعرفوا أنه
هو الذي كان يأتهم بالليل بما يأتهم، ولما مات وجدوا في ظهره
وأكتافه أثر حمل الجراب الى بيوت الأرامل والمساكين». ^(٥)

واشترى الليث بن سعد^(٦) داراً بيعت بالمزاد، فذهب رسوله

١ - الفلو: المهر، أو كل فطيم من ذات حافر، انظر: أحمد بن حجر. فتح
الباري. الجزء الثالث. ص: ٢٧٩ مرجع سابق.

٢ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الثالث ص: ٢٧٨ ح
١٤١٠ كتاب باب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب. مرجع سابق.

٣ - محمد بن اسحاق بن يسار المدني ٨٥ - ١٥٠ هـ رجل كثيراً وألف السيرة التي
حررها ابن هشام. انظر: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. الجزء الأول.
ص: ٢١٤ - ٢٣٤ مرجع سابق.

٤ - زين العابدين بن حسين. علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الابن الذكر
الذي بقي من أولاد الحسين بعد استشهاده، كان سمح الخلال كريماً،
انصرف عن السياسة الى العلم والفقهِ توفي عام ٩٤ هـ. انظر: شمس الدين
الذهبي. تاريخ الاسلام الجزء الرابع. ص: ٣٤ - ٣٩

٥ - محمد أبوزهرة. الإمام زيد ص: ٢٥

٦ - الليث بن سعد. امام حافظ، عالم مصر توفي بها ١٧٥ هـ انظر: شمس
الدين الذهبي. سير أعلام النبلاء الجزء الثامن. ص: ١٢٢ - ١٤٥

يتسلمها فوجد فيها أيتاماً وأطفالاً صغاراً سألوه بالله أن يترك لهم الدار، فلما بلغ ذلك الليث، أرسل اليهم الدار أن لكم، ومعها ما يصلحكم كل يوم.^(١)

وهي كفيلة بأن تثمر في كل عهد اذا صحت العقيدة، وطبقت شريعة الله وصدقت العزائم.

فما آفة المسلمين في هذا العصر الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ويتصرفون في الأملاك التي لا خصر لها، ولا يخرجون زكاتها، ولا ينفقون من فضولها وفي المسلمين أيتام يتضورون وأيامى يثنون وبائسون مدقعون.

ما آفتهم إلا ايمان ضعيف، وتربية سقيمة، وطمع في نفوسهم وسلطان غافل عنهم.

ولو عولجت تلك الأدواء لأثمرت توجيهات الاسلام وأحكامه من جديد في هذا العصر كما أثمرت في صدر الاسلام.

المبحث الثاني

وسائل التكافل والأفراد الذين يشملهم

ليس التكافل الاجتماعي مقتصرًا على المشاركة الوجدانية في الشعور بآلام المحرومين، أو على المواساة اللفظية لهم، فإن هذه لا تعني في تخفيف حدة الفقر غناء السبل العملية والوسائل الفعلية

١ - انظر: مصطفى السباعي. اشتراكية الاسلام ص: ٢١٧

الموجهة مباشرة الى مواطن الفقر والموصلة الى أفقر قطاعات المجتمع،
والشاملة لها جميعاً وتلك السبل العملية أبرز ما نادى به الاسلام في
مجال التكافل التطوعي وحض عليه وأثنى: فقال سبحانه وتعالى:
﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾^(١).

١ - وسائله: (٢)

أ - صدقة التطوع:

وهي أوسع سبل التكافل لعدم ارتباطها بحيز زماني أو مكاني،
ولا اشتراك الغني وكذا الفقير المؤثر غيره فيها، ولانتفاع عدد كبير من
الفقراء بها وقد كانت صدقات التطوع ومازالت وستبقى تؤدي دورها
الكبير في مساعدة الفقراء والمحتاجين في المجتمع الاسلامي.

ويحث الاسلام ذوي القدرة المالية على البذل والعطاء منه عن
طواعية واختيار، وهو ينطلق في هذا من أن المال في يد المالك هو مال
الله استخلف الانسان فيه ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾^(٣)
﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم﴾^(٤).

حيث أن من طبيعة الانسان التي جبل عليها الحرص الشديد على
هذا المال حين ينسبه حرصه هذا وظيفته الأصلية في هذا المال وهي

١ - سورة التوبة. الآية: ١٠٥

٢ - انظر: عبدالله علوان. التكافل الاجتماعي في الاسلام. ص: ٧٣

٣ سورة الحديد. الآية: ٧

٤ - سورة البقرة. الآية: ٢٥٤

أنه مستخلف فيه فيمنع الرشد عن حرم كفايته من عباد الله، ومن هنا جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تحث القادرين على البذل والعطاء وتعددهم بعظيم الأجر وجزيل الثواب على ذلك منها: يقول تعالى: ﴿وما تنفقوا من خير فلا لأنفسكم، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، وما تنفقوا من خير يوفّ اليكم وأنتم لا تظلمون﴾^(١)

ويقول تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾^(٢)

ومن ذلك: يقول الرسول (ﷺ) «ان المكثرين هم المقلون يوم القيامة الآ من أعطاه الله تعالى خيراً فنسخ فيه يمينه، وشماله، وبين يديه، ووراءه وعمل فيه خيراً، وقليل ما هم»^(٣) ويقول (ﷺ) «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم»^(٤)

ويقول عليه الصلاة والسلام: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد

١ سورة البقرة. الآية: ٢٧٢

٢ - سورة البقرة. الآية: ٢٦١

٣ رواه الامام أحمد في المسند. الجزء الثاني. ص: ٣٥٨، ٣٩١، ٥٢٥،

والجزء الخامس ص: ١٨١

٤ - أخرجه الحاكم والبيهقي والطبراني والبخاري عن أنس ابن مالك، مجمع الزوائد الجزء الثامن ص: ١٦٧، وقال الهيثمي عنه: اسناد البخاري حسن.

ما كان العبد في عون أخيه»^(١)

والأولى في الصدقة أن يبدأ المتصدق بذوي قرباه، تحقيقاً لأقرب دائرة للتكافل وهي دائرة الأسرة والأرحام، ولأنه أعلم بمدى حاجتهم قال تعالى:

﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى﴾^(٢)

وقال سبحانه وتعالى:

﴿قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾^(٣)

ثم يشمل بصدقته الأقرب فالأقرب من المحتاجين وفي هذه الأيام يمكن أن يدفع قسماً من هذه الصدقات الى الجمعيات الخيرية المنظمة العاملة التي لها معرفة بالفقراء، فإن كثيراً من الناس يعفون عن السؤال وقد يكون مظهرهم مخالفاً لحقيقة حالهم، فهي تتولى ايصالها الى المحتاجين حسب ترتيب مقدر

قال تعالى: ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم﴾^(٤)

١ - رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي هريره، الفتح

الكبير الجزء الثالث. ص؛ ٢٤٣

٢ . سورة النحل . الآية : ٩٠

٣ - سورة البقرة . الآية : ٢٥

٤ - سورة البقرة . الآية : ٢٧٣

ومن صدقة التطوع الصدقة الجارية: وقد ورد ذكرها والتنويه
بأثرها على المتصدق نفسه في قوله (ﷺ): «إذا مات الانسان انقطع
عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو
ولد صالح يدعو له». (١)

وصدقة التطوع عدا عن أنها تقوم بدور كبير في حل مشكلة
الفقر والحاجة في المجتمع فإنها تساعد في إعادة توزيع المال في المجتمع
الاسلامي، بالإضافة الى أن فيها تحقيقاً وابرازاً للوظيفة الاجتماعية
للملكية الخاصة. (٢)

٢ - الوقف:

وهو حبس أصل العين، وتصدق بمنفعتها أو ثمرتها على
الموقوف عليهم يفيدون منه. (٣) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
«يارسول الله أصبت أرضاً بخير لم أصب مالا قط هو أنفس عندي
منه، فما تأمرني به؟» قال: ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها.

قال: فتصدق بها عمر انه لا يباع أصلها ولا يبتاع ولا يورث

١ - رواه مسلم: مسلم بن الحجاج. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم
الجزء الخامس. ص: ٧٣ كتاب الوصية. باب ما يلحق الانسان من
الثواب بعد وفاته

٢ - انظر: عبدالسلام العبادي. الملكية في الشريعة الاسلامية القسم الثالث.
ص: ٩٩

٣ انظر: عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامه. المغني. الجزء السادس. ص:

ولا يوهب، قال: فتصدق عمر في الفقراء وفي القربى، وفي الرقاب
وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف. (١)

وأبرز قسماً الوقف (الأهلي والخيري) الأخير منها حيث نفعه
متعدد وأثره في محاربة الفقر خاصة عظيم. ولقد تفتن فيه المسلمون
قديماً فابتكروا له صوراً كثيرة رائعة، جعلته مؤسسة اجتماعية لا مثل
لها في التاريخ تصرف إيراداتها فيما تصرف على اللقطاء واليتامى،
والمقعدين والمرضى والعميان والعجزة، واطعام الفقراء ومداواتهم
وتعليمهم وتزويج الشبان العاجزين عن نفقات الزواج، وتغذية
أطفال الفقراء بالحليب والسكر وبناء الملاجئ والمستشفيات لهم.
وغيرها.

كما كانوا أيضاً يتسابقون إلى الوقف في سبيل الله تعالى ما
استطاعوا: قال جابر رضي الله عنه: (٢) «لم يكن أحد من أصحاب
النبي (ﷺ) ذو مقدرة إلا وقف». (٣)

١ - رواه مسلم. مسلم بن الحجاج. الجامع الصحيح. الجزء الخامس. ص: ٧٤. كتاب الوصية باب الوقف. مرجع سابق.

٢ - جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي كان مع من شهد
العقبة شهد مع النبي (ﷺ) تسع عشرة غزوة وهو أحد المكثرين عنه من
الرواية مات سنة ٧٤هـ. انظر: أحمد بن حجر الاصابة. الجزء الأول.
ص: ٤٣٤. مرجع سابق.

٣ - عبد الله بن أحمد بن قدامه. المغني. الجزء السادس. ص: ١٨٥ مرجع
سابق.

٣ - الوصية:

لقد أباح الشارع للمسلم أن يوصي بثلث ماله على الأكثر^(١) للفقراء والمحتاجين وسائر أعمال البر النافعة للمجتمع. قال تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾.^(٢)

وفي منع الوارث من الثلث الموصى به^(٣) توسيع لدائرة تداول المال حتى تشمل الفقراء. قال تعالى: ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾.^(٤)

٤ - الهدية:

وهي منحة تسهم في تقوية التكافل الاجتماعي وشد صفه بانتزاع الأحقاد بين أفراد المجتمع، ولقد كان رسول الله (ﷺ) يقبل

١ - قال (ﷺ) الثلث والثلث كثير، أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الخامس ص: ٣٦٩. ح ٢٧٤٣ كتاب الوصايا باب الوصية بالثلث مرجع سابق.

٢ - سورة البقرة. الآية: ١٨٠

٣ - قال (ﷺ): لا وصية لوارث. رواه البخاري معلقاً أحمد بن حجر فتح الباري. الجزء الخامس. ص: ٣٧٢ كتاب الوصايا. باب لا وصية لوارث مرجع سابق. رواه الترمذي موصولاً أبو بكر بن العربي. عارضة الأحوذني الجزء الثامن. ص: ٣٧٥. في الوصايا باب ما جاء لا وصية لوارث. وقال حسن صحيح. مرجع سابق.

٤ - سورة الحشر الآية: ٧

الهدية ويثيب عليها^(١) وأيضاً كان يأمر بها ويبين الحكمة منها: فيقول: «تهادوا، فإن الهدية تذهب وحرّ^(٢) الصدر»^(٣)

وهناك سبل أخرى فتحتها الاسلام ومهدتها لأتباعه حتى يتطوعوا لتحقيق التكافل الاجتماعي منها اطعام الجائع والمحتاج، وقد حث (ﷺ) أصحابه أن يفعلوا ذلك مع اخوانهم أصحاب الصُّفَّة الفقراء فقال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربع فخامس أو سادس..»^(٤)

٥ - ومن ذلك أيضاً الهبة:

وهي عطية تعطيتها لغيرك غير ناظر الى عوض أو عرض ما، وفي المغني هي: تمليك بغير عوض، والفرق بين الهبة والهدية أن الهبة يتقرب بها الواهب الى الله سبحانه فهي من قبيل الصدقة، أما الهدية فيراد بها التقرب والتودد الى المهدي اليه.^(٥)

١ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري. الجزء الخامس. ص: ٢١٠ ح ٢٥٨٥ كتاب الهبة باب المكافأة في الهبة مرجع سابق.

٢ - الوَحْر: بالفتح الحقد والغيط والغش. مجد الدين الفيروزآبادي. القاموس المحيط مادة الوحرة. مرجع سابق.

٣ - رواه الترمذي. أبوبكر بن العربي. عارضه الأحوذى الجزء الثامن. ص ٢٩٢ في الولاء والهبة باب في حث النبي (ﷺ) عن التهادي مرجع سابق.

٤ - رواه البخاري. أحمد بن حجر الباري الجزء الثاني ص: ٧٥ - ٧٦ ح ٦٠٢ كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف والأهل. مرجع سابق.

٥ - انظر: البهي الخولي. الثروة في ظل الاسلام. ص: ١٧٢

٦ - ومنها أيضاً النذور:

يستعمل كثير من المسلمين النذر وسيلة للانفاق في سبيل الله والصدقة وقد مدح الله أولئك الذين يوفون بنذورهم، يقول تعالى في صفة عباده الصالحين: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾^(١)

ومن نذر نذراً مباحاً وجب عليه الوفاء لقوله تعالى؛ ﴿وليوفوا نذورهم﴾^(٢) ومنها أيضاً الضيافة، والعارية، والايثار، والأضاحي^(٣) وغيرها من الوسائل الاختيارية العملية المؤدية الى اقامة مجتمع متكافل متراحم لا يشقى فقيره ولا يذل.

وهناك بعض المجالات الأخرى التي تسهم في مكافحة الفقر وسد الحاجة في المجتمع المسلم وتدخل في باب التكافل والتعاون على الخير وان كان قد يفتقد في بعضها معنى الاختيار والتطوع الى حد ما، ومن ذلك:

أ - أكل الانسان من مال غيره دون اذن منه:

إن القاعدة المقرزة في الفقه الاسلامي انه لا يجوز للانسان أن

١ - سورة الانسان. الآية: ٧

٢ - سورة الحج. الآية: ٢٩

٣ - يمكن أن نضيف اليها كذلك الكفارات، والميراث، وصدقة الفطر انظر:

عبدالله علوان. التكافل الاجتماعي في الاسلام. ص: ٧٣ وما بعدها.

مرجع سابق. ومحمد أبو زهرة. التكافل الاجتماعي في الاسلام ص: ٩٧

مرجع سابق.

يأكل من أموال غيره دون إذن منه إلا إذا كان مضطراً، وإذا كان مضطراً فإنه يأكل بشرط الضمان عند جمهور العلماء.

الآن بعض العلماء قالوا بجواز الأكل عند الضرورة ولا ضمان عليه بل ان بعضهم قال: من مر على بستان غير محوط وفيه ثمر فإنه يباح له الأكل من غير ضرورة ولا ضمان عليه على أن يقتصر على الأكل دون أن يأخذ معه شيئاً.

واستدل أصحاب هذا القول بما أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من حديث طويل قال: سئل رسول الله (ﷺ) عن الثمر المعلق فقال: «من أصاب منه بقية من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه». ويسند البيهقي هذا القول إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويقول: هو محمول عندنا على حال الضرورة.

ب - اضطرار الانسان الى ملك غيره:

إذا اضطر شخص الى طعام غيره فإنه يلزمه بذله له ان لم يكن المالك مضطراً اليه فإن أبي صاحب الطعام دفعه اليه فللمضطر أخذه منه قهراً. جاء في المجموع شرح المهذب من كتب الشافعية «إذا لم يكن المالك مضطراً فيلزمه اطعام المضطر مسلماً كان أو ذمياً أو مستأناً. وللمضطر أن يأخذه قهراً وله مقاتلة المالك عليه»^(١)

١ - المجموع. الجزء التاسع ص: ٤٣.

وكذا قال صاحب تبصرة الحكام من المالكية^(١) وابن القيم في الطرق الحكمية^(٢)، وينقل الشيخ محمد جعفر الكتاني^(٣) ان العلماء وأرباب المذاهب كلها قد أجمعوا على وجوب مواساة المضطر بإطعامه ان كان جائعاً وسقيه ان كان عطشاناً والباسه ان كان عرياناً ونحو ذلك. وجعلوا ذلك من فروض الكفاية التي اذا قام بها بعض الناس سقط الطلب عن الباقي والآثم الجميع. ولم يقتصر الفقهاء على حكم الاضطرار الى الطعام بل بينوا حكم الاضطرار الى منافع الأموال كاضطرار الى السكن واللبس. وقد اختلف الفقهاء في هل يلزم بذل ما تقدم بقيمته أم لا؟ فذهبوا في ذلك عدة مذاهب أهمها:

- ١ - يلزم بقيمته وهو رأي الجمهور
- ٢ - يلزم بدون قيمة وهو قول عند المالكية
- ٣ - فرق ابن تيمية بين الفقر والغنى فقال: ان الفقير لا يجوز أخذ العوض منه، بخلاف الغني فإن الواجب معاوضته فقط.
- ٤ - وفي رواية عند الحنابلة أن المضطر يلزم بقيمته اذا أخذه قهراً، ولا يلزم اذا دفعه اليه صاحبه بإرادته.^(٤)

١ - تفسير الأحكام المالكية الجزء الثاني. ص: ١٩٣

٢ - ص: ٢٨٥

٣ - انظر: مذكرات الأموال لمحمد المنتصر الكتاني. القسم الثاني. ص: ٧٥

.٨٠

٤ - انظر: عبدالسلام العبادي. الملكية في الشريعة الاسلامية القسم الثالث.

ص: ٩٣ - ٩٤

ب - الأفراد الذين يشملهم التكافل: (١)

إن التفاوت في المقدرة العقلية والجسمية بين البشر سبب لاحتياج بعضهم لبعض في المعاش والرزق وغيرهما، كما هو معلوم من قوله تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ (٢)

وعلى ضوء هذه الحقيقة الكبرى، كان لزاماً مهماً ساد العدل أن يتكافل الناس فيما بينهم بحيث يمنح الأغنياء منهم المحتاجين من فضول أموالهم لمواساتهم ودفع ضوائق الحاجة عنهم.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أصنافاً ممن تصرف إليهم موارد التكافل الالزامي المنظم كما في الزكاة، والغنائم، والفيء، وترك موارد أخرى لولي الأمر، يجتهد في انفاقها بمقتضى المصلحة المتجددة، كالجزية مثلاً، ولما ندب الى التكافل التطوعي، فقد ناسب أن يترك مصارفه دون بيان الزامي ليتنافس المسلمون في الانفاق من فضول أموالهم، وليتحرى الواحد منهم من يراه أحوج الى جوده وخيره أكثر من غيره.

ويمكن أن نجمل الذين يشملهم التكافل التطوعي في الذين ورد النص عليهم في مصارف بيت المال، والذين لم ينص عليهم من

١ - انظر: عبدالله علوان. التكافل الاجتماعي في الاسلام. ص: ٥٧ وما بعدها مرجع سابق.

٢ - سورة الزخرف. الآية: ٣٢. وانظر تفسيرها لدى اسماعيل بن كثير. تفسير القرآن العظيم. الجزء السادس. ص: ٢٥٥ مرجع سابق.

الفقراء سواء وفى لهم بيت المال حدّ الكفاية أو لم يوف، لأن التكافل الاجتماعي هنا عمل تطوعي يضعه المسلم حيث يلهمه الله أنه منتفع به بلا الزام وعلى ذلك فإنه يشمل:

١ - الفقراء .

٢ - المساكين .

٣ - ابن السبيل .

٤ - الأيتام .

٥ - العجزة من الشيوخ وأصحاب العاهات:

والعجز هو عدم استطاعة الكسب وتحقيق حد الكفاية من العيش لأي سبب كالكبر في السن، أو لعاهة خلقية، أو حادثة وهي متعددة فمنها:

- المرض المزمن .

- العمى .

- الصم والبكم .

- ضعف البصر .

- الصرع المستمر «الذي يعاوده في أوقات متقاربة» .

- شلل الأطراف أو بعضها .

- قطعها بسبب الحوادث .

- العته .

٦ - من لا عائل لهم من الأرامل والمطلقات وخاصة اذا كنّ من ذوات

العيال مع ضيق ذات اليد.^(١)

٧ - اللقطاء:

وهم من يتخلى عنهم آباؤهم وأمهاتهم فلا يعرفون، وتقع كفالتهم على بيت المال، أو على المحسنين من المسلمين لتنشئتهم على الدين والخلق وحجزهم عن التشرّد وإبعادهم عن الفقر

٨ - المنكوبون:

وهم الذين أُلّت بهم بعض الكوارث كالجفاف، أو الفيضانات أو الزلازل. فذهبت بأرزاقهم، ومصادر كسبهم، وتركتهم للجوع والعراء.

٩ - المشردون اللاجئون:

وهم من حيل بينهم وبين ديارهم وأموالهم فأصبحوا يعيشون على ما يقدم لهم من مساعدات وإسعافات وغير هؤلاء ممن في حكمهم.

١ - لو كان التكافل سارياً بين المسلمين ما لجأت - مثلاً - أم لبنانية الى بيع أولادها - ثلاثة ذكور وبنات - بسبب عجزها عن تأمين الطعام والشراب والملبس لهم بعد وفاة زوجها. صحيفة الشرق الأوسط. السنة العاشرة. العدد ٣١٤٧ بتاريخ ١٤ ذي القعدة ١٤٠٧هـ.

المبحث الثالث

آثار التكافل في علاج مشكلة الفقر

لقد تبيناً بوضوح مدى خطورة الفقر على الفرد والمجتمع، باعتباره مرضاً اجتماعياً يورث آفات متعددة، وما أعده الاسلام لدرته من سبل ناجعة للوقاية والعلاج مثل:

- الحث على الكسب الطيب.

- وتشريع الانفاق العام.

- وتشجيع الانفاق الخاص وهو التكافل الاجتماعي المادي كما مر بنا.

ولهذا التكافل آثار عميقة الغور واسعة المدى في علاج مشكلة الفقر نجملها في الآتي:

١ - ملاحقة الفقر أنى وجد:

ولا يقتصر مفعول التكافل على توفير لقيمات قليلة تدفع الجوع والحاجة لزمن قصير وفي فئة مخصوصة، وانما هو باب واسع يشمل سائر المساعدات المادية والأدبية، كما يعم كثيراً من الفئات الاجتماعية ولو كانت تملك كفايتها، لأن فاعلها لا يتقيد بمعايير ملزمة، بل يفعله فيما يحسب أن ينفع ويساعد على الارتقاء في المعيشة الكريمة، ومن ثم فهو غير قاصر على تحقيق الحد الأدنى من الغذاء والكساء، وغير قاصر أيضاً على المحرومين ممن لا يملكون شيئاً - وان طلب تقديمهم على غيرهم الأقرب رحماً فالأقرب - وذلك يجعل التكافل الاجتماعي بالمفهوم الذي اخترته أوسع مجالاً وأبعد أثراً في محاربة الفقر قال

(ﷺ): «أما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله». (١).

٢ - كفاية من يمنهم التعفف عن الأخذ من الصدقات أو سؤال الناس:

لقد جبلت بعض النفوس على الحياء الشديد، والتعفف الكامل عن مال الغير ولو كان لها فيه حق معلوم بفرض الله تعالى، فهي تتحاشاه ولا تلتفت اليه كأنها في استغناء تام عنه. قال سبحانه في طائفة من هؤلاء: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ الْحَافَأَ. (الآية)﴾. (٢).

فمن هذا شأنه فربما لا ينتبه له موزع الزكاة أو قيم بيت المال، فيبيت على الطوى يقرصه الجوع ويلسعه البرد أو يكويه الحر، ولا يدري لحاله، وهنا يتدخل التكافل الاجتماعي فيسعفه من تنبه حاله من جيرانه أو اخوانه بما يحضره من الجود سواء كتتم عنه أو رفع حاله الى ولي الأمر لينال حظه مما قسم الله تعالى لأمثاله

٣ - اكمال مجهود الدولة الاسلامية في الانفاق العام:

وهذا بين من خلال ما تقدم من ذكر وبيان وسائل التكافل التي

١ - سبق تخريجه. ص: ٢٤٤

٢ - سورة البقرة. الآية: ٢٧٣

المستقبلية
الأمنية

هي وجوه تطوعية للبر، متعدد الألوان، تسند جميعها انفاق الدولة العام من بيوت المال.

حيث إذا نفذ ما فيها، أو تأخر وصوله فإن مال التكافل يسد مسده، قال (ﷺ): «إن الأشعريين^(١) إذا أرملوا^(٢) أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم من ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم»^(٣)

وفي رأي أنه حتى تحقق هذه الوسائل هدفها في تخفيف وطأة الفاقة والفقير على من ابتلوا بذلك، وفي التأكد من وصول تلك الاسهامات الى المستحقين لها حقاً فإنه ينبغي أن تنبثق في المجتمع المسلم جمعيات يكون من أولى مهماتها تلقي التبرعات وحث الناس على البذل وتعريفهم بوجوه البذل والانفاق في سبيل الله، ثم القيام بصرفها لمستحقيها بعد حصرهم بناء على دراسات دقيقة، فلعل هذا أنفع وأجدى في معالجة مشكلة الفقر

١ - الأشعريون. قبيلة من أهل اليمن منهم أبو موسى الأشعري الصحابي رضي الله عنه. انظر: أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الخامس. ص: ١٣٠ مرجع سابق.

٢ - ارملوا: فني زادهم. المصدر نفسه.

٣ - رواه البخاري. أحمد بن حجر فتح الباري الجزء الخامس ص: ١٢٨ - ١٢٩ ح ٢٤٨٦ كتاب الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض. مرجع سابق.

السَّيِّبَةُ الأَمْنِيَّةُ

طُبعت بالطابع الأمنيّة بإدارة النشر والمركز العربي للدراسات الأمنيّة والتدريب
بالربيعين ١٤٤٠هـ - ١٤٤١هـ



مركز البحوث
والدراسات الأمنيّة
والإستراتيجيّة

الخطبة الامنية